المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

موقف المستشرقين من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب

(عرض ونقد)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب

مرسال عبد الله مرسال المحمادي

الرقم ا امعي (٤٢٣٨٠٠٧٦)

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عمر الدميجي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرًا إلى يوم الدين...أما بعد:

فلقد امتن الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة ببعثة نبيها محمد ﷺ وإرساله إليها، يقول تعالى: ﴿ۋ ې ې ې□□□□□□ □□□□□□ □□□ □□□□□□□□﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ففتح الله به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، ودخل الناس في دين الله أفواجًا صلوات ربي وسلامه عليه، ثم حمل أصحابه رضي الله عنهم لواء هذا الدين من بعده وبذلوا في سبيل ذلك النفس والنفيس مقتدين في كل ذلك برسول الله ﷺ، ورفعوا راية الجهاد والدعوة وبلغوا دين الله على بصيرة حتى عمَّ الإسلام أرجاء المعمورة وأنار الإسلام مشارق الأرض ومغاربها، ثم جاء التابعون من بعدهم وساروا على خطاهم ثم تتابع السلف رحمهم الله جيلاً بعد جيل وازداد هذا الدين ثباتًا في القلوب وتأثيرًا في النفوس.

وفي مقابل ذلك كان الأعداء يتربصون بهذا الدين الدوائر منذ أن بزغ فجره في بطحاء مكة وحتى ساعتنا هذه وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله: ﴿ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ولكن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن تكفل بحفظ دينها وأصبح ذلك معلمًا بارزًا من

خصائص هذا الدين الخالد فقال سبحانه: ﴿ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں﴾ [الحجر:٩]. وقال سبحانه: ﴿ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ﴾ [الصف:٨].

فكل من يحارب هذا الدين فإنه خاسر بلا شك، وأنه لن يجني من عدائه إلا الهزائم وإن مُكِّن له حقبة من الزمن كما قال الله تعالى: ﴿ۈ ۈ ۇٴ ۋ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فإن هذا التمكين لن يستمر لكنه بحاجة إلى صبر وتقوى كما قال سبحانه: ﴿□□□□□□□□ □﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ومن العوامل المساعدة لحفظ هذا الدين عامل الحراسة والتجديد، فمن رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن جعل لها في كل عصر من العصور طائفة من المؤمنين يدافعون عن الدين ويظهرون شرائعه ويذودون عن حياضه، قال ﷺ: «**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم من كذَّبهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»(١).

ومن رحمته سبحانه وتعالى بعباده أنه كلما انتشر الجهل وقل العلم وغابت معالم الدين وأصوله، بعث الله لهذه الأمة من يجدد لها دينها ويعيد إليها ما اندرس من معالمه، فلقد قال النبي ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها**»(٢).

وقد مر على الأمة الإسلامية قرون عمّ فيها الجهل وقل العلم وكثرت البدع والخرافات وضعف تمسك الناس بالسنة وزادت الفتن وأصيبت الأمة بانحطاط في العقيدة والأخلاق وتخلف في السياسة وإدارة أمور البلاد، ومن هذه القرون القرن الثاني عشر الهجري حتى قيض الله تعالى لها بظهور الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ودعوته الإصلاحية التي كانت من أولى اهتماماتها الإصلاح العقدي؛ لأنه لا صلاح

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ى ﯾ □ □﴾ برقم (٧٤٦٠) (ص ٦٢٢).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، برقم (٤٢٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٥٩٩) (٢/ ١٥٠).

للأمة إلا بإصلاح عقيدتها وإزالة الشوائب التي تعكر صفاءها ومن ثم ستصلح الجوانب الأخرى، وقد هيأ الله لهذه الدعوة السلطان الناصر وهو الأمير محمد بن سعود[1] رحمه الله تعالى، الذي رعى هذه الدعوة وحماها ودافع عنها حتى أظهرها الله تعالى ونفع بها البلاد والعباد.

وقد بذل هذان الإمامان جهودهما في الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتنقية عقائد المسلمين مما علق بها من أدران الشرك والوثنية والبدع والخرافات وتحرير عقولهم من التعصب المقيت والعودة بهم إلى نصوص الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح.

وبفضل الله عز وجل كان لهذه الدعوة المباركة أثرها الواضح في الجزيرة العربية ثم امتد هذا الأثر إلى خارج حدود الجزيرة العربية وذلك عن طريق بعض الحجاج الوافدين إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، فربما كان موسم الحج فرصة سانحة لعرض الدعوة على أكابر الحجاج والعلماء ودعوتهم لتقبلها ونشرها في بلادهم.

ومع هذا فإن سنة الله باقية وهي الصراع بين الحق والباطل، فما إن سمع العدو المتربص وبخاصة الغرب الصليبي بظهور هذه الدعوة إلا وأعد عدته وجيش جيوشه بدءًا بالجواسيس والعيون ـ وهم من يسمون بالرحالة ـ لتقصي أخبار هذه الدعوة ومبادئها ونشاطاتها فكتبوا المذكرات والتقارير غالبها كذب وافتراء مأخوذة من العامة ومن خصوم الدعوة فهي تفتقد إلى بدهيات التوثيق العلمي والتثبت والحيادية، وكانت هذه المذكرات والتقارير هي الأصل في معرفة المستشرقين بهذه الدعوة المباركة وكتاباتهم عنها، وكلما دار الزمان ازداد أثر هذه الدعوة المباركة وكثر أتباعها مما جعل الغرب يزداد

---

(١) هو الإمام الرئيس، إمام المسلمين محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان، جددت الدعوة الإسلامية على يديه، ولم يزل رحمه الله مساعدًا للشيخ محمد في دعوة الناس إلى التوحيد، توفي سنة (١١٧٩هـ). ينظر: الدرر السنة (١٦/ ٣٤٧).

تربصًا بها فلفقت التهم وبدأ التشويه والطعن في مصداقية هذه الدعوة فألفت آلاف البحوث والمقالات والكتب والرسائل وعقدت الندوات والمؤتمرات حتى يومنا هذا، وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بأمريكا ومحاولة ربطها بالأصولية والإرهاب وربط ذلك بالدعوة الإصلاحية وإن كانت حقائق وخلفيات هذه الأحداث قد ظهرت على حقيقتها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- تعددت كتابات المستشرقين قديمًا وحديثًا حول هذه الدعوة والتي ظهر من خلال أكثرها الجهل المطبق بحقيقة الدعوة ووصفها بخلاف الواقع والطعن في الإسلام من خلال الطعن فيها وفي أتباعها، فظهرت طائفة من المفكرين تأثرت بهذه الشبهات وبدأت بترويج باطلها بين طوائف المسلمين، كما تلقفها أتباع بعض الفرق والطوائف المناوئة للدعوة وفرحوا بها واجتهدوا في تشويه حقيقة الدعوة من خلال نشر تلك الشبهات اعتمادًا على كتابات المستشرقين تلك.

٢- مع كثرة مقالات ومؤلفات المستشرقين لا نجد في المقابل من يتصدى لهذه المؤلفات إلا القليل، ولاسيما في الآونة الأخيرة، وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر ـ كما أشرت آنفًا ـ حيث كثرت الطعون والتهم لهذه الدعوة المباركة ولأتباعها وبلادها التي تبنت الدفاع عن الدعوة السلفية الصحيحة.

٣- الحرص على بيان عقيدة السلف الصالح والدفاع عنها، فإن مما يجلي عقيدة السلف الصالح ويوضحها هو الرد والدحض لما يلصقه الخصوم بهذه العقيدة والجواب عن شبهاتهم ودعاويهم، وليس الرد والجواب على الدعاوى الموجهة إلى دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الغالب إلا ردًا وجوابًا عن الدعاوى على عقيدة أهل السنة والجماعة، فإن دعوة الإمام محمد

بن عبد الوهاب بلا شك هي عين الدعوة لعقيدة السلف الصالح عقيدة أهل السنة والجماعة.

٤- انتشار معالم ومظاهر الإسلام الصحيح عن طريق هذه الدعوة في مشارق الأرض ومغاربها، الأمر الذي أقض مضاجع الأعداء ودعاهم إلى مراجعة حساباتهم في الأساليب التي تتعامل بها مع هذه الظاهرة المتنامية.

٥- إن حقائق التاريخ ووقائعه الصادقة تثبت دائمًا عكس اتهامات المستشرقين، ولكنها للأسف غابت عن أمتنا، فأحببت إبرازها وتنبيه الأذهان إلى أهميتها للاستشهاد بها في الدفاع عن الإسلام وعن هذه الدعوة المباركة.

٦- أحببت من خلال هذا البحث الكشف عن حقيقة موقف الغرب من الإسلام عمومًا ومن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب خصوصًا، وتعمد التشويه للحقائق الثابتة وطمس معالم المنهج السلفي الصحيح ونشر المناهج المنحرفة التي تغيب معها معالم الإسلام الناصعة وكل ذلك مراعاة لمصالحه وخدمة أهدافه.

٧- إظهار الجوانب المشرقة في حياة الأمة الإسلامية عمومًا ودعوة الإمام محمد ابن عبد الوهاب على وجه الخصوص عبر التاريخ؛ فأحداث التاريخ خير دليل على عدالة وتسامح أمة الإسلام، لتكون نبراسًا ومنهجًا يقتدى به في الدعوة إلى الله تعالى في عصرنا الحاضر.

٨- إظهار أن من المستشرقين من كان منصفًا لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وشهد لهذه الدعوة بما يتناقض مع أقوال المستشرقين الحاقدين على هذه الدعوة.

لكل هذه الأسباب المتقدمة وغيرها أردت أن أشارك في خدمة عقيدة الفرقة الناجية، وأن أسعى جهدي في نصر عقيدة السلف الصالح والذب عنها، وذلك من

خلال هذا البحث، سائلاً الله تعالى العون والتوفيق والسداد.

خطة البحث:

يتألف البحث من مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة على النحو التالي:

مقدمة البحث: وتتضمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث وعملي فيه البحث.

التمهيد: الإمام محمد بن عبد الوهاب والاستشراق. ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة. وتحته ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: حياته الشخصية (اسمه ونسبه ونشأته).

المطلب الثاني: حياته العلمية (رحلاته وشيوخه وآثاره).

المطلب الثالث: منهجه في الدعوة إلى العقيدة والاستدلال عليها.

المبحث الثاني: الاستشراق. ويتضمن ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريفه وجذوره التاريخية.

المطلب الثاني: دوافعه وأهدافه وخصائصه.

المطلب الثالث: أبرز المستشرقين الذين تناولوا دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب من خلال كتاباتهم.

المطلب الرابع: دوافع الرحلات للمستشرقين.

المطلب الخامس: مصادر المستشرقين عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

المطلب السادس: التسمية بالوهابية.

الفصل الأول: الطعن في حقيقة الدعوة وفي موقفها من السنة والنبوة. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الطعن في حقيقة الدعوة.

المبحث الثاني: الطعن في موقفها من السنة والنبوة.

الفصل الثاني: دعوى أنها على منهج الخوارج في تكفير المجتمع، والخروج على الإمام. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دعوى أنها على منهج الخوارج في تكفير المجتمع.

المبحث الثاني: دعوى أنها على منهج الخوارج في الخروج على الإمام.

الفصل الثالث: دعوى أنها تدعو إلى الرجعية والتزمت والتعصب.

الفصل الرابع: دعوى التطرف والعنف وعدم التسامح. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دعوى القتل وإراقة الدماء.

المبحث الثاني: دعوى التشدد وعدم التسامح.

الفصل الخامس: دعوى رفض الحضارة الغربية.

خاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

ثبت المصادر والمراجع.

الفهارس.

عملي في البحث:

اتخذت المنهج الوصفي بأسلوب الدراسة والتحليل:

١- قمت بجمع المادة العلمية المتعلقة بهذا الموضوع حسب استطاعتي من مصادرها ومراجعها.

٢- قمت بقراءة ما وقع تحت يدي من مؤلفات مترجمة للمستشرقين.

٣- قمت بترجمة بعض الصفحات من بعض الكتب، ثم اكتشفت أنها موجودة ومترجمة في دارة الملك عبد العزيز فاكتفيت بما ترجمته الدارة؛ لأنها جهة موثوقة ومهتمة بجانب الرحلات، وأيضًا توفيرًا للجهد والمال.

٤- استفدت من بعض مواقع الشبكة العنكبوتية للوصول إلى بعض المسائل المتعلقة بالبحث.

٥- أبدأ بذكر دعاوى المستشرقين في فصل أو مبحث ثم الرد عليها بأقوال الإمام أولاً إن وجد، ثم أقوال علماء الدعوة أو غيرهم ثم من أقوال المستشرقين إن وجدت، وبعد ذلك أضيف ما أراه مناسبًا.

٦- الاستشهاد بالحوادث والوقائع التاريخية إلى جانب الأدلة النقلية أو العقلية وذلك بحسب ما يقتضيه المقام.

٧- ركزت على إبراز المواقف السلبية للمستشرقين من الدعوة وهي المقصودة أصالة بالبحث؛ لما لها من آثار سلبية وتوظيفها في عصرنا الحاضر للطعن في الإسلام ودعاته، وإن كان هناك بعض المواقف الإيجابية والمنصفة من بعضهم إلا أن هذه المواقف كانت قليلة إذا قورنت بالسلبية وقد استندت إليها في الرد على تلك الدعاوى كما أسلفت.

٨- قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها في المصحف الشريف بعد الآيات مباشرة.

٩- قمت بتخريج الأحاديث النبوية من مظانها وذلك بذكر أبرز من خرجه، ثم أذكر الكتاب فالباب ورقم الحديث، وإذا كان الحديث في غير الصحيحين أو أحدهما ذكرت أقوال أهل العلم في الحكم عليه.

١٠- عند ذكر المصدر أو المرجع للمرة الأولى سأذكر اسم الكتاب واسم المؤلف، وإذا تكرر ذكر الكتاب لأكثر من مرة سأكتفي بذكر اسم الكتاب مختصرًا في الغالب وأحيانًا أذكر اسم المؤلف.

١١- وردت عبارات ركيكة في بعض النقول وقد صوَّبتها في الهامش.

١٢- ذكرت بعض التعليقات التي أرى أنه لا بد منها في الهامش في مظانها.

١٣- عرَّفت ببعض المصطلحات التي أرى ضرورة التعريف بها في الهامش.

١٤- حرصت على تشكيل الكلمات المشكلة الواردة في البحث.

١٥- عند الإحالة لمصدر أو مرجع تم الاقتباس منه من غير ذكره بالنص ذكرت كلمة (ينظر) قبل اسم المصدر أو المرجع.

١٦- إذا كانت الضرورة تقتضي ذكر الشاهد أكثر من مرة فإني أكتفي بقول: (كما مر معنا) أو (كما سبق ذكره) ونحوه.

١٧- ذيلت البحث بخاتمة موجزة أجملت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، ضمنتها عددًا من التوصيات المهمة فيما أرى.

١٨- قمت بوضع فهارس علمية عامة للبحث تعين القارئ على الوصول إلى مبتغاه، فوضعت فهرسًا للآيات القرآنية، وفهرسًا للأحاديث النبوية الواردة في متن البحث، وفهرسًا للمصادر والمراجع التي استخدمتها في البحث مرتبًا حسب الحروف الهجائية. وأخيرًا وضعت فهرسًا تفصيليًا للموضوعات الواردة في البحث.

وفي الختام أتوجه بالشكر والحمد والثناء كله لله عز وجل على ما أسبغه عليَّ من نعم ظاهرة وباطنة لا أحصي لها عدًّا، التي منها تيسيره وعونه على إنجاز هذا البحث، فله الحمد جل وعلا في الأولى والآخرة، حمدًا يليق بجلاله وبعظيم سلطانه.

وأثنّي بالشكر والتقدير لوالدي الكريمين اللذين كان لهما أبلغ الأثر في تنشئتي وتوجيهي لطلب العلم ووقوفهما معي في هذا البحث بكثرة دعواتهما لي، أسأل الله أن يمدَّ في عمرهما على طاعته وأن يجزيهما عني خير الجزاء، وأسأله أن يعينني على برهما على الوجه الذي يرضيه.

وبعد ذلك أرى لزامًا عليَّ أن أتقدم بوافر شكري وعظيم امتناني للمشرف على هذه الرسالة الدكتور/ عبد الله بن عمر الدميجي، الذي رعى هذا البحث منذ كان بذرة حتى استوى على سوقه، والذي لم يبخل عليَّ قط بتوجيهاته السديدة، وآرائه القيمة، بل

كان يرعى البحث رعاية أبوية كريمة، وفتح له قلبه، وأولاه الكثير من وقته الثمين، وكان لي بعد الله نعم العون طيلة إعداد هذا البحث.

كما أني أتقدم بالشكر وجزيل الثناء العاطر إلى جامعة أم القرى على ما أولته وتوليه لطلبة العلم من رعاية واهتمام.

ولكلية الدعوة وأصول الدين ممثلة في عميدها ووكيليها وأعضاء مجلس قسم العقيدة ومجلس الكلية وكافة الأساتذة الفضلاء على جهودهم الطيبة، فلقد كنت أجد دومًا منهم الدعم المستمر والتشجيع المتواصل.

كما أشكر كل من أعانني على إتمام هذا البحث أو أفادني بمعلومة أو توجيه أو إرشاد من الأساتذة الفضلاء، أو الزملاء الكرام، وأسأل الله أن يجزل لهم جميعًا الأجر والمثوبة وأن يوفقنا جميعًا لما يحب ويرضى.

وختامًا، فإن هذا البحث كغيره من أعمال البشر يعتريه الزلل والقصور، فالكمال لله وحده دون سواه، فما كان فيه من حق وصواب فمن توفيق الله وحده لا شريك له، لا أحصي ثناء عليه، وما كان فيه من زلل ونقصان فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه بريئان، ونسأله جل وعلا العفو والغفران.

ونسأله سبحانه وتعالى أن يصلح لنا جميعًا الظاهر والباطن وأن يوفقنا لإخلاص العمل له وحده، وأن يعاملنا بعفوه ورحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه سبحانه.

وأصلي وأسلم على خير البشرية محمد بن عبد الله أزكى صلاة وأتم سلام وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

الإمام محمد بن عبد الوهاب والاستشراق

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: حياة الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة.

المبحث الثاني: الاستشراق.

المبحث الأول

حياة الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حياته الشخصية.

المطلب الثاني: حياته العلمية.

المطلب الثالث: منهجه في الدعوة إلى العقيدة والاستدلال عليها.

المطلب الأول

حياته الشخصية

- **مولده:**

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١١١٥هـ الموافق ١٧٠٣م في بلدة العيينة(١).

- **نسبه:**

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم بن مر ابن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

أما والدة الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ فهي بنت محمد بن عزاز المشرفي الوهيبي التميمي فهي من عشيرته الأدنين(٢).

- **نشأة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:**

يقول الدكتور عبد الله العجلان(٣): «اختار الله سبحانه وتعالى لمهمة الإصلاح والتجديد في نجد وقلب الجزيرة رجلاً من أبنائها جمع الله له بين أصالة النسب وكرم

---

(١) ينظر: تاريخ نجد (ص ٨١)، للشيخ حسين بن غنام، حرره وحققه الدكتور/ ناصر الدين الأسد، قابله على الأصل عبد العزيز محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ.

(٢) ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٢٦)، للشيخ عبد الله البسام، مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، عام ١٣٩٨هـ.

(٣) وكيل الرئيس العام لتعليم البنات للتعليم العالي سابقًا.

المحتد وبيت الفضل. ووهبه من علو الهمة وثبات العقيدة وقوة العزيمة وإخلاص العمل ما جعله مؤهلاً ومقبولاً للقيام بهذه المهمة العظيمة»[١].

والمعلومات المتعلقة بنشأة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قليلة جدًا في المصادر الموجودة على الرغم من أنه عنوان الأسماء العالية في التاريخ العربي الإسلامي الحديث، وقد نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كنف والده الشيخ عبد الوهاب ابن مفتي الديار النجدية سليمان بن علي، وكان والده وجده وأعمامه أهل علم وفضل ومكانة مرموقة في نجد إذ كان والده عبد الوهاب عالمًا بالحديث والفقه والعربية مرجعًا لأهل بلده في الدين والقضاء والفتوى كما سيأتي، وكان على درجة علمية أهلته ليصبح قاضيًا في بلدة العيينة[٢] ومن المناسب أن أسلط بعض الأضواء على أبرز الشخصيات من ذوي الشيخ لتعطينا هذه التراجم صورة واضحة عن البيئة الأسرية التي نشأ فيها الشيخ الإمام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله.

أولاً: ترجمة الشيخ سليمان بن علي بن مشرف جد الإمام:

كانت أسرة آل مشرف تسكن في بلدة أشيقر[٣] وفيها نشأ الشيخ سليمان وقرأ على علمائها ولازم الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف[٤] وأكثر الأخذ والقراءة عن العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل الأشيقري[٥]. قرأ الفقه والحديث وأصول الدين

---

(١) حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث (ص ٣٧)، د/ عبد الله بن محمد العجلان، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

(٢) ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون، للبسام (١/ ٣٠٩).

(٣) ينظر: المرجع نفسه، نفس الجزء ونفس الصفحة.

(٤) ولد في بلدة أشيقر، وقرأ على علمائها وسافر إلى دمشق وأخذ عن علمائها، وجد واجتهد حتى برع في الفقه، ثم عاد إلى نجد حتى أصبح من علمائها، توفي سنة (١٠١٢هـ)، ينظر: المرجع نفسه (١/ ١٩٣).

(٥) ولد في بلدة أشيقر أخذ فيها العلم واجتهد حتى صار علامة الديار النجدية في زمانه. ينظر: المرجع

والفرائض.

صار فقيه زمانه متبحرًا في علوم المذهب، وانتهت إليه الرياسة في العلم، وكان علماء نجد في زمانه يرجعون إليه في كل مشكلة من الفقه وغيره توفي سنة تسع وسبعين وألف رحمه الله[١].

ثانيًا: الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف والد الإمام:

هو عبد الوهاب بن سليمان ولد في مدينة العيينة ـ قاعدة بلدان نجد حينذاك ـ وكان والده علامة نجد في زمنه، هو قاضي البلدة وقد عرف عنه أنه كان عالمًا فقيهًا مثالاً للفضل والعدل وأنه ألف عدة رسائل في الفقه والتفسير والحديث فاشتغل بالعلم منذ صغره فأخذ عن والده وعن غيره من علماء العيينة، وقد درس بعض المسائل الفقهية وأفتى وكتب فيها، وقد توفي في حريملاء عام (١١٥٣هـ) وخلف ابنين هما الشيخ محمد، والشيخ سليمان[٢].

ثالثًا: الشيخ إبراهيم بن سليمان بن مشرف عم الإمام:

في سنة سبعين وألف ولد إبراهيم بن سليمان في بلدة العيينة وكان والده قاضيها وعالم بلدان نجد على الإطلاق، وكانت العيينة في ذلك الوقت في أوج عزها بإمارة آل معمر وكان فيها الفقهاء والعلماء توجهت همته إلى الفقه وانصرف إليه بكليته فحصَّل واستفاد وأفاد وكتب من كتب الفقه شيئًا كثيرًا بيده وخطه حسن مضبوط، وقد ولي

نفسه (١/ ٧٨٨).

(١) ينظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن بشر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (١/ ٦٢)، (١/ ٩٠). وينظر: علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٣٠٩).

(٢) ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون (٣/ ٦٦٩).

القضاء في بلدة أشيقر [(١)].

رابعًا: الشيخ سيف بن محمد بن عزاز خال الإمام:

الشيخ سيف بن محمد بن عزاز [بفتح العين المهملة والزاي المشددة] خال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، ولد بأشيقر سنة (١٠٨٥هـ)، ونشأ بها ثم شرع في طلب العلم على فقهائها وأخص مشايخه هو الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله بن مشرف ـ قاضي العيينة ـ جد واجتهد حتى مهر في الفقه مهارة تامة وتصدى للإفتاء والتدريس، فقد أخذ عنه جملة من علماء نجد، وأشهر تلاميذه هو الشيخ محمد بن فيروز أول قاضٍ لبلد الكويت والمتوفى عام (١١٣٥هـ) وهو جد العالم المشهور محمد بن فيروز الإحسائي، حج ـ أي الشيخ سيف العزَّاز ـ عام (١٠٩٠هـ) وتوفي في بلدة أشيقر سنة تسع وعشرين ومائة وألف رحمه الله تعالى[(٢)].

خامسًا: الشيخ سليمان بن عبد الوهاب أخو الإمام:

ولد في مدينة العيينة حينما كان أبوه قاضيًا فيها ولما انتقل والده إلى حريملاء عام (١١٣٩هـ) انتقل معه فنشأ بها وقرأ على والده وعلى غيره من علماء نجد حتى أدرك قافلة العلم لا سيما في الفقه، وولي القضاء فيها بعد والده وله معرفة ودراية، وكانت وفاة الشيخ سليمان في السابع من رجب عام ١٢٠٨هـ رحمه الله[(٣)].

هكذا كانت البيئة الأسرية للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، بيئة علم وقضاء وزعامة دينية.

---

(١) ينظر: المرجع نفسه (١/ ١١٠).

(٢) ينظر: المرجع السابق (١/ ٣٢٩).

(٣) ينظر: المرجع نفسه (١/ ٣٠٢)، وينظر: عنوان المجد (١/ ٩٠).

يقول ابن بشر: «نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلدة [العيينة] عند أبيه عبد الوهاب بن سليمان القاضي فيها زمن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن معمر المشهور الذي تزخرفت العيينة في زمنه قبل انتقال عبد الوهاب إلى حريملاء»[١].

وظهرت عليه علامات النبوغ والتفوق منذ كان صبيًا فكان معروفًا بقوة الفهم وسرعة الحفظ ووقادة الذهن، كما كان فصيحًا فطنًا في كلامه، وكان أول شيء اتجه إليه في بداية مسيرته العلمية هو القرآن الكريم، بل إنه حفظه قبل بلوغه سن العاشرة من عمره[٢]. وبعد أن انتهى من هذه المهمة شرع في دراسة العلوم الشرعية الأخرى؛ وبخاصة الفقه الحنبلي الذي أخذ يدرسه على أبيه عبد الوهاب. ولقد هُيِّئَتْ للشيخ محمد بن عبد الوهاب عوامل ساعدته على سرعة التحصيل والنجاح في الدراسة ومن هذه العوامل ما كان عائدًا إلى شخصيته ذاتها ومنها ما كان عائدًا إلى البيئة الأسرية التي نشأ فيها، فأبوه وهو الفقيه القاضي ـ كما تقدم ـ كان يحثه على الدراسة ويرشده إلى طريق المعرفة. وبما أن أباه كان قاضي البلدة فإن منزله كان ـ في أغلب الأحيان ـ ملتقى طلاب العلم؛ سواء كانوا من أهل البلدة ذاتها أو ممن يفدون إليها من بلدان أخرى. وكانت اجتماعات هؤلاء وأولئك تتخللها مناقشات علمية. وحضور الشيخ محمد تلك المناقشات كان من الأمور التي تضيف إلى معلوماته الشيء المفيد ، ومن المرجح أنه كان على علم بأحكام أبيه القاضي في بعض القضايا. وهذا أمر له أهميته بالنسبة لتوسيع مداركه. ونتيجة لكل ما سبق نجح الشيخ محمد بن عبد الوهاب في خطواته العلمية الأولى نجاحًا عبر عن مداه أبوه بقوله: «لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام قبل بلوغه». وكان بلوغه في الثانية عشرة من عمره، وقدمه

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر النجدي، (١/ ٦).

(٢) ينظر: تاريخ نجد لابن غنام (ص٨١).

أبوه ليؤم الناس لما رآه أهلاً للصلاة[١].

ومن أبرز مواهب الشيخ أيضًا سرعة الكتابة، وفي ذلك كان يحير أصحابه بحيث إنه يخط كراسا بخط واضح في الجلسة الواحدة من غير سآمة ولا نصب ،وكتب رحمه الله بخط يده كثيرًا من مؤلفات شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ولا تزال موجودة بخط يده في المتحف البريطاني بلندن[٢].

ولقد زوجه والده بعد البلوغ مباشرة ثم طلب من أبيه الحج إلى بيت الله الحرام فأذن له فحج، وقصد المدينة وأقام فيها شهرين ثم رجع بعد ذلك إلى أبيه في العيينة، وأخذ يدرس الفقه على مذهب الإمام أحمد على والده[٣].

وقد أخذ الشيخ العلم عن أجل علماء نجد في بلده كما أخذ العلم عن أجل علماء البصرة، والتقى بعلماء الأحساء وغيرهم من علماء الأقطار التي زارها، وفيهم عدول زمانهم، الذين اتصل بهم سند الشيخ إلى من قبلهم ممن اتصل سنده بالسلف الصالح وجميع العلماء الذين أخذ عنهم قد أجازوه، وقرروا له التوحيد واستحسنوا اتجاهه وأقروه على معرفته النيرة لحقيقة الإسلام الذي بعث الله رسوله محمدًا ﷺ به، وحرروا له المعتقد السليم، عقيدة السلف الصالح، وشاركوه في مقت الأعمال المنكرة الشائعة في بلاد المسلمين، وأن بعضها قد وصل إلى الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لمن مات عليه ولا يصح معه إسلام[٤].

----

(١) ينظر: المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص ٨١)، وينظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص ١٨)، نقلاً عن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي للدكتور/ صالح العبود، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (ص ٧٧).

(٣) ينظر: تاريخ نجد لابن غنام (ص ٨١).

(٤) ينظر: المرجع نفسه (ص ٨٢).

البيئة الحضرية التي عاش فيها:

في تلك الآونة يمكن القول بأن المجتمع النجدي ينقسم إلى بادية وحاضرة وإن كان يندرج تحت هذين الفريقين فئات اجتماعية لا مجال للتفصيل فيها أو التحدث عنها فضلاً عن وجود فئة من المخضرمين التي تعيش حياة البداوة بعض الوقت وتمارس أعمال الحضر في بعضه الآخر، وإذا كان هذا الوضع الاجتماعي هو السائد في المجتمع النجدي قبيل قيام الدعوة السلفية فإن الفئة التي تنتمي إليها الأسر العلمية في نجد تكاد تكون موغلة في التحضر بما تمارسه من وسائل التكسب الحضري من الزراعة والتجارة علاوة على المهمات العلمية الرئيسة.

ولقد نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذا الجو الحضري الصرف علاوة على أننا لو تتبعنا التحركات التي قامت بها أسرة آل مشرف لوجدنا أنها تبدأ من بلدان علمية وتنتهي في بلدان علمية[1].

أثر البيئة في توجيه الشيخ علميًا:

لقد أبصر الشيخ البيئة من حوله بواقعها والناس في حياتهم ودينهم على الغالب في شرك.

يقول ابن بشر عن تلك البيئة: «وكان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار، والقبور والبناء عليها، والتبرك بها، والنذرة لها، والاستعاذة بالجن والذبح لهم، ووضع الطعام لهم وجعله في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم، والحلف بغير الله، وغير ذلك من الشرك الأكبر

---

(١) ينظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبعض الجوانب التربوية والتعليمية في دعوته، لعبد الرحمن العريني (ص١٩٩)، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

والأصغر»[١].

والإمام ـ رحمه الله ـ تربى كما تربى غيره على ذات الفكر ثم تبين له الحق، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن[٢] ـ رحمه الله ـ: «وقد أخبر شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ أنه كان في ابتداء طلبه للعلم، وتحصيله في فن الفقه وغيره، لم يتبين له الضلال الذي كان الناس عليه من عبادة غير الله، من جن أو غائب، أو طاغوت، أو شجر، أو حجر، أو غير ذلك. ثم إن الله جعل له نهمة في مطالعة كتب التفسير والحديث، وتبين له من معاني الآيات المحكمات، والأحاديث الصحيحة أن هذا الذي وقع فيه الناس من هذا الشرك، أنه الشرك الذي بعث الله رسله، وأنزل كتبه بالنهي عنه، وأنه الشرك الذي لا يغفره الله لمن لم يتب منه، فبحث في هذا الأمر مع أهله، وغيرهم من طلبة العلم، فاستنار قلبه بتوحيد الله الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، فأعلن بالدعوة إليه، وبذل نفسه لذلك على كثرة المخالفين»[٣].

ويقول ابن بشر: «فلما أن الشيخ محمد وصل إلى بلد حريملاء جلس عند أبيه يقرأ عليه وينكر ما يفعل الجهال من البدع والشرك في الأقوال والأفعال، وكثر منه الإنكار لذلك ولجميع المحظورات حتى وقع بينه وبين أبيه كلام، وكذلك وقع بينه وبين الناس في البلد، فأقام على ذلك مدة سنين حتى توفى أبوه عبد الوهاب ثم أعلن بالدعوة والإنكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٤].

---

(١) عنوان المجد لابن بشر (١/ ٦).

(٢) هو من تلاميذ الإمام، ومن أحفاده، وستأتي ترجمته.

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ (١٢/ ١٢).

(٤) عنوان المجد لابن بشر (١/ ٨).

فمما سبق يتبين أن الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ توصل إلى معرفة التوحيد من خلال مطالعته لكتب التفسير والسنة والتأمل فيهما ومن خلال مجالسته لبعض مشائخه ومن ذلك ما ذكره الإمام محمد ـ رحمه الله ـ محدثًا عن شيخه عبد الله بن إبراهيم بن سيف[(١)]: «كنت عنده يومًا فقال لي: تريد أن أريك سلاحًا أعددته للمجمعة؟ قلت: نعم. فأدخلني منزلاً عنده فيه كتب كثيرة، وقال: هذا الذي أعددنا لها»[(٢)].

وقال ابن بشر: «وحكى أن الشيخ محمدًا وقف يومًا عند الحجرة النبوية عند أناس يدعون ويستغيثون عند حجرة النبي ﷺ فرآه محمد حياة[(٣)] فأتى إليه فقال الشيخ: ما تقول في هؤلاء؟ قال: ﴿ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ﴾»[(٤)]، وكذلك تأثر بشيخه محمد المجموعي[(٥)].

وبعد بيان الحق للشيخ اختار أن يصدع بالحق ويبصر الناس بالدين الصحيح الموافق للكتاب والسنة دون أن يخشى في الله لومة لائم.

- **وفاة الشيخ رحمه الله:**

بعد قرابة ثلاثة وخمسين عامًا قضاها الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الاحتساب انسلت روحه الأبية من جسده المنهك.

يذكر ابن بشر: «أنه كان قد ثَقُل آخر عمره فكان يخرج لصلاة الجماعة يتهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»[(٦)] فصعدت روحه إلى باريها يوم الاثنين آخر شهر شوال سنة

---

(١) ستأتي ترجمته.

(٢) ينظر: المرجع السابق (١/ ٧).

(٣) من مشائخ الشيخ وستأتي ترجمته.

(٤) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٥) المرجع نفسه (١/ ٨).

(٦) عنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن بشر (١/ ٩٥).

ست بعد المائتين والألف ١٢٠٦هـ ـ وله من العمر نحو اثنتين وتسعين سنة[1] فَذَرَفَت العيون.. وحزنت القلوب.. رحل الجسد، وبقى الأثر الخالد منقوشًا على صفحات التاريخ بأحرف من نور ليضيء الطريق للدعاة والمحتسبين.

ونظرًا إلى أن هذه الدعوة كانت صادقة ونابعة من نفس طاهرة لا تبتغي إلا نصرة الحق والعمل بما جاء به القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة بقيت إلى اليوم، ولو كان بدعوته شائبة باطلة لنسي الناس الشيخ ودعوته ، ولكنهم إلى اليوم يذكرونه لأنه كان إنسانًا عظيمًا أفنى حياته من أجلهم آمرًا بالتوحيد ناهيًا عن الشرك همه الوحيد إعادتهم إلى الجادة وهكذا يعيش العظماء ـ رحمه الله تعالى ـ وجزاه على ما قدمه للإسلام والمسلمين الفردوس الأعلى.

ﭑﭑﭑ

---

(١) تاريخ نجد لابن غنام (ص٩٠).

المطلب الثاني

حياته العلمية

- **رحلات الإمام محمد بن عبد الوهاب:**

حث الإسلام على العلم وعلى شد الرحال لأجل العلم، فإن طالب العلم في سبيل الله حتى يرجع، وإن الملائكة الكرام تضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع، وقد حاز العلماء قصب السبق في هذا الميدان ومنهم الإمام محمد بن عبد الوهاب فقد كان له سهم في هذا المضمار وقد اختلف المؤرخون في بيان رحلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] ولعلي أجمل هذه الرحلات فيما يلي:

لما استوعب الإمام ما درسه في العيينة من علوم الفقه والعربية والحديث والتفسير تطلع إلى الزيادة فعزم على الرحلة في طلب العلم فكانت رحلته الأولى إلى الحجاز[2] كما مر معنا في نشأته، حاجًا ومتعلمًا فدرس على ثلة من علماء الحرم المكي منهم الشيخ عبد الله بن سالم البصري[3] ودرس على نخبة من علماء المدينة كالشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف[4].

وكذلك أخذ عن الشيخ محمد حياة السندي المدني[5] من علماء الحديث الكبار المنكرين للبدع ومن المعارضين للتعصب المذهبي فلازمه وصار من خواص تلاميذه وتأثر به كثيرًا[6].

---

(١) ينظر: اختلاف المؤرخين في كتاب عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، للعبود (ص٨١).

(٢) ينظر: تاريخ نجد لابن غنام (ص٨٢).

(٣) ينظر: فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (١/ ١٩٣)، تأليف عبد الحي ابن عبد الكبير الكتاني، باعتناء الدكتور/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلام، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ.

(٤) ينظر: تاريخ نجد لابن غنام (ص٨٢).

(٥) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) ينظر: عنوان المجد لابن بشر (١/ ٢٥).

وأخذ كذلك عن الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الشافعي وعن الشيخ علي أفندي ابن صادق الحنفي الداغستاني، وكذلك أخذ عن الشيخ عبد الكريم أفندي الداغستاني وهو ابن عم الشيخ علي أفندي، وأخذ عن الشيخ محمد البرهاني، وعن الشيخ عثمان الديار بكري[١].

بعد هذا التحصيل العلمي والمعرفي والتضلع في كثير من العلوم على علماء الحجاز عاد الشيخ إلى حريملاء وهو يحمل هم الدعوة إلى الله تعالى، ولكنه أراد أن يتسلح أكثر بسلاح العلم والرسوخ فيه فاتجه إلى البصرة فاتصل بعلمائها والتقى بعالمها الجليل محمد المجموعي[٢].

وكذلك سمع الحديث والفقه من جماعة كثيرين، وقرأ بها النحو وأتقنه وكتب الكثير من اللغة والحديث، وكان في أثناء مقامه في البصرة ينكر ما يرى ويسمع من الشرك والبدع، ويحث على طريق الهدى والاستقامة، وينشر أعلام التوحيد، ويعلن للناس أن الدعوة كلها لله، يكفر من صرف شيئًا منها إلى سواه، وكان كثير من أهل البصرة يأتون إليه بشبهات يلقونها عليه، فيجيبهم بما يزيل اللبس، ويوضح الحق ويكرر عليهم دائمًا أن العبادة كلها لا تصلح إلا لله، فلما تكرر منه ذلك الإنكار آذاه بعض أهل البصرة أشد الأذى وأخرجوه منها وقت الهجيرة فاتجه إلى الشام، ولكن نفقته التي كانت معه ضاعت منه في الطريق فانثنى عائدًا إلى نجد، ومر في طريقه إليها بالأحساء ونزل فيها على الشيخ العالم عبد الله بن محمد ابن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي[٣]، والتقى كذلك بالشيخ عبد الله بن فيروز، ووجد

---

(١) ينظر: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلام، (ص ٩٩ ـ ١٠١)، للدكتور/ صالح بن عبد الله العبود، الجامعة الإسلامية، المدنية المنورة.

(٢) ينظر: عنوان المجد لابن بشر (١/ ٧).

(٣) ينظر: تاريخ نجد لابن غنام (ص٨٢).

عنده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ما سر به[١]، وأخذ أيضًا عن الشيخ فوزان ابن نصر الله وخاله الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي وهو ابن عمة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وكان سلفي العقيدة[٢].

وذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ أن الشيخ سافر إلى البصرة غير مرة، كل مرة يقيم بين من فيها من العلماء، ثم رحل إلى الأحساء، ثم رجع من الأحساء إلى البصرة وخرج منها إلى نجد[٣].

وبعد هذا التطواف في طلب العلم اتجه إلى بلدة حريملاء ـ وكان أبوه قد انتقل إليها من العيينة بعد أن توفى حاكمها عبد الله بن معمر. فأقام الشيخ محمد في حريملاء مع أبيه يقرأ عليه سنين، إلى أن توفي أبوه، فأعلن دعوته[٤]، ولكن الجو السائد في حريملاء لم يكن مناسبًا فانتقل منها إلى العيينة سنة (١١٥٥هـ) فناصره أميرها عثمان بن معمر أول الأمر وزوّجه ابنته (الجوهرة) لكنه خذله بعد ذلك لضغوط من والي الأحساء بعد أن انتشرت دعوة الشيخ وتناقلها الركبان، بعدها غادر الشيخ العيينة إلى الدرعية ونزل ضيفًا لدى عبد الله بن سويلم ثم انتقل في اليوم التالي إلى دار تلميذه أحمد بن سويلم.

فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود، قام من فوره مسرعًا إليه ومعه أخواه ثنيان ومشاري وبعد ذلك تمت المبايعة وبدأت رحلة التمكين لهذه الدعوة المباركة[٥].

---

(١) ينظر: الدرر السنية (١٢/ ٧).

(٢) ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون (٢/ ٦٢٧).

(٣) ينظر: الدرر السنية (١٢/ ٦، ٧).

(٤) ينظر: تاريخ نجد (ص٨٣).

(٥) المرجع نفسه (ص٨٤).

- **أبرز شيوخ الإمام محمد بن عبد الوهاب:**

١ـ **الشيخ عبد الوهاب بن سليمان**. والد الشيخ تقدمت ترجمته.

٢ـ **الشيخ إبراهيم بن سليمان بن علي بن مشرف**. عم الشيخ تقدمت ترجمته.

٣ـ **الشيخ عبد الله بن سالم البصري**

هو الشيخ عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسى، البصري أصلاً المكي مولداً ومدفناً، الشافعي، مسند الحجاز، عمدة المحققين، الإمام المحدث الحافظ، ولد سنة ١٠٥٠هـ أو ١٠٤٩هـ أو ١٠٤٨هـ، وتوفي سنة ١١٣٤هـ[١].

٤ـ **الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف.**

هو الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف بن عبدالله الشمري نسبة إلى قبيلة شمر المعروفة، انتقل والده إبراهيم بن سيف من المجمعة إلى المدينة النبوية فنشأ الابن عبدالله في المدينة النبوية ، ودرس على علمائها، وسافر إلى دمشق وقرأ على علمائها، ثم جلس للتعليم في المدينة النبوية ، وأخذ عنه خلق كثير، من أجلهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب توفي بالمدينة عام (١١٤٠هـ)[٢].

٥ـ **الشيخ محمد حياة بن إبراهيم السندي.**

هو الشيخ محمد حياة بن إبراهيم السندي المدني العلامة المحدث حامل لواء السنة بمدينة رسول الله ﷺ، مولده في السند وإقامته ووفاته بالمدينة النبوية سنة (١١٦٣هـ) ودفن بالبقيع[٣].

---

(١) ينظر: فهرس الفهارس (١/ ١٣٦). وينظر: الأعلام (٤/ ٨٨)، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٦، ٢٠٠٥م.

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون (٢/ ٥٠١).

(٣) ينظر: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، للعلامة السيد الشريف محمد بن جعفر الكتاني، (ص ١٨١)، دار البشائر، بيروت، ط٦، ١٤٢١هـ.

٦- **إسماعيل العجلوني.**

هو الشيخ إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي ، أبو الفداء: ولد بعجلون سنة (١٠٨٧هـ) محدث الشام في أيامه له كتب منها " كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس" توفي بدمشق سنة (١١٦٢هـ)[١].

٧- **الشيخ علي أفندي بن صادق الداغستاني.**

الشيخ علي أفندي بن صادق الداغستاني ولد سنة (١١٢٥هـ)، قرأ في بلاده ثم في ديار بكر والحجاز، واستقر وتوفي بدمشق سنة (١١٩٩هـ)[٢] التقى بالشيخ في المدينة[٣].

٨- **الشيخ محمد المجموعي.**

محمد المجموعي، وهو عالم جليل من أهل المجموعة – قرية من قرى البصرة – هذا الشيخ الذي درس عليه الشيخ محمد في البصرة[٤].

٩- **الشيخ عبد الله بن محمد بن فيروز.**

وهو عبد الله بن محمد بن فيروز أبو محمد الكفيف، التميمي نسباً، النجدي أصلا، ولد سنة ١١٠٥ هـ كان سلفي العقيدة، وخاله الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف، فالشيخ عبد الله له صلة قرابة بالشيخ محمد بن عبد الوهاب، فهو

---

(١) ينظر: فهرس الفهارس (١/ ٢٦٩)، وينظر: الأعلام للزركلي (١/ ٣٢٥).

(٢) ينظر: الأعلام (٤/ ٢٩٤).

(٣) ينظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه (ص ١٧)، بقلم الشيخ أحمد بن حجر أبو طامي، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٢.

(٤) ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ١٣٢)، للشيخ عبد الله البسام، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ، وينظر: عنوان المجد لابن بشر (١/ ٧).

ابن عمته مباشرة، التقى به في الأحساء، توفي سنة (١١٧٥هـ)(١).

ومن مشائخه بالأحساء: **الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف القاضي**(٢).

وأخذ في المدينة كذلك عن **الشيخ عبد اللطيف العفالقي الأحسائي**(٣)، **والشيخ محمد العفالقي الأحسائي**(٤).

- **أبرز تلاميذ الإمام محمد بن عبد الوهاب:**

o **الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.**

ولد في مدينة الدرعية ونشأ فيها، وكان كفيف البصر واعي البصيرة، فقرأ على والده وعلى غيره من علماء الدرعية، حتى أدرك وصار له معرفة تامة في أصول العلم وفروعه، إلى أن صار من العلماء توفي سنة (١٢٢٤هـ)(٥).

o **الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.**

هو العالم الجليل والفقيه الورع الزاهد الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ويكنى بأبي سليمان.

ولد هذا العالم سنة ١١٦٥هـ في بلدة الدرعية في بيت علمٍ وشرفٍ ودين، ورباه والده أحسن تربية وقرأ القرآن وحفظه وهو يافع ثم حفظه عن ظهر قلب وكان يدارس أباه القرآن وشرع في طلب العلم بهمة عالية ونشاطٍ ومثابرة فقرأ على علماء الدرعية والوافدين إليها ومن أبرز مشايخه والده الشيخ محمد فقد لازمه مدة

---

(١) ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون (٢/ ٦٢٧)، وينظر: الدرر السنية (١٢/ ٧).

(٢) ينظر: الدرر السنية (١٢/ ٧).

(٣) ينظر: عقيدة الشيخ للعبود (ص ١٠٣).

(٤) ينظر: المرجع نفسه (ص ١٠٤).

(٥) ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٢٢٠).

حياته في جلساته كلها وتوفي بمصر سنة ١٢٤٢ هـ [(١)].

o **الشيخ علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.**

الشيخ الفقيه علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ولد في مدينة الدرعية، ولكن لم تعرف سنة ولادته على التعيين، وقد نشأ بها فلما شب شرع في طلب العلم، وكانت حلقات والده عامرة بالعلم، فأخذ يقرأ عليه ويستفيد من قراءة غيره، حتى أدرك قسطاً وافراً من العلم في التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول ذلك وعلوم العربية وتوفي بمصر سنة ١٢٤٥ هـ [(٢)].

o **الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب**

الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ولد في الدرعية ونشأ فيها وقرأ على والده.

قال الشيخ ابن بشر في تاريخه، وهو يذكر أبناء الشيخ محمد رحمه الله: (وأما إبراهيم ابن الشيخ فرأيت عنده حلقة في التدريس، وله معرفة في العلم، ولكنه لم يلِ القضاء، قرأت عليه في صغري كتاب التوحيد سنة أربع وعشرين ومائتين وألف).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: (الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد – رحمه الله – هو الثقة العابد الورع، ولم أقف له على وفاة، ولكنه موجود سنة ١٢٥١هـ في مصر، وتوفي بها. رحمه الله)[(٣)].

----

(١) ينظر: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد (١/ ٣٢٢) ، والدرر السنية جمع القاسم (١٢/ ٤٥).

(٢) ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٥/ ٢٨٤) ، الدرر السنية (١٢/ ٤٧).

(٣) ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ٤١٧) ، والدرر السنية (١٢/ ٤٧).

- **الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب**[(١)].

ولد سنة ١١٩٦هـ، في الدرعية وشب بها، أخذ العلم عن جده الشيخ محمد وعمومته، وأخذ العلم عن علماء مصر، وكان رحمه الله له اليد الطولى في الأصول والفروع، حتى لم يكن في زمانه أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أتبع للسنة منه، أجمع على إمامته في الدين أهل نجد والأمصار، وشاع صيته في الأقطار وشمائله، توفي رحمه الله سنة ١٢٨٥هـ[(٢)].

- **الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر.**

الشيخ حمد بن ناصر بن الأمير عثمان بن حمد بن عبد الله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن محمد بن معمر، ولد في مدينة العيينة عام ١١٦٠هـ وذلك وقت إمارة جده عثمان بن حمد بن معمر على العيينة، وهو من أشهر أمرائها، وهو مع طلاب العلم في الدرعية يقرأ على كبار رجال الدعوة، فكان من مشايخه: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الشيخ حسين بن غنام، الشيخ حمد بن مانع، توفي بمكة عام ١٢٢٥هـ[(٣)].

- **الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين.**

هو الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد الملقب بالحصين.

ولد في قرية الوقف عام ١١٥٤هـ، ثم شرع في القراءة على قاضي بلده الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الله بن العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل الأشيقري.

---

(١) ينظر: عنوان المجد لابن بشر (١/ ٩٣).

(٢) ينظر: الدرر السنية (١٦/ ٤٠٤).

(٣) ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/ ١٢١).

فلما استقرت الدعوة السلفية في مدينة الدرعية وأصبحت مهاجراً لطلاب العلم رحل إليها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله فوجد فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب باذلاً قصارى جهده لتعليم الناس وإرشادهم وكانت الدرعية يومئذٍ تموج بالعلم والعلماء، توفي بشقراء سنة ١٢٣٧هـ[١].

- **الشيخ سعيد بن حجي.**

الشيخ سعيد بن حجي رحل إلى الدرعية، فقرأ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما أخذ عن ابنيه الشيخ عبد الله والشيخ حسين وقرأ على الشيخ حمد بن ناصر بن معمر وغيره من علماء الدرعية، توفي سنة ١٢٢٩هـ[٢].

- **عبد الرحمن بن خميس.**

هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن خميس من سكان الدرعية ، عاش فيها وصار من أكبر تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأدرك عليه من العلوم ما أهله لأن يتردد ذكره مع أسماء العلماء الكبار من علماء الدرعية[٣].

- **الشيخ عبد الرحمن بن نامي.**

الشيخ عبد الرحمن بن نامي ، ولد الشيخ عبد الرحمن في مدينة العيينة، ونشأ بها ، ثم قرأ على علمائها ، وكان ممن تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حينما كان في العيينة فهاجر إليه في الدرعية ، وقرأ عليه واستفاد منه، توفي سنة ١٢٣٤هـ[٤].

---

(١) ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون (٢/ ٤٧٦).

(٢) ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/ ٢٥٨).

(٣) ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ١٦٨).

(٤) ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون (٢/ ٤٣٢).

- **الشيخ محمد بن سلطان العوسجي.**

الشيخ محمد بن سلطان العوسجي الدوسري وآل عوسج بطن كبير من قبيلة الدواسر الشهيرة.

ولد في بلدة ثادق عاصمة بلدان المحمل، نشأ فيها وأخذ مبادئ الكتابة والقراءة ثم رحل إلى الدرعية، وهي في أوج عزها علماً وحركةً وعمراناً، فشرع في القراءة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ثم على ابنه العلامة الشيخ عبد الله بن محمد وعلى الشيخ الفقيه حمد بن ناصر بن معمر حتى حصل في التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول هذه العلوم، توفي عام ١٢٢٣هـ[(١)].

- **الشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن أبا حسين.**

الشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن بن عثمان بن الشيخ حسن بن عبد الله بن حسن ابن علي بن أحمد آل أبا حسين ولد في بلدة أشيقر ونشأ بها ثم رحل إلى المجمعة في طلب العلم فأخذ الفقه عن قاضيها الشيخ أحمد بن محمد التويجري، ثم رحل إلى الدرعية وكانت آهلةً بالعلماء الذين على رأسهم الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب وابنه العلامة الشيخ عبد الله فتلقى العلم عنهما ولازم دروسهما حتى أدرك وصار من أهل العلم[(٢)].

- **الشيخ حسن بن عبد الله بن عيدان.**

الشيخ حسن بن عبد الله بن عيدان المشرفي الوهيبي ثم التميمي.

قدم الشيخ حسن إلى الدرعية في أوج عزها وزهرتها فقرأ على الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلى غيره من علماء الدرعية كالشيخ حمد بن ناصر بن معمر، توفي سنة ١٢٠٢هـ[(٣)].

---

(١) ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون (٣/ ٨٠٩).

(٢) ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون (٢/ ٣٩٨).

(٣) ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/ ٥١).

- **الشيخ عبد العزيز بن سويلم.**

الشيخ عبد العزيز بن سويلم العريني. ولد في بلدة الدرعية وكانت في وقت ولادته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فنشأ فيها فلما شب وأخذ مبادئ الكتابة والقراءة شرع في طلب العلم فتلقاه عن الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – ومازال مجداً في تحصيله عليه وعلى ابنه الشيخ عبد الله بن محمد حتى أدرك وتفقه ثم عينه الإمام عبد العزيز بن محمد قاضياً في مدينة بريده، توفي سنة ١٢٤٤هـ[١].

- **الشيخ حمد بن راشد العريني.**

الشيخ حمد بن راشد العريني، رحل إلى الدرعية لطلب العلم، فأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – وعن غيره من علماء الدرعية، فأدرك في الأصول والفقه، ثم عينه الإمام عبد العزيز بن محمد قاضياً في مقاطعة سدير بمشاورة من شيخه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فاستمر في القضاء بديانة وصيانة وعفة واستقامة، والظاهر أنه توفي آخر ولاية الإمام سعود[٢].

- **الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد آل سعود**

الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة المريدي الحنفي، ولد عام ١١٦٥هـ بالدرعية، نشأ الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد في جو معطر بروح الإسلام، فلا يسمع ولا يرى إلا ما يدور حول إعلاء كلمة الله تعالى، فطبعته بطبائع حب الإسلام، وهو ثالث أمراء آل سعود.

----

(١) ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون(٢/ ٤٦٣).

(٢) ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/ ٧٣).

قال ابن البشر: أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأقام مدة سنين يقرأ عليه، توفي سنة ١٢٢٩هـ[١].

o الشيخ محمد بن سويلم العريني.

الشيخ محمد بن سويلم العريني، ولد في الدرعية ونشأ فيها فصادفت نشأته ورغبته في العلم نهضتها بالعلم والدعوة الإصلاحية السلفية، فأخذ يتلقى العلم على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعن ابنيه العالمين عبد الله وحسين وغيرهم[٢].

o الشيخ حسين بن أبي بكر آل غنام.

الشيخ حسين بن أبي بكر آل غنام، ولد في بلدة المبرز، وهي من ضواحي الهفوف، نشأ في الأحساء، وأخذ في صباه مبادئ القراءة والكتابة.

ولما قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته، واتسعت بعد رحيله إلى الدرعية انتقل الشيخ حسين إلى الدرعية واتصل بالشيخ محمد بن عبد الوهاب، ودرس عليه كما درس على أبنائه وكبار تلاميذه، فشرب الدعوة وغرست بقلبه، فصار من كبار المدافعين عنها، والذايدين عن حياضها، توفي سنة ١٢٢٥هـ[٣].

• مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب:

أولاً: العقيدة:

١. **كتاب التوحيد:**

الذي هو حق الله على العبيد وهو أهم وأوسع كتب الشيخ رحمه الله، والمصادر

---

(١) ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/ ٢٤٢).

(٢) ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون (٣/ ٧٩٩).

(٣) ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٢/ ٥٦).

التاريخية[١] تدل على أنه من أول مؤلفات الشيخ وأن أبواب هذا الكتاب متضمنة تقرير التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة، والتحذير مما ينافي أصل التوحيد[٢] وقد لقي الكتاب قبولاً عظيمًا لدى العلماء والمتعلمين، واعتنوا به وخدموه، واستمرت العناية به إلى يومنا هذا، وكثرت الشروح والتعليقات عليه، فمنها تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إلا أنه لم يتم، فكان تمامه من تهذيب الشيخ عبد الرحمن بن حسن بدءًا من قوله: «باب ما جاء في المصورين» إلى نهاية الكتاب، ومنها فتح المجيد شرح كتاب التوحيد «وهو تهذيب وتقريب وتكميل لتيسير العزيز الحميد»، مع زيادة بعض النقول المستحسنة، تتميمًا للفائدة، وضعه الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ. وغير ذلك من الشروح والتعليقات المستمرة إلى الآن[٣].

٢. **أصول الإيمان:**

قد بين فيه الشيخ رحمه الله أبوابًا مختلفة من الإيمان بالأحاديث ويظهر أن بعض أولاد الشيخ قد أضاف شيئًا جديدًا إلى هذه الأبواب، وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة المنار بالقاهرة سنة ١٣٤٢هـ[٤].

---

(١) ينظر: تاريخ نجد لابن غنام (ص ٨٤)، وينظر: الدرر السنية (١٢/ ٧).

(٢) ينظر: منهج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التأليف (ص ١٧)، إعداد/ عبد المحسن العباد البدر، دار المغني، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

(٣) ينظر: عقيدة الشيخ للعبود (ص١٢٠).

(٤) ينظر: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية (ص ١٣)، إعداد الشيخ/ أحمد بن عبد العزيز آل مبارك، ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٠هـ.

٣. **فضائل الإسلام:**

بين الشيخ في هذا الكتاب محاسن الإسلام وتفسيره ووجوب طاعة الله وغربة الإسلام وفضل الغرباء وغير ذلك[١].

٤. **ثلاثة الأصول:**

معرفة الرب، ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة الرسول، هذه الأصول الثلاثة التي وضحت في هذه الرسالة بأسلوب سهل[٢]، وقد عنونت هذه الرسالة بعناوين تختلف بترتيب ألفاظها، وبالألفاظ ذاتها وبالاختصار والطول، فمرة بعنوان: «ثلاثة الأصول»، وثانية: «ثلاثة الأصول وأدلتها»، وثالثة: «الأصول الثلاثة وأدلتها»، ورابعة: «الأصول الثلاثة الواجبة على كل مسلم ومسلمة»، وخامسة: «تلقين أصول العقيدة»، وسادسة: «أصول الدين الإسلامي»، وسابعة: «مبادئ الإسلام».

وهذه العناوين موضوعها واحد وإن اختلفت محتوياتها طولاً وقصرًا[٣].

٥. **القواعد الأربع:**

تناول في هذا الكتاب بعض نواحي التوحيد بأسلوب سهل ومؤثر وجذاب[٤].

٦. **مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان ومسائل الجاهلية:**

ذكر فيها الشيخ مائة وإحدى وثلاثين مسألة خالف فيها الرسول ﷺ أهل الجاهلية وعلق عليه الأستاذ محمود شاكر الألوسي المتوفى سنة ١٣٤٢هـ[٥].

---

(١) ينظر: حياة الشيخ لأحمد بن عبد العزيز (ص١٣).

(٢) ينظر: المرجع نفسه (ص١٢).

(٣) ينظر: عقيدة الشيخ للعبود (ص١٢١).

(٤) ينظر: حياة الشيخ محمد (ص١٢).

(٥) ينظر: المرجع نفسه (ص ١٣).

٧- **الكبائر:**

وقد ذكر فيه الشيخ رحمه الله جميع الكبائر واحدة واحدة مفصلة، والحق أن المصنف لم يكتب في هذا الكتاب من عنده إلا القليل[١].

٨- **كشف الشبهات:**

هذا الكتاب أزال فيه الشيخ الشبهات التي كانت تعرض للعامة حول التوحيد الخالص وهي رسالة صغيرة لكنها تشتمل على معانٍ وحقائق مفيدة[٢].

٩- **مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد:**

ذكر فيها أحكام المرتد والتكفير والأمور التي تؤدي بالإنسان إلى الكفر والخروج من الدين، وطبعت هذه الرسالة مع مجموعة مؤلفات الشيخ، بتحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري في الرياض[٣].

١٠- **رسالة في الرد على الرافضة:**

طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود ضمن مطبوعاتها لمؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، وجاء في أولها قول هذا نصه: «فهذا مختصر مفيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب» فلعله هو مختصر المنهاج الذي ذكره ابن قاسم[٤]، والمنهاج هو منهاج أهل السنة رد على الرافضة لابن تيمية[٥].

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص ١٣).

(٢) ينظر: المرجع نفسه (ص ١٢).

(٣) ينظر: المرجع نفسه (ص ١٣).

(٤) ينظر: الدرر السنة (١٦/ ٣٣٨).

(٥) ينظر: عقيدة الشيخ للعبود (ص ١٢٨).

ثانيًا: التفسير:

١. **تفسير آيات من القرآن الكريم:**

مجموعة لبعض تعليقات الشيخ على آيات وسور مختلفة من القرآن الكريم، وقد استنبط من آية واحدة عدة مسائل(١).

٢. **مختصر تفسير سورة الأنفال:**

عبارة عن مختصر من مجموعة تفاسير كابن كثير والطبري وابن الجوزي وغيرها من تفاسير السلف الصالح(٢).

٣. **كتاب فضائل القرآن:**

ذكر فيه فضائل القرآن وتعلمه وتعليمه وآداب تلاوته من الكتاب والسنة وطبع بتحقيق وتعليق مع مؤلفات الشيخ بالرياض(٣).

٤. **تفسير سورة الفاتحة:**

وهو تفسير موجز جدًا لسورة الفاتحة، إلا أن حماسة الشيخ في التوحيد تبدو واضحة جلية في الكتاب(٤).

ثالثًا: الحديث:

١. **مجموع الحديث على أبواب الفقه:**

الكتاب كبير الحجم بلغت فيه الأحاديث المرفوعة والموقوفة حوالي ستة وأربعين ألف حديث عدا الآثار من أقوال التابعين وفتاوى الأئمة المجتهدين، والكتاب واسع في ذكر أحاديث الأحكام وفتاوى التابعين والأئمة والإجماع والتصحيح

---

(١) ينظر: حياة الشيخ (ص ١٥).

(٢) ينظر: عقيدة الشيخ للعبود (ص١٣٥).

(٣) ينظر: حياة الشيخ (ص ١٥).

(٤) ينظر: المرجع نفسه (ص ١٥).

والتحسين والتضعيف وما قيل في الرواة المختلف في الاحتجاج بهم[١].

٢. **أحاديث الفتن والحوادث:**

صدرها بالأحاديث التي تحث على المبادرة إلى أداء الأعمال الصالحة، ثم استمر في ذكر ما سيقع بعد الرسول ﷺ من الفتن وأشراط الساعة وأخبارها بما يتصل بالدجال وعيسى عليه السلام والدابة وغير ذلك[٢].

رابعًا: الفقه:

١. **مختصر الإنصاف والشرح الكبير:**

يعتبر هذا الكتاب أكبر مؤلف بين مؤلفاته الفقهية، تصرف الشيخ رحمه الله في الشرح الكبير بتقليل العبارات وحذف التعليلات والأدلة أحيانًا والاستغناء بالبعض منها أحيانًا كثيرة وحذف بعض الأقوال، أما المسائل والموضوعات الفقهية التي وردت بعنوان مستقل في الشرح الكبير فإنه لم يتصرف فيها بالحذف بل أوردها مدمجة بعضها ببعض دون تمييز بينها في التبويب[٣].

٢. **الطهارة:**

عرض فقهي كامل لأحكام وأبواب الطهارة في أسلوب واضح مبسط، اعتنى فيه بذكر الخلاف في إظهار المذهب الحنبلي حينًا.

---

(١) ينظر: عقيدة الشيخ (ص١٢٤).

(٢) ينظر: اعتماد فقه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة (١/ ٣٦٧)، للشيخ صالح ابن عبد الرحمن الأطرم، ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بجامعة الإمام بن سعود، ط٢، ١٤١١هـ.

(٣) ينظر: خصائص التفكير الفقهي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٤٠٦)، الدكتور/ عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، ضمن مجموعة بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جامعة الإمام محمد ابن سعود، ط٢، ١٤١١هـ.

وأسلوب الشيخ رحمه الله في هذا الكتاب شكلاً ومضمونًا يأتي منسجمًا متجانسًا مع مؤلفاته الأخرى؛ ولذا فإنه لم يصعب على المحققين تبينه[(١)].

٣. **شروط الصلاة وأركانها وواجباتها:**

هو استكمال للتأليف في موضوع الصلاة فيكون هذا الكتاب كالتتمة للموضوع السابق وهو في نفسه موضوع تمهيدي سابق على كتاب "آداب المشي إلى الصلاة"[(٢)].

٤. **آداب المشي إلى الصلاة:**

وهو عنوان أول أبواب الكتاب؛ حيث إنه يبدأ بباب آداب المشي إلى الصلاة، ويثنِّي بباب صفة الصلاة، وهكذا حتى عشرين بابًا في الصلاة والزكاة والصيام، فأصبح مضمون الكتاب لا يقتصر على مدلول العنوان، كما أن العنوان لا يدل على كل ما تضمنه الكتاب[(٣)].

٥. **الزكاة:**

جمع الشيخ أحاديث في أحكام الزكاة على منهج الفقهاء ولم يكد ينهي مسألة من مسائل الفقهاء إلا ذكر دليلها[(٤)].

٦. **الصيام:**

جمع الأحاديث في أحكام الصيام تحت عناوين أبواب الفقه وسلك منهجا لم يسلكه كثير من مؤلفي أحاديث الأحكام حيث صدَّر كتاب الصيام بذكر شيء من فضائله وخصائصه، وخصائص شهر رمضان[(٥)].

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص ٤٠٦).

(٢) ينظر: المرجع نفسه (ص ٤١١).

(٣) ينظر: عقيدة الشيخ (ص ١٣٥).

(٤) ينظر: اعتماد فقه دعوة الشيخ (ص ٣٥٨).

(٥) ينظر: المرجع نفسه (ص ٣٦٠).

٧. **أحكام تمني الموت:**

هو مجموعة أحاديث تتناول أمورًا تتعلق بالموت والقبر، وحالة الأرواح المقبوضة في البرزخ، ليست مبوبة بعناوين سوى الفهرس الذي هو من عمل المصحح، ويظهر أنه اختصار لكتاب الروح لابن قيم الجوزية[١].

خامسًا: السيرة:

مختصر سيرة الرسول ﷺ:

إنه اختصار من كتاب السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري المؤرخ المشهور، فهو كتاب وجيز يعد خلاصة لسيرة الرسول ﷺ[٢].

سادسًا: المختصرات والملخصات:

١. **مختصر زاد المعاد لابن القيم:**

إنه الاختصار الجميل، فيه الفائدة العظيمة لرؤوس المسائل لمن قصرت همته عن قراءة أصل الكتاب وفي هذا المختصر اتضح ميول الشيخ إلى الدليل وترك أقوال المذهب المرجوحة[٣].

٢. **مبحث الاجتهاد والاختلاف:** عنوان هذا الكتاب يختلف عن موضوعه، إذ أن محتواه هو حجية قول الصحابي والاختلاف في ذلك، وهو عبارة عن تلخيص لكتاب إعلام الموقعين لابن القيم، وهو تلخيص مركز متين بأسلوب سهل مبسط توصل فيه إلى نفس النتائج التي توصل إليها ابن القيم [٤].

ﱠﱠﱠ

---

(١) ينظر: عقيدة الشيخ (ص ١٢٥).

(٢) ينظر: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية، إعداد الشيخ/ أحمد بن عبد العزيز آل مبارك (ص١٥).

(٣) ينظر: اعتماد فقه دعوة الشيخ (١/ ٣٧٢).

(٤) ينظر: خصائص التفكير الفقهي (ص ٤١٢).

المطلب الثالث

منهجه في الدعوة إلى العقيدة والاستدلال عليها

كانت العقيدة الصحيحة هي أساس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهي التي من أجلها كافح ونافح، وبخاصة وأن مجتمعه كان فيه شركيات وبدع كما مر معنا. ومن أجل تصحيح عقائد الناس فقد دعا بلسانه وبقلمه فجادل الخصوم وبين الحق للناس وكتب الرسائل وألف الكتب.

وكان منهجه في العقيدة مأخوذًا من الكتاب والسنة وفق منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

فقد اعتمد رحمه الله في الاستدلال على العقيدة على كتاب الله وتفاسيره المعتمدة عند السلف الصالح، وكذلك السنة المطهرة وشروحها المعتبرة من علماء الأمة الذين عرفوا بصفاء العقيدة وسعة العلم، وإجماع السلف الصالح والاجتهاد والقياس والموازنة في بعض المسائل مع الترجيح لما يوافق النصوص، وقدأفصح عن منهجه رحمه الله فقال: «مذهبنا في الأصول، مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريقة السلف، التي هي الطريق الأسلم بل والأعلم والأحكم»(١).

تميز منهجه في الدعوة إلى العقيدة من خلال المناصحة والمناظرة والرسائل والتدريس والتأليف بما يلي(٢):

١ـ التركيز على القضايا والمسائل المهمة في الجوانب العلمية والعملية، وأهمها القضية

---

(١) ينظر: الدرر السنية (١/ ٢٢٦).

(٢) ينظر: مواقف المستشرقين من دعوة الشيخ محمد، للشيخ الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي (ص١٧).

الكبرى وهي تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ومحاربة الشرك والبدع والخرافات.

٢ـ الاعتماد الكلي على الدليل الشرعي من الكتاب والسنة والإجماع، وربط القارئ بالفهم المباشر من النصوص الشرعية، وتعظيم الدليل الشرعي في نفسه وضرورة احترامه وتعظيمه والتسليم له، وترتب على هذا خلو مؤلفاته من المصطلحات الكلامية والتعقيدات الفلسفية والتعبيرات الصوفية.

٣ـ سلاسة الأسلوب ووضوح العبارة والبعد عن التطويل وحشو الكلام وتفصيل الجزئيات وفروعيات المسائل.

٤ـ قوة التأثير في العبارة، وشعور القارئ بصدق اللهجة وبذل النصيحة ومحبة الهداية للقارئ، وفي هذا يقول الأستاذ مسعود الندوي: «فإن كل سطر من سطوره ممتلئ بالتأثير، ولعل سببه كامن في ذلك الشعور الديني الوقاد الذي كان يقض مضجعه طوال حياته.. وبالجملة فإن جميع مؤلفاته الصغيرة والكبيرة مليئة من هذا التأثير، ويظهر هذا أشد وأكثر في رسائله»[1].

٥ـ تنوع التأليف وعدم الاقتصار على فن واحد كما مر معنا في مؤلفاته رحمه الله.



---

(١) ينظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم (ص١٢٣).

المبحث الثاني
الاستشراق

ويتكون من ستة مطالب:

المطلـــــب الأول: تعريفه وجذوره التاريخية.

المطلــب الثــاني: دوافعه وأهدافه وخصائصه.

المطلــب الثالــث: أبـرز المستشـرقين الـذين تنـاولوا دعـوة الإمـام محمد بن عبد الوهاب في كتاباتهم.

المطلــب الرابــع: دوافع الرحلات للمستشرقين.

المطلـب الخـامس: مصـادر المستشـرقين عـن دعـوة الإمـام محمـد ابن عبد الوهاب.

المطلـب السـادس: التسمية بالوهابية.

المطلب الأول

تعريف الاستشـراق وجذوره التاريخية

لقد تباينت الرؤى في تعريف الاستشراق، وفي تاريخ نشأته، وأشير الآن إلى بعض التعريفات تمهيدًا للولوج في الموضوع.

المعنى اللغوي للاستشراق:

والاستشراق لغة: مشتق من كلمة «شرق» وهي جهة شروق الشمس، والتَّشريق: الأخذ في ناحية المشرق، وشرَّقوا: ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق(١).

والسين في كلمة «الاستشراق» تفيد الطلب.

وبعض المصادر اللغوية الحديثة تقول: «استشرق: طلب علوم الشرق، ولغاتهم «مولدة عصرية» يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة»(٢).

والاستشراق تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق(٣).

والمراد بالشرق من الناحية الجغرافية والتاريخية:

«هو مجموعة الأقطار المنتشرة في آسيا وبعض الأقطار في أفريقيا مما يطل على حوض البحر الأبيض المتوسط وبعض أجزاء من أوروبا الشرقية، وذلك بالنظر إلى الروابط التاريخية والدينية واللغوية التي تربط بين هذه الأقطار»(٤).

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (٨/ ٦٤)، طبع دار صادر، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م.

(٢) معجم متن اللغة، الشيخ أحمد رضا (٣/ ٣١٠)، طبع مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨م.

(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٩٧)، إشراف ومراجعة الدكتور مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض، ط٣.

(٤) مناهج في البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، محمد مغلي (ص٣١)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ.

وممن أكد هذا التقسيم المستشرق بارت في كتابه الدراسات العربية والإسلامية[(١)].

«فالشرق إذن مناطق كثيرة تتوزع على فضاءات جغرافية متعددة، فهناك الشرق الأدنى والأوسط والأقصى»[(٢)].

وفي الحقيقة أن هذا التقسيم للشرق هو من وضع مفكري الغرب، فالأوروبيون في عصور الاستعمار قسموا العالم إلى «شرق» و«غرب» ويعنون بالغرب أنفسهم، ويعنون بالشرق أهل آسيا وأفريقيا الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم، والكلمة إن كانت حديثة اصطلاحًا واستعمالاً فهي قديمة في مفهومها ودلالتها. فقد كان في العالم منذ زمن قديم قوتان تصطرعان وتتنازعان السيادة، إحداهما في الشرق، والأخرى في الغرب. تمثل ذلك في الصراع بين الفرس والروم، ثم في الصراع بين المسلمين والروم مدًا وجزرًا، ثم كان آخر فصول هذه الملحمة الصراع بين الشرق ممثلاً في آسيا وأفريقيا، وبين الغرب ممثَّلاً في أوروبا وأمريكا[(٣)].

ولفظ الشرق الأوسط فقط يطلق عادة على المنطقة العربية فقط[(٤)].

وظاهر من هذا الاصطلاح قصد إبعاد الصفة الإسلامية عن هذا الجزء المهم من العالم.

---

(١) ينظر: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية منذ تيودور نولدكه لبارت، ترجمة: مصطفى ماهر (ص ١٢)، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

(٢) مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين (ص٣٢).

(٣) ينظر: الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين (ص٧).

(٤) الاستشراق والمستشرقون قراءة تاريخية موجزة، أ.د. محمد الجليند (ص١٠)، نقلاً عن مواقف المستشرقين من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، للشيخ الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي (ص ٢٠).

ويبدو لي أن المراد من مصطلح الشرق المعنى المعنوي وليس الحسي كما سيتضح ذلك من خلال التعريف الاصطلاحي للاستشراق.

المعنى الاصطلاحي للاستشراق:

قد يختلف الباحثون بعض الشيء في المراد من مصطلح الاستشراق، وتعريفاتهم له تأخذ بعض الاتجاهات تبعًا لموقفهم منه، فبينما يرى بعضهم أنه ميدان علمي من ميادين الدراسة والبحث، يتجه آخرون إلى اعتباره مؤسسة غربية ذات أهداف متعددة، وبعضهم يرى أنه ظاهرة طبيعية تولدت عن حركة الصراع بين الشرق والغرب، أو في فهم أضيق نطاقًا، بين الإسلام والنصرانية[1]، وهذا الاختلاف إن وُجد فإنه لا يُعدُّ جوهريًا؛ حيث أنها لا تخرج عن دراسة الغرب للشرق في شتى مناحيه، والآن أستعرض بعضًا من هذه التعريفات:

(أ) مفهوم الاستشراق لدى علماء الغرب:

عرف قاموس إكسفورد الاستشراق بأنه: «دراسة الشخصية الشرقية، من ناحية الأسلوب والخواص والصفات وطرق التفكير والتعبير وأنواع الملابس... إلخ، الخاصة بتلك الأمم الشرقية، كما أنه يعني أيضًا دراسة العلوم الشرقية أو معرفة لغات الشرق»[2].

أما المستشرق آربري[3] فقد توسع في تعريف الاستشراق بحيث شمل دراسة

---

(١) ينظر: الاستشراق أهدافه ووسائله، د. محمد فتح الله الزيادي (ص١٥)، دار قتيبة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.

(٢) ينظر: قاموس اكسفورد نقلاً عن الاستشراق والتربية، هاني محمد يونس (ص٢٦)، دار الفكر، الأردن، ط١، ١٤٢٤هـ.

(٣) هو: جون آرثر آربري، المولود عام ١٩٠٥هـ، وهو مستشرق إنجليزي، أتقن العديد من اللغات

الغربيين للشرق في شتى ما يتصل بالشرق من علوم مختلفة فعالم الآثار والمؤرخ أو الموسيقي أو الفيلسوف وغيرهم، فكل هؤلاء يدخلون في مدلول الاستشراق[1].

وقال رودي بارت[2]: «الاستشراق هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي»[3].

ومنهم من جعل الاستشراق بابًا من أبواب تاريخ الروح الإنساني كالمستشرق جويدي، فقد تعمق في ربط العلاقة بين الغرب والشرق من خلال ما أسماه بتاريخ الروح الإنساني، لأن قوى الروح واستعدادها للتحولات التاريخية تختلف باختلاف الزمان والمكان[4].

(ب) مفهوم الاستشراق عند العرب:

وأما علماء العرب فقد عرفوا الاستشراق بتعريفات متقاربة لابد من الإشارة إلى بعضها:

يقول أحمد حسن الزيات: «يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ

الشرقية، وكان رئيسًا لقسم الدراسات القديمة بالجامعة المصرية، وانتخب عضوًا في بعض المجامع العلمية. ينظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، ج١، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨٠م.

(١) ينظر: المستشرقون البريطانيون، تعريب محمد الدسوقي (ص ٧)، مطبعة وليان كولينز بلندن، نقلاً عن الاستشراق والتربية للدكتور هاني يونس (ص ٢٧).

(٢) بارت: هو رودي بارت، مستشرق ألماني، ظهر في القرن العشرين. ينظر: الاستشراق والتربية (ص ٢٤٢).

(٣) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (ص ١١).

(٤) ينظر: عالم الشرق وتاريخ العمران، م.أ. جويدي (ص ١١)، الزهراء، ١٣٤٧هـ، نقلاً عن افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها، للدكتور يحيى مراد (ص ٩)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ.

الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته، وأساطيره»[١].

ويقول محمد عبد الغني: «الاستشراق هو اشتغال غير الشرقيين بدراسة لغات الشرق وحضاراته وفلسفاته وأديانه وروحانياته، وأثر ذلك في تطور البناء الحضاري للعالم كله»[٢].

ويعرف إدوارد سعيد الاستشراق، بأنه «أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه (أي بناء ذلك الشرق طبقًا للمفاهيم الغربية) وامتلاك السيادة عليه»[٣].

ويذهب محمود زقزوق إلى أن الاستشراق «أيديولوجية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات»[٤].

ويلاحظ من التعريفات السابقة أن بعضها يذكر الهدف من دراسة الشرق وبعضها لا يذكر ذلك، وبناء على ذلك يمكن الخروج بالتعريف التالي للاستشراق - وهو ما عرفه د. عدنان وزان - بأنه: «مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعني بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة

---

(١) ينظر: تاريخ الأدب العربي، أحمد الزيات (ص ٥١٢)، ط٢٥، نقلاً عن افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها (ص١٢).

(٢) ينظر: أعلام العرب (حسن عبد الله الفكري)، محمد عبد الغني (ص ٨٩)، نقلاً عن افتراءات المستشرقين (ص ١٣).

(٣) الاستشراق، المعرفة - السلطة - الإنشاء، إدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب (ص ١٤٥)، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

(٤) ينظر: قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام، محمود حمدي زقزوق (ص٨١)، دار المنار، القاهرة، ١٩٨٨م، نقلاً عن الاستشراق والتربية (ص ٣٠).

الإسلام والعرب بصفة خاصة»[(١)].

من هو المستشرق؟

اختلف المتخصصون في تعريف المستشرق كاختلافهم في تعريف الاستشراق، يقول علي العناني المستشرق هو: «المشتغل بالعقليات الشرقية سواء أكانت سامية أو غير سامية»[(٢)].

ويقول أحمد الشرباصي بأن المستشرقين هم: «قوم من أوروبا، نسبوا أنفسهم إلى العلم والبحث وشغلوها في أغلب الأحيان بالبحث في التاريخ والدين والاجتماع، وكل منهم تعلم اللغة العربية بجوار لغته الأصلية ليدرس حضارة الشرق وعلومه وآدابه»[(٣)].

ويعرف بعضهم المستشرق بأنه: «الباحث في فرع من فروع المعرفة التي تتعلق بقريب أو بعيد بهذا الشرق»[(٤)].

وقد ذكر الأستاذ محمد البشير مغلي اشتراط بعضهم أن يكون المستشرق منتميًا

---

(١) الاستشراق والمستشرقون، د. عدنان وزان (سلسلة دعوة الحق، ص٢٤)، رابطة العالم الإسلامي، مكة، ١٤٠٤هـ.

(٢) افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها، د/ يحيى مراد، (ص١٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.

(٣) ينظر: التصوف عند المستشرقين، أحمد الشرباصي، (ص٦)، نقلاً عن افتراءات المستشرقين (ص ١٣).

(٤) مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، محمد البشير مغلي، (ص ٣٦)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ.

للغرب[١].

أما الدكتور علي النملة فقد بين أنه ليس المراد بالمستشرق شخصًا غربيًا غير مسلم، بل إن غير الغربيين كذلك ممن يدرسون الإسلام وهم لا ينتمون إليه يعتبرون من المستشرقين، ولو لم يكونوا من الغرب، بما في ذلك الذين ينسلون من أصل عربي، سواء بقوا بين العرب أو انتقلوا إلى الغرب يعملون في مؤسساته العلمية، أو من أصبح مقامهم بين العرب ولسانهم عربيًا، ولكنهم آثروا البقاء على عقيدتهم اليهودية أو النصرانية على الدخول في الإسلام[٢].

والجدير بالذكر أن أغلبية المستشرقين المعاصرين يحاولون التهرب من هذا المصطلح ومنهم برنارد لويس؛ حيث قال: «لقد أصبحت كلمة مستشرق منذ الآن فصاعدًا ملوثة، وليس هناك أي أمل في الخلاص»[٣].

ويقول أندريه ميكيل: «أنا لست مستشرقًا، فأرفض هذه الكنية، أنا عروبي سحرني الأدب العربي، فانكببت عليه بحثًا ودراسة»[٤].

والسبب في هذا التهرب أوضحته المستشرقة ناديا أنجيليسكو بقولها: «إن القدرة على التمييز والتمحيص، التي اتسم بها الفكر العربي والإسلامي، قد وفّقت

---

(١) ينظر: المرجع نفسه (ص ٣٧).

(٢) ينظر: الاستشراق والدراسات الإسلامية، د. علي النملة (ص١٢٤)، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

(٣) الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، برنارد لويس، ترجمة: هاشم صالح (ص ١٦٣)، نقلاً عن الشرق والغرب محددات العلاقات ومؤثراتها، د. علي إبراهيم النملة (ص ١١٦)، مطابع الحميضي- الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

(٤) الشرق والغرب، محددات العلاقات ومؤثراتها، د/ علي النملة (ص ١١٤).

إلى تعرية الاستشراق، وبيان ما حمل من ضرر على الفكر والثقافة في إجماله، وبالتالي كانت هناك طروحات قوية، وقفت في وجه الاستشراق والمستشرقين، مما أدى إلى تقليص النفوذ الاستشراقي...»[١].

وفي الحقيقة إن الغرب إن تخلى عن المصطلح، لكنه لم يتخلَّ عن المنهج والأهداف والأغراض؛ لذا نجدهم استبدلوا «مراكز المعلومات» أو «دراسات الشرق الأوسط» أو «الدراسات الشرقية» ونحو ذلك بكلمة «الاستشراق»، وهذا هو الثوب الجديد للاستشراق الجديد.

ولهذا يقول الدكتور مازن مطبقاني: «إن الاستشراق لم ينته وإنما الأمر تغيير الاسم، وإلا فإن الاهتمامات ما تزال كما هي وقد كثرت التخصصات حتى لا يمكن لباحث واحد أو لمجموعة كبيرة من الباحثين متابعة ما يجري في الساحة الاستشراقية أو ساحة الدراسات العربية والإسلامية في الغرب لكثرة هذه الأقسام وكثرة نشاطاتها»[٢].

الجذور التاريخية للاستشراق:

اختلفت الآراء حول بداية الاستشراق، ويصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق تبعًا لاختلاف الباحثين في المراد منه.

ومع ذلك فإن بعض الباحثين يرى أنه أصبح تخصصًا رسميًا في العالم الغربي بناء على قرار فيينا الكنسي الصادر عام ١٣١٢م ـ ٧٣٣هـ الذي نص على إنشاء عدد من كراسي اللغة العربية والعبرية والسيريانية واليونانية في عدد من الجامعات الأوروبية،

---

(١) المرجع السابق (ص١١٦).

(٢) الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، د: مازن صلاح مطبقاني، (ص ٤٩)، دار إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

وهذا يشير إلى أن هناك بداية غير رسمية للاستشراق قبل هذا التاريخ[1].

ويمكن حصر آراء الباحثين في تاريخ الاستشراق في النقاط التالية:

١ـ يرجع بعض الباحثين نشأة الاستشراق إلى أواخر القرن السابع الميلادي ويستندون في ذلك إلى كتابات بعض النصارى عن الإسلام مثل يوحنا[2] الدمشقي[3].

٢ـ ذهب أحمد سمايلوفيتش إلى أن البدايات الأولى لظهوره ترجع إلى القرن الثامن الميلادي[4].

٣ـ ويرى الكثرة من الباحثين أنه نشأ في القرن العاشر الميلادي حين بدأت التلمذة الغربية على الشرق التي كان رائدها الراهب جربرت[5]، الذي تعلم العربية في قرطبة ثم عاد إلى بلاده ليتولى البابوية[6]، وممن ذهب إلى ذلك نجيب العقيقي[7].

---

(١) موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية، مجدي محمد فتح الباب (ص١٧)، دار الروضة، القاهرة.

(٢) يوحنا: هو حفيد منصور بن سرجون وزير معاوية بن أبي سفيان، عاش ما بين ٦٧٦م و ٧٤٩م. ينظر: الاستشراق أهدافه ووسائله للزيادي (ص ٢٤).

(٣) ينظر: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش، (ص ٦٩)، ط القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م.

(٥) جربرت: بابا فرنسي، وهو البابا الوحيد الذي تعلم العربية وأتقن العلوم عند العرب وعلى أيدي العرب في أسبانيا، ولد سنة ٩٣٠م، وانتخب بابا كنيسة روما الكاثوليكية عام ٩٩٩م، وتوفي عام ١٠٠٣م. ينظر: موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي (ص ١٧٨)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣١، ١٩٩٣م.

(٦) ينظر: الاستشراق للزيادي (ص ٢٤).

(٧) ينظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، (١/ ١١٠) و(٣/ ٦٢٥)، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨١م.

٤ـ وذهب محمود زقزوق إلى أن البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى القرن الحادي عشر[١] حيث تُرجم القرآن الكريم كاملاً على يد (بيترفيل)[٢].

٥ـ وهناك من يقول: إن الاستشراق، نشأ في القرن الثاني عشر، ويستدل على ذلك بظهور أول نتاج استشراقي تمثل في أول ترجمة لمعاني القرآن، وكذلك ظهور أول قاموس لاتيني عربي[٣].

٦ـ وأخيرًا فإن بعض الباحثين يرجع نشأة الاستشراق إلى القرن الثامن عشر، متخذًا من حملة نابليون على مصر نقطة انطلاق الحركة الاستشراقية[٤].

أما ظهور هذا المصطلح رسميًا فكان في عام ١٧٧٩م بالنسبة للغة الإنجليزية، وفي عام ١٨٣٨م دخلت كلمة الاستشراق على معجم الأكاديمية الفرنسية[٥].

مراحل الاستشراق:

مرت حركة الاستشراق منذ نشأتها الأولى حتى القرن العشرين بثلاث مراحل[٦]:

المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والتكوين:

---

(١) ينظر: في مواجهة الاستشراق، محمود حمدي زقزوق، مجلة المسلم المعاصر عدد ٦٥ ـ ٦٦، بيروت، نقلاً عن الاستشراق والتربية (ص ٣٣).

(٢) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د. سعد الدين السيد صالح (ص٨٥)، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط١، ١٤١٩هـ.

(٣) الاستشراق للزيادي (ص٢٤).

(٤) المرجع نفسه (ص٢٥).

(٥) ينظر: افتراءات المستشرقين (ص١٠).

(٦) ينظر: المرجع نفسه (ص ٤٩).

لقد كان ميلاد الاستشراق في القرن الثامن الميلادي كعلم متميز وأخذ يترعرع في كنف الكنيسة، وقد اتسمت هذه العصور كلها بتعصبها الأعمى ضد الإسلام ورسوله ﷺ.

وعن طريق الأندلس اتصل الغرب بالعرب، وبدأ أصحاب الفكر يعادون المسلمين ويهاجمونهم، وقد لعبت الكنيسة دورًا كبيرًا في هذا التعصب، يقول أحد مؤرخيها عندما تناول الأحداث التي وقعت خلال حكم الإمبراطور قسطنطين والإمبراطور كونستان اللذين ورثا هرقل: «قام العرب بعمليات تخريب مروعة وبعد أن استولوا على بيت المقدس وقلبوا نظام الحكم في مدن أخرى غزوا مصر العليا والسفلى، واستولوا على الإسكندرية ونهبوها، وخربوا أفريقيا كلها واستولوا عليها»[1].

وظل الغرب يفكرون بهذه الطريقة إلى ما قبل الحروب الصليبية إذ كانوا على معرفة ناقصة بالشرق مع أنهم عايشوا الأندلس الإسلامية، فإن حقدهم الديني لم يترك لهم مجالاً كافيًا للتفكير في الحقيقة وما وراءها وهكذا كان الواقع على الرغم من أن بعض الغربيين قد رحلوا إلى الشرق قبل تلك الحروب، وكانوا في أثناء إقامتهم فيه يتعرفون على المسلمين في موطنهم الأصلي ويبحثون في تصرفاتهم وعاداتهم.

وفي هذه المرحلة تركت مهمة التدريس في المدارس الأوروبية إلى أساتذة من العرب ومن اليهود الملمّين إلمامًا واسعًا بالثقافة العربية، وإلى أساتذة من الأوروبيين الذين ذهبوا إلى أسبانيا وأتموا دراساتهم في مدارسها العربية، كما أنه تم إرسال أعداد

(١) صورة العالم الإسلامي في أوروبا، م/ رودنسون، (ص٥١)، الطليعة، ١٩٧٠، نقلاً عن افتراءات المستشرقين (ص ٥٠).

كبيرة من الطلاب الغربيين إلى الأندلس لتلقي العلم على أيدي العرب، وترجمت أهم الآثار العربية، وبصفة خاصة ما كان منها متصلاً بالآداب والعلوم والفنون والطب والفلسفة إلى اللغة اللاتينية التي كانت لغة الثقافة هناك في ذلك الوقت.

وفي نهاية القرن التاسع الميلادي جلس على الكرسي البابوي الراهب جربرت الذي درس في الأندلس هذه العلوم واقتنع بفائدتها وتأكد من ضرورتها بالنسبة لأوروبا، وأراد لها أن تحذو حذو العرب في نهضتهم حتى لقد أصدر قرارًا يقضي بأن تترجم إلى اللغة اللاتينية الآثار العقلية العربية في مختلف العلوم والفنون، وقد بدأ هو بترجمة بعض الكتب الفلسفية والرياضية والطبيعية، ومن أجل ذلك بقي أثر الحضارة العربية ينتشر ويتغلغل في الأوساط الأوروبية بالرغم من عداء الكنيسة لهذه النهضة ومن تحيز رجال الدين لتعاليمهم الخاصة.

المرحلة الثانية: مرحلة التقدم:

كانت الحروب الصليبية سببًا في تحول الغرب حيث تأكد لهم أن المسلمين يمتازون بصفات تستحق الدراسة والتقدير، وانهزام الغرب أمام المسلمين في هذه الحروب كان سببًا في زيادة روح التعصب الديني، وانعكست هذه الروح على الاستشراق فقد بدأ الغرب يتعلمون اللغة العربية، لا حبًا فيها ولكن ليتخذونها وسيلة إلى فهم القرآن، وسلاحًا في مناقشته، وازداد اهتمام أوروبا باللغة العربية حتى اهتم فردريك الثاني ملك صقلية في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، والفونس ملك قشتالة في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي بنقل العلوم العربية وترجمة كتبها واقتدى ملوك أوروبا وأمراؤها بهما، وعقد مؤتمرًا كبيرًا في فيننا عام (١٣١١هـ)، وقرروا فيه تأسيس مدارس خاصة تدرس فيها العربية والعبرانية والكلدانية لتنصير المسلمين وتشكيكهم في

دينهم، وأصبح الغرب يتعلمون العربية وآدابها وفنونها في بلادهم وعلى أيدي أستاذتهم الذين تعلموا بدورهم على أيدي العرب وعلمائهم، وهكذا انتشرت في أوروبا المعاهد والجامعات التي أخذت تنشر الثقافة العربية في الأقطار الأوروبية، وكانت هذه الفترة بحق فترة تقدم الاستشراق وتوسعه.

المرحلة الثالثة: مرحلة الإنطلاق:

عندما أشربت أوروبا ثقافة العرب وقامت بنهضتها بدأت تنظر إلى الاستشراق بروح أوسع أفقًا وأرحب تفكيرًا، فاهتم العلماء بالاستشراق لا لمواجهة الإسلام فحسب، وإنما لفهمه ودراسته ثم جاءت الطباعة فانتشرت العربية بين الأوساط العلمية، وكان القرن السادس عشر الميلادي خطوة عظيمة في تطور الاستشراق وتحركت الدوائر العلمية وأخذت تصدر كتابًا بعد الآخر، فانطلق الاستشراق وانتشرت المدارس لتعليم العربية في أوروبا كلها وأقيمت المطابع لإصدار نفائس العرب وأخذ العلماء والرهبان يتسابقون في دراستها ونشرها والتعليق عليها، وبدأ الاهتمام بالمخطوطات العربية.

وشهد الاستشراق في القرنين السادس عشر والسابع عشر ازدهارًا كبيرًا في النواحي العلمية والدراسية المتخصصة، وعندما أقبل القرن الثامن عشر كان الاستشراق قد ثبت أقدامه واستقل كيانه ورسم اتجاهه وحدد معالمه، ثم اختتم القرن الثامن عشر بحملة نابليون على مصر، وفي هذا القرن بالذات شقت الدول الأوروبية طريقها إلى الشرق الأقصى، وبدأت ترسل البعثات تحت أسماء مختلفة لكي تتعرف على أحوال الشعوب العربية وإمكانية احتلال أراضيها، وكثيرًا ما نجح الرحالة في الحصول على معارف جديدة ونقلها إلى بلادهم وظهر العديد من المستشرقين الذين تخصصوا في مجال معين، وتطور البحث العلمي وتضاعفت شبكات مؤسسات

البحث والتعليم، وأنشئت العديد من الكليات أو الأقسام لتدريس اللغات الشرقية في العديد من بلاد أوروبا وأصدرت المجلات وعقدت المؤتمرات، ودخل المستشرقون في السلك الدبلوماسي السياسي كوزارات الخارجية والقنصليات ونحو ذلك.

***

المطلب الثاني
دوافع الاستشراق وأهدافه وخصائصه

دوافع الاستشراق وأهدافه :

تلتقي دوافع الاستشراق مع أهدافه، فالدافع يمثل المحرض النفسي- لاتخاذ الوسائل التي توصل للأهداف الغائية من العمل[(١)]، وأهم هذه الدوافع:

١- الدافع الديني:

لا شك أن الدافع الديني كان وراء نشأة الاستشراق وصاحبه في مراحله التاريخية ولا يمكن أن يتخلص منه[(٢)]، وقد رأينا فيما تقدم أن الاستشراق بدأ على أيدي الرهبان، وقامت حملتهم على الإسلام بالطعن والتشويه والتحريف ليثبتوا لجماهيريهم أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكوا دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي[(٣)].

وهذا الدافع له مجموعة من الأهداف منها:

١- انتزاع مقومات الفكر الإسلامي وذلك بالتشكيك فيه، وإثارة الشبهات حوله، كوسيلة لفرض الثقافة الغربية التي تحاول تطويق الثقافة الإسلامية وصهرها في بوتقة الثقافة الغربية[(٤)].

---

(١) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن حسن حبنكة (ص١٢٥)، دار القلم، دمشق، ط٦، ١٤١٠هـ.

(٢) ينظر: موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية (ص١٨).

(٣) ينظر: الاستشراق والمستشرقين ما لهم وما عليهم، د. مصطفى السباعي (ص١٦)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.

(٤) احذروا الأساليب الحديثة (ص٨٧).

٢ـ إخراج المسلمين عن دينهم، فإن أمكن تنصيرهم فذاك، وإلا فإبقاؤهم لا دين لهم مطلقًا هدف مرجو يحقق للنصارى منافع ومصالح سياسية واقتصادية واستعمارية وغير ذلك[١].

٣ـ حماية النصارى من الإسلام بحجب حقائقه عنهم وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة حتى لا يلتفت النصارى إلى ما في دينهم من تناقضات لا يقبلها العقل السليم والفطر السوية[٢].

٢ـ الدافع الاستعماري:

لقد سمع ملوك أوروبا بما تتمتع به بلاد المسلمين من حضارة وثروات، فجاءوا يقودون جيوشهم رغبة في الاستعمار والفتح[٣]، وعندما فشل أسلوب القوة العسكرية أثناء الحروب الصليبية تبنى الاستعمار حركة الاستشراق، واستعان بالمستشرقين للدعاية وإثارة المنازعات وإشعال الخلافات، والتجسس على بلاد المسلمين[٤].

وهدف هذا الدافع هو: السيطرة على بلدان العالم الإسلامي، وعلى الشعوب الإسلامية، طمعًا في استغلال الأرض، واستعباد الناس، والسيطرة على كل شيء، وسيلة لتحقيق أهواء النفوس وشهواتها، وأن يكون لها العلوّ في الأرض[٥].

---

(١) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة (ص١٢٦)، وينظر: الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله النعيم (ص١٨)، سلسلة الرسائل الجامعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ.

(٢) موقف المستشرقين من الصحوة (ص١٩).

(٣) ينظر: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، د. أحمد عبد الرحيم السايح (ص٤٤)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ.

(٤) ينظر: احذروا الأساليب الحديثة (ص٨٧).

(٥) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة (ص١٢٨).

٣ـ الدافع الاقتصادي:

تشير الكثير من المصادر أن المستشرقين لهم مساهمات واضحة في مساعدة العالم الغربي على رسم سياسة اقتصادية تستهدف استنزاف ثروات الشعوب الشرقية، واستمرارية اعتمادها على ما تنتجه المصانع الغربية، فالدراسات الاستشراقية أبانت عن كل ما يحتاج إليه الشرقي وما يفضله، وكان ذلك سببًا في إغراق الأسواق الشرقية بالمنتجات الغربية المصنعة خصيصًا لها(١).

وظهر أيضًا فريق من الباحثين اهتم بالدراسات الاستشراقية ليقوم بنشر كتب التراث الإسلامي، والاستفادة من نشرها في تحصيل الثروات التي يحصل عليها الناشرون عادة، وهكذا صارت الدراسات الاستشراقية وسيلة من وسائل كسب المال لكثير من المستشرقين(٢).

وهذا الدافع يهدف إلى:

١ـ تحصيل الأموال والمطامع الاقتصادية(٣).

٢ـ الاعتماد دائمًا على المستورد الغربي دون التفكير في استغلال الموارد والتصنيع المحلي(٤)، وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان(٥).

٤ـ الدافع السياسي:

في عصرنا الحاضر وبعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية، أخذ يتجلى

---

(١) ينظر: الاستشراق، أهدافه ووسائله للزيادي «بتصرف» (ص٤٥).

(٢) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة (ص١٢٨).

(٣) ينظر: المرجع نفسه (ص١٢٩).

(٤) ينظر: الاستشراق، أهدافه ووسائله (ص٤٥).

(٥) ينظر: الاستشراق والمستشرقون (ص١٨).

هذا الدافع ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته[١]، وما زالت كذلك مراكز الدراسات الاستشراقية تمد رجال السلك السياسي والاستخبارات بالمعلومات، وتقوم هذه الجهات الرسمية بالدعم المادي لهذه المراكز لإقامة الأبحاث المختلفة[٢].

وكم بث حاملو هذا الدافع في شعوب المسلمين من أفكار؟! وكم دسوا من دسائس؟! وكم استخدموا من أجراء لإثارة الفتن وإقامة ثورات وانقلابات عسكرية؟!

وبهذا نستطيع أن نعرف الهدف لهذا الدافع وهو: تحقيق غايات سياسية، تريد تحقيقها الدول الموجهة لهذا النوع من الدراسات لتسير دول العالم الإسلامي في أفلاكها[٣].

٥- الدافع العلمي:

يظهر جليًا من تعريف الاستشراق أنه يتبنى العلم والبحث والدراسة بصرف النظر عن أهداف هذه الدراسة، وعليه فلا شك أن الدافع العلمي ظاهر في النشاط الاستشراقي، ويمكن تقسيم هذا الدافع إلى قسمين:

الأول: دافع علمي لأغراض مشبوهة، وهو ما تقدمت الإشارة إليه في الدوافع

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص١٨)، وينظر كذلك أجنحة المكر الثلاثة (ص١٢٩).

(٢) ينظر: موقف المستشرقين من الصحوة (ص٢١).

(٣) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة (ص١٢٩).

والأهداف السابقة.

الثاني: دافع علمي مجرد، هدفه حب الاستطلاع، والانبهار بالمد الإسلامي، مما جعل بعض المستشرقين يقبلون على الدراسات الإسلامية وكتابة الأبحاث مع أن أبحاثهم لم تخل من الخطأ إلاَّ أنهم لم يتعمدوا الدس والتحريف، فكانت أبحاثهم أقرب إلى الحق والمنهج العلمي السليم(١)، ولم يكن لهذه الفئة هدف إلا إشباع النهم العلمي بثقافات دول الشرق وحضارته(٢).

وهذه الطائفة التي تحركت وانطلقت من هذا الدافع كانت لها مواقف إيجابية حتى أن بعضهم قد أشهر إسلامه متأثرًا بالدين الحق فيقول أحدهم وهو ثرينش: «إن أكثرية هؤلاء جاءوا وهم يحملون الكره للإسلام، وجاء آخرون يدعون أنهم أبناء الإسلام، أما الباقون فجاءوا وفي نيتهم أن يستغلوا الإسلام، لكن أحدًا منهم لم يغادر هذه الأرض إلا وهو يكن للإسلام احترامًا عميقًا إلى أبعد الحدود، والبعض أشهر إسلامه، أما أولئك الذين لم يتغيروا بعد هذه التجربة العميقة فقد ماتوا بأيديهم»(٣). وهذه الطائفة كثيرًا ما تتعرض لمضايقات ومقاومات شديدة من قبل رجال الدين، ورجال السياسة في بلدانهم، بل ويلقون عنتًا من سائر المستشرقين، إذ سرعان ما يتهمونهم بالانحراف عن النهج العلمي، أو الانسياق

---

(١) ينظر: موقف المستشرقين من الصحوة (ص٢٢).

(٢) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة (ص١٣٠).

(٣) قافلة الحبر الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج، سمير عطا الله (ص٤٧)، دار الساقي، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

وراء العاطفة، أو الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم[(١)].

وهذه الفئة وإن كان يشكر لها تجردها وإعلانها الحق الذي وصلت إليه، إلا أنه يجب الأخذ بحذر من كتاباتها ودراساتها، لأنها لم تكن تملك الأهلية الكافية للإفصاح عن حقائق الإسلام الناصعة وأحكامه العادلة لعوامل متعددة، ومن أبرزها اللغة وفهم النصوص الشرعية والوقف على المصادر الأصلية للكتابة عن الإسلام وشرائعه، ولذلك وقعوا في بعض الأخطاء لا لسوء قصد ولكن لانعدام الأهلية.

كما أنه من باب الإنصاف أن لا ننسى جهود بعض المستشرقين في حفظ كثير من تراث أمتنا الزاخر الذي فقدنا كثيرًا من نفائسه، ولولا تسخير الله هؤلاء القوم لحفظه والاعتناء به وصيانته للحقه من التلف والضياع ما لحق بغيره لجهل كثير من أهله بقيمته وتفريطهم في حفظه.

خصائص الاستشراق:

ولهذه الدراسات الاستشراقية خصائص جوهرية هي جزء لا يتجزأ من مفهوم الاستشراق العام، وينبغي الوقوف عند أهمها وهي:

١ـ أنها دراسات ذات ارتباط وثيق بالتنصير.

٢ـ أنها دراسات ذات ارتباط وثيق بالاستعمار الغربي.

٣ـ أنها دراسات ـ بحكم ارتباطها العضوي بالاستعمار والتنصير ـ لا تلتزم، ولا يمكن أن تلتزم، بالموضوعية والأمانة العلمية، في تناولها للإسلام بوجه خاص، ولا يمنع ذلك من وجود بعض الجهود الفردية التي شذت عن هذه القاعدة.

٤ـ أنها دراسات تسهم بشكل فعال في صنع القرار السياسي في الغرب ضد

---

(١) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة (ص١٣٠).

الإسلام والمسلمين[١].

---

(١) ينظر التفصيل في: رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد غراب (ص٨، ٩).

المطلب الثالث

أبرز المستشرقين الذين تناولوا دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاباتهم

في ثنايا هذه الصفحات أذكر عددًا من المستشرقين الذين تناولوا دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتبهم أو مقالاتهم مع تعريف موجز لكل واحد منهم، وقد رتبتهم على حسب الوفيات ومن لم أجد له تاريخ وفاة جعلت التعريف به في آخر المبحث.

١ـ **نيبور (١٧٣٣ ـ ١٨١٥م)**: كارستن نيبور، مستشرق رحالة، دنمركي الأصل، ألماني المولد والمنشأ، أرسلته حكومة الدنمرك في رحلة إلى مصر واليمن سنة ١٧٦١ مع بعثة، ومات جميع أعضائها في خلال الرحلة، وبقي هو منفردًا، وقد عرجت تلك البعثة على جدة، وقد صنف كتبًا في وصف بلاد العرب، وكتابًا بعنوان «رحلة في البلاد العربية وما جاورها»[1] وقد طعن في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ووصفها بأنها دين جديد بل إنه اتهم الإمام محمد بن عبد الوهاب بأنه ادعى النبوة.

٢ـ **بوركهاردت (١٧٨٤ ـ ١٨١٧م)**: جوهان لود فيج بوركهارت، ولد في بلدة لوزان السويسرية وقد عكف على دراسة اللغة العربية والدين الإسلامي،

---

(١) ينظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٢١١)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٦، ٢٠٠٥م. وينظر: المستشرقون لنجيب العقيقي وسماه نيبهر (٢/ ٨٣٨).

وقام بعدة رحلات وادعى بأنه طبيب هندي وتسمَّى بإبراهيم، وقد تجول بين القبائل وكتب عنها وبخاصة قبائل عنزة المشهورة، ورحل بعد ذلك إلى القاهرة وتوغل في جنوبي مصر، وهناك رأى أنه لن يستطيع الوصول إلى هدفه «بلاد النيجر» غرب أفريقيا إلا من خلال الحصول على لقب «الحاج». ولذلك رافق قافلة الحجاج النوبيين والسودانيين إلى مكة. واحتياطًا لأي طارئ حمل معه رسائل من محمد علي، حاكم مصر، تظهره على أنه الشيخ إبراهيم بن عبد الله الشامي، واستطاع أن يدخل جدة ومكة وأدى الحج ثم سافر إلى المدينة حيث بقي فيها ثلاثة أشهر ثم سافر إلى ينبع ثم اتجه إلى مصر، ثم توفي في العاصمة المصرية ودفن في مقبرة المسلمين[1]. ولقد أثنى على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بشكل عام وبين هدفها ولكنه أخطأ عندما وصفها بأنها فرقة جديدة.

٣. **الحاج علي بك العباسي (١٧٦٦ - ١٨١٨م)**: دو منغوبا دلي آي لبيخ، والمعروف بالحاج علي، ولد في برشلونة، ودرس اللغة العربية، وزار البلاد العربية، وتسمى باسم علي بك وادعى أنه من نسل العباسيين، سافر إلى مكة، وقد صرح بأن أداءه للحج له فوائد جغرافية بحتة، كان في مكة إبان حكم الدولة السعودية الأولى، أعطى وصفًا منظمًا عن مكة وتجارتها، وعمل دراسة مفصلة عن موانئ البحر الأحمر، ويرجح أنه كان عميلاً لجهة ما كما يظهر من دراسته[2].

---

(١) ينظر: مواد لتاريخ الوهابيين للرحالة جوهان بوركهاردت، ترجمة د. عبدا لله العثيمين (ص٣-٦)، جامعة الملك سعود، ط٢، ١٤١٢هـ.

(٢) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٦١ (ص٣٥٣).

٤ـ **روسو (١٧٨٦ ـ ١٨٣١م)**: من قناصل فرنسا في المشرق، من آثاره: «رحلة من بغداد إلى حلب» (باريس ١٨٠٨) و«شئون الوهابيين» (١٨١٨)، وقد وصف الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه أتى بديانة جديدة كما سيأتي.

٥ـ **سديو (١٨٠٨ ـ ١٨٧٥م)**: مستشرق فرنسي ولد في باريس، وهو الابن الثاني لجان جاك أمانويل سديو، تعلم على يدي أبيه اللغات الشرقية والرياضيات، له مجموعة من الأبحاث عن أعمال المدرسة العربية، والتقويم العربي، وتاريخ العرب وغيرها[(١)]. وهو كذلك ممن أنصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٦ـ **إدوار لين** (١٨٠١ ـ ١٨٧٦): نبغ في الرياضيات، وعزم على دراسة حضارة قدماء المصريين، وأتقن العربية، وبلغ القاهرة وأقام فيها (١٨٢٥ ـ ١٨٢٨م) متزييًا بالزي العربي، مصليًا في الجوامع، متسميًا باسم منصور أفندي، وكتب عن الحياة العربية في القرون الوسطى، وكتب مجموعة من المعاجم، وكتب عن القرآن والآداب الإسلامية والأخلاق العربية[(٢)] وهو ممن أنصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٧ـ **بلجريف (١٨٢٦ـ١٨٨٨م)**: وليم جيفورد بلجريف، كان نصرانيًا كاثوليكيًا[(٣)] قد تعود المعيشة المدنية، قام بسياحة للبلاد العربية سنة ١٨٦٢ ـ ١٨٦٣م وأثنى كثيرًا

---

(١) ينظر: موسوعة المستشرقين (ص٣٤٥).

(٢) ينظر: المستشرقون للعقيقي (٢/ ٤٨٠).

(٣) الكاثوليك: أكبر الكنائس النصرانية في العالم، وتدعي أنها أم الكنائس ومعلمتهن وتتمثل في عدة كنائس تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة بابا روما عليها وتسمى بالكنيسة الغربية أو اللاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة. الموسوعة الميسرة (٢/ ٦١٠).

على العرب المتحضرين، إلا أنه لا يملك كلمة واحدة يتلطف بها مع أهل البادية، وذم أهل نجد والشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ذمًا شديدًا، ويرى زويمر أن كثلكته هي التي تعمل عملها في ذمه للوهابية، وكما يقول زويمر: (لا يمكن الاعتماد عليه إلا في حوادث سنة ١٨٦٠ و١٨٦٣م، ولكني أرى أنه لا يمكن البت في أي مسألة اعتمادًا على روايته فقط، وكل ما كتب في الشيخ إنما هو مجموعة خرافات، ولم يكن من المتوقع من كاثوليكي أن يذكر التجديد والسلفية بخير)(١).

٨- **لويس بلي (١٨٢٥ - ١٨٩٥م)**: رحالة مجد، عمل عسكريًا وكان سفيرًا مقيمًا لبريطانيا في بوشهر في الفترة (١٨٦٢ - ١٨٧١)، ارتحل من الكويت إلى الرياض لمقابلة الأمير فيصل بن تركي، ومطالبته بعدم الإضرار بالمصالح البريطانية، وضبط القبائل الموالية له على ساحل الخليج، ومنع تعدياتها على الطرق التجارية وله دوافع علمية من بين دوافع بعثته التي وصلت الكويت عام ١٨٦٥م(٢). وقد وصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنها ديانة جديدة ومذهب جديد.

٩- **آن بلنت (١٨٣٧ - ١٩١٧م)**: أديبة ورحالة ومستشرقة، جاءت إلى الشام والعراق، ومن ثم إلى شمال الجزيرة العربية، وفي ذهنها أهداف متعددة، كان من بينها وضع تقرير نهائي عن إمكانية مد خط سكة حديد من البحر المتوسط إلى الخليج العربي، وزوجها ولفرد بلنت جاء إلى المنطقة، وفي ذهنه

---

(١) ينظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، مسعود الندوي (ص١٧٦)، ترجمة عبد العلم البستوي، مراجعة محمد الهلالي، دار الداعي، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

(٢) ينظر: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، بحوث ندوة الرحلات (١/ ٦٠٠)، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

فصل الوطن العربي وعموم الجزيرة العربية الدولة العثمانية وتشكيل مملكة عربية يرأسها الأمير عبد القادر الجزائري[١] ووصفت الدعوة بأنها دين جديد كما سيأتي.

١٠. **كرن (١٨٧٤ - ١٩٢١م)**: فريدرش كرن، مستشرق ألماني، تعلم في جامعات متعددة، حيث حضر دروسًا في علوم متنوعة، وسافر إلى القاهرة حيث أتقن اللغة العربية واللهجة العامية المصرية، توفي وهو في السابعة والأربعين وكان قد أصيب بمرض عصبي[٢]. وكان يرى أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوة متشددة متزمتة.

١١. **جولد تسيهر (١٨٥٠ - ١٩٢١م)**: أجنتس جولد تسيهر، مستشرق مجري، وأسرته أسرة يهودية ذات مكانة وقدر كبير، حاز على الدكتوراه وعين مدرسًا مساعدًا في جامعة بودابست سنة ١٨٧٢م، ولكنه لم يستمر في التدريس طويلاً، وإنما أرسلته وزارة المعارف المجرية في بعثة دراسية إلى الخارج، فاشتغل طوال سنة في فيينا وفي ليدن، وارتحل من بعد إلى الشرق، فأقام بالقاهرة مدة ثم سافر إلى سوريا وفلسطين، وفي أثناء إقامته بالقاهرة استطاع أن يختلف إلى بعض الدروس في الأزهر، والتقى بمحمد عبده وغيره، وعين عضوًا في مجمع العلوم المجري سنة ١٨٩٣م، ومجامع علمية، حضر مؤتمرات استشراقية، مكتبته تزيد على أربعين ألف مجلد، وإنتاجه غزير[٣]. وهو من

---

(١) ينظر: المرجع السابق (١/ ٦٠٠).

(٢) ينظر: موسوعة المستشرقين (ص٤٧٢).

(٣) ينظر: موسوعة المستشرقين (ص١٩٧)، وينظر: مستشرقون سياسيون جامعيون، نذير حمدان

المنصفين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث رأى أنها تهدف إلى إعادة الإسلام الصحيح على منهج الكتاب والسنة.

١٢- **مورتان (١٨٥٢ - ١٩٣٢م)**: جوهان هنريخ مورتان، ولد في الآستانة، وطلب علوم الاستشراق في ألمانيا، ثم تعين في مناصب سياسية، ارتحل إلى جنوب الجزيرة العربية وكتب عنها، كما كتب عن السنة والشيعة،وقد شكك في بعض الأحاديث النبوية الثابتة، وطعن في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب(١).

١٣- **سنوك (١٨٥٧ - ١٩٣٦م)**: ولد في استرهوت، رحل إلى جاوه وأقام سبع عشرة سنة في خدمة حكومتها، وزار مكة متسميًا بعبد الغفار (١٨٨٤م) واستقر بها خمسة أشهر وغادرها قبل موسم الحج، ومن آثاره الحج إلى مكة، والمهدي، وأمثال أهل مكة المكرمة، والفقه الإسلامي، ومكة وجغرافيتها في القرن التاسع عشر، والجزيرة العربية والهند، ومجموعة دراسات عن الإسلام وتاريخه وشريعته وبلاد العرب(٢)، وقد امتدح دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وذكر حقيقتها.

١٤- **فنسنك (١٨٨٢ - ١٩٣٩م)**: أرند جان فنسنك، مستشرق هولندي من أشهر المستشرقين وأكثرهم إنتاجًا، تعلم اللغة العربية، وأصبح أستاذًا في جامعة ليدن، تخصص في الحديث النبوي، وألف معجمًا للحديث النبوي من أربعة

(ص١٦٤)، مكتبة الصديق، الطائف، ط١، ١٤٠٨هـ.

(١) ينظر: مجلة البحوث العدد ٦١ (ص٣٤٩).

(٢) ينظر: المستشرقون للعقيقي (٢/ ٦٦٦).

عشر كتابًا من السنن والسير، ونقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي وسماه «مفتاح كنوز السنة»، وقد أمضى مؤلفه في تأليفه وترتيبه عشر سنين، كما أمضى مترجمه أربع سنوات في ترجمته وتصحيح أخطائه، كما وضع بمساعدة غيره «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» من تسعة مصادر وهي الكتب الستة وموطأ مالك ومسند أحمد ومسند الدارمي ويتألف من سبعة مجلدات ضخمة، وقد توفي قبل إتمامه. قام برحلات إلى بلاد العرب (١٩٣٠م) وله مؤلفات عن العقيدة وعن الرسول ﷺ، وهو من أكثر المستشرقين كتابة في الدائرة، وقد طعن في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب(١).

١٥- **مارجليوث (١٨٥٨ - ١٩٤٠م)**: ولد في لندن، وتخرج باللغات الشرقية من جامعة إكسفورد، وأتقن العربية وكتب فيها بسلاسة، وكان من أئمة المستشرقين، ورأس تحرير مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، وكان لآرائه قدرها لدى أدباء العرب المعاصرين، وله آثار علمية كثيرة(٢) وهو ممن أنصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

١٦- **ماكدونالد (١٨٦٣ - ١٩٤٣م)**: دنكان بلاك، مستشرق أمريكي، بريطاني المولد والنشأة، قصد هارفارد لتعليم اللغات السامية (١٨٩٣م) وأسس فيها مدرسة كنيدي للبعثات، كما أشرف على القسم الإسلامي سنوات طويلة، وأنشأ بمعاونة صمويل زويمر مجلة العالم الإسلامي (١٩١١م)، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي،ومن أوسع المستشرقين اطلاعًا على الدين

----

(١) ينظر: الأعلام (١/ ٢٨٩)، وينظر: مجلة البحوث، العدد ٦١ (ص٣٢٧).

(٢) ينظر: المستشرقون (٢/ ٥١٨).

الإسلامي، تعلم العربية والعبرية والسريانية، إنتاجه العلمي لم يكن عميقًا، كتب عن التصوف والأدب واللهجات العربية، حرر في الطبعة الأولى من الدائرة ٤٦ مادة في العقيدة والفقه، وكان في غاية ما يكون من التحامل ووصف أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالتطرف(١).

١٧- **توماس باتريك (١٨٩٢ - ١٩٥٠م)**: توماس سيدني باتريك، إنجليزي سياسي، عمل بجيش العراق والمكتب السياسي برئاسة (أرنولد ويلسون)، وعمل مستشارًا للحكومة العربية بالعراق، ومستشارًا ماليًا في مسقط، وهو أول من قطع الربع الخالي (١٩٣٠ - ١٩٣١)(٢) ووصف دعوة الشيخ بأنها تدعو للإسلام الصحيح.

١٨- **زويمر (١٨٦٧ - ١٩٥٢م)**: صمويل زويمر، مستشرق أمريكي، كان رئيس المبشرين في الشرق الأوسط، وله العديد من المؤلفات في العلاقات بين الإسلام والمسيحية، ولكنه أفقدها - بسبب تعصبه وتضليله - قيمتها العلمية(٣). وهو ممن طعن في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

١٩- **فاسيلييف (١٨٦٧ - ١٩٥٣م)**: إليكسي فاسيلييف، مؤرخ ومستشرق وكاتب مهتم بقضايا الشرقين الأوسط والأدنى، طاف العديد من بلدان آسيا وأفريقيا، وأمضى زهاء عشر سنوات في بلدان الشرقين الأوسط والأدنى، له العديد من الكتب والمقالات منها «الوهابية والدولة السعودية الأولى في الجزيرة العربية»،

---

(١) ينظر: موسوعة المستشرقين (ص٥٣٨)، وينظر: مجلة البحوث العدد ٦١ (ص٣٣٧).

(٢) ينظر: مستشرقون ساسيون، جامعيون (ص٥٨).

(٣) ينظر: المستشرقون (٣/ ١٠٠٥).

و«رحلة إلى الجزيرة العربية السعيدة»[1]، ويظهر لي أن موقفه من دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب موقف محايد فهو ينقل نقلاً تاريخيًا وربما يذكر كلامًا ثم يناقضه في موضع آخر، فموقفه ليس بواضح.

٢٠ـ **كارل بروكلمان (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦م)**: ولد في رستوك، له شهرة في فقه العربية وقراءاتها قراءة فصيحة وكتابتها كتابة سليمة، واشتهر بغزارة إنتاجه الذي اتصف بالموضوعية والعمق والشمول والجدة، مما جعله مرجعًا للمصنفين في التاريخ الإسلامي والأدب العربي[2]، وقد أنصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٢١ـ **فلبي (١٨٨٥ ـ ١٩٦٠م)**: هنري جون فلبي، إنجليزي، وعمل أستاذًا في الجامعة الأمريكية ببيروت، وأشهر إسلامه بالسعودية، وقد كان من ذوي المهام الخاصة في الوطن العربي خاصة بعد إعلان الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، وجاء إلى الجزيرة العربية عام ١٩١٧م، بهدف عقد مباحثات مع الملك عبد العزيز ضمن وفد يضم عدة خبراء، فاختلف مع الوفد، واستقر بعدها في المملكة العربية السعودية ليقوم بالترحال والاستكشاف[3]. وصف الدعوة بأنها دين جديد.

٢٢ـ **شاخت (١٩٠٢ ـ ١٩٦٩م)**: مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي،

---

(١) ينظر: تاريخ العربية السعودية، إليكسي فاسيلييف (ظهر الغلاف)، شركة المطبوعات، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م.

(٢) ينظر: المستشرقون (٢/ ٧٧٧).

(٣) ينظر: المستشرقون، سياسيون، جامعيون (ص٦٢)، وينظر: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية (١/ ٦٠١).

درس اللغات الشرقية، أنتدب للتدريس في الجامعة المصرية لتدريس فقه اللغة العربية واللغة السريانية بقسم اللغة العربية بكلية الآداب، ولما قامت الحرب العالمية الثانية انتقل من مصر إلى لندن، حيث أخذ يعمل في الإذاعة البريطانية B.B.C لحساب بريطانيا وحلفائها، ضد وطنه ألمانيا. اشتهر بدراسة التشريع الإسلامي وله دراسات عديدة في المجالات العلمية أغلبها في الشريعة الإسلامية[١]، وتخصصه في الفقه جعله يصف الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه ليس مقلدًا.

٢٣. **هنري لاووست (١٩٠٥ - ١٩٨٣م)**: مستشرق فرنسي،تخصص في ابن تيمية والحنابلة بوجه عام،وعين في المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، وهناك أمضى خمس سنوات متوالية حيث توفر على دراسة ابن تيمية، واتصل برجال الحركة السلفية في مصر: رشيد رضا وجماعة مجلة «المنار»، وعين مديرًا للمعهد الفرنسي في دمشق وعين أستاذًا في كرسي اللغة والحضارة العربية في كلية الآداب بجامعة ليون، ولما كانت الوهابية، التي أخذت بمذهب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم قد صارت المذهب الرسمي للدولة السعودية فقد توثقت الصلة بينه وبين المملكة العربية السعودية وتولى لاووست رئاسة جمعية الصداقة الفرنسية السعودية[٢]. وهو من المنصفين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(١) ينظر: موسوعة المستشرقين (ص٣٦٦).

(٢) ينظر: المرجع نفسه (ص٥١٠).

٢٤ـ **بلاَّ (١٩١٤ ـ ١٩٩٢م)**: شارل بلاَّ، مستشرق فرنسي معاصر، ولد في الجزائر، وتعلم العربية، تقلد عدة مناصب علمية في مراكش، ومديرًا لدائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الفرنسية، ثم مديرًا لقسم الدراسات الإسلامية في جامعة باريس، له آثار عديدة تقارب الأربع مئة في دوائر المعارف المختلفة[١] وقد طعن في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٢٥ـ **برائجس**: هارفورد جونس برائجس، وصل إلى البصرة سنة ١٧٨٤م حاكمًا عليها من قبل بريطانيا ثم عين حاكمًا على بغداد، وفي كلا الموضعين كان وكيلاً سياسيًا، وكانت علاقاته حسنة مع سعود بن عبد العزيز وقد وصل إلى البلاد العربية في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأدرك الفتوحات الهامة لسعود بن عبد العزيز، وله كتاب «تاريخ موجز للوهابيين» وكان الواجب أن تكون لكتابه أهمية عظيمة وقيمة تاريخية، ولكنه مع الأسف عار تمامًا عن دقة النظر، وفي كثير من الأحيان ينقل عن بركهارت حرفيًا مع أنه ورد الحجاز بعده ومات قبله[٢]، وعمومًا يعتبر هو من المنصفين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٢٦ـ **بيروكمان**: مستشرق ألماني من آثاره: الأدب العربي الحديث، وتاريخ الإسلام في نشرة معهد اليوم، كما كتب عن التعليم في البلاد الإسلامية، وعن الدولة العثمانية، حرر في الطبعة الثانية من الدائرة، تسع مواد متنوعة، زعم تأثر الإسلام

---

(١) ينظر: موسوعة المستشرقين (ص١١٧).

(٢) ينظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم (ص١٧٥).

بالنصرانية، وكتب عن الشرك كتابة مشوشة مليئة بالأخطاء[(١)]. واتهم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالتكفير للمجتمع.

٢٧ـ **روبصون (١٨٩٠م ـ ......)**: جمس روبصون، مستشرق إنجليزي، تخرج من قسم اللغات الشرعية من جامعة جلاسجو، فحصل على الماجستير والدكتوراه في الأدب، عين مساعد أستاذ اللغة العبرية في جلاسجو، ثم تنقل فزار العراق والهند واليمن، وعين أستاذًا للعربية في مانشستر (١٩٤٩م) من آثاره: «عيون شبه الجزيرة»، «محمد في الإسلام» وغير ذلك كثير[(٢)]. اتهم الدعوة بالتطرف والتزمت.

٢٨ـ **برينت**: بيتر برينت، أحد رجال الغرب المهتمين بالقضايا العربية ويظهر في كتاباته أن نزعة التعالي الغربي والحقد الأممي والديني تطغى أحيانًا على أحكامه وآرائه[(٣)]، وهو ممن طعن في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٢٩ـ **هيوجز**: من آثاره معجم الإسلام بالإنجليزية (لندن ١٨٨٥)، وكذلك تلاه الهدية الشرقية الدينية من مطبوعات مسلمي الإنجليز مع فذلكة عن الإسلام في إنجلترا، معرب (مصر ـ ١٨٩٥م)[(٤)]. ووصف دعوة الشيخ محمد بأنها تعمل بالكتاب والسنة.

٣٠ـ **ويندر**: بللي ويندر، تخرج من جامعة برنستون وسمي أستاذ الأدب العربي

---

(١) ينظر: مجلة البحوث العدد ٦١ (ص٣٤٢).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص٣٤٨).

(٣) ينظر: بلاد العرب القاصية، بيتر برينت، ترجمة: خالد عيسى وأحمد غسان (ص٥)، دار قتيبة، بيروت، ١٤١١هـ.

(٤) ينظر: المستشرقون (٢/ ٨٣٨).

فيها، وقد تزوج من حفيدة فيليب حتي، ومن آثاره تاريخ الحجاز في القرن التاسع عشر[1]، وهو أيضًا ممن أنصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ﭑﭑﭑ

---

(١) ينظر: المرجع نفسه (٣/ ١٠٢٥).

المطلب الرابع
دوافع الرحلات للرحالة للمستشرقين

ونظرًا لانتشار الجهل وقلة المصادر المدونة، وضعف الإمكانات في الجزيرة العربية، فقد كان جهدهم يقوم على الرحلات التي يقوم بها الرحالة إلى جزيرة العرب وكانت هذه الرحلات لها دوافع مختلفة.

يقول كوبر مبينًا بعض هذه الدوافع: «فالرحالة الذين دخلوا بلاد العرب جهارًا كعسكريين تابعين لدولة من الدول يدخلون في فئة الجنود. أما الذين دخلوها سرًا كجواسيس لحكومة من الحكومات ذوات النوايا السياسية في بلاد العرب فهم ضمن فئة الجواسيس وثمة رحالة كانت لهم دوافع رومانسية جعلتهم يقدمون على السفر إلى بلاد العرب، ولكني أعتقد أن هؤلاء الرحالة الرومانسيين كانت لهم خلفيات مريبة قبل قيامهم برحلاتهم تلك. وهناك من الأدلة في واقع الأمر ما يشير إلى أن بعض هؤلاء المريبين لم يكن لهم من هدف يسعون لتحقيقه من وراء هذه الرحلات سوى الترويج لمبدأ سياسي معين»[(١)].

ويقول الدكتور عبد الله العثيمين عند حديثه عن رحلات الأوروبيين في مقدمته لكتاب مواد لتاريخ الوهابيين: «وكانت دوافع من قام بتلك الرحلات مختلفة، فمن الرحالة من قام برحلته بترتيب من جهة أوروبية مسؤولة، سواء كانت أهدافها علمية أم استعمارية أم مزيجًا من هذه وتلك، ومن الرحالة من قام برحلته بدافع ذاتي أملته عليه الرغبة الملحة

---

(١) الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب، لي ديفيد كوبر، جورج رينتز، ترجمة د. عبد الله ناصر الوليعي (ص٧٢)، مؤسسة الممتاز للطباعة، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

لديه في الاكتشاف والطموح إلى الشهرة»[١].

وقال الأستاذ/ سمير عطا الله: «زادت الرغبة في عبور أسوار الجزيرة، غير أن هذا العبور كان متنوعًا أيضًا بتنوع الرغائب والنوايا. كان هناك أصحاب النوايا الرديئة، قبل الرحلة إلى شبه الجزيرة وبعدها، وكان هناك الذين ذهبوا بنوايا سيئة ثم وقعوا تحت نداء الإسلام فأسلموا واستعربوا وأقاموا حتى الموت. وكان هناك الذين ذهبوا من الأساس وهم مأخوذون سلفًا بما راح مفكرو الغرب الكبار يكتبونه عن انبهار بالرسالة وموطنها، كما كانت هناك فئة ذهبت إلى الصحراء، أو إلى بلاد العرب بحثًا عن أنواع جديدة من الزهور أو العوسج أو اللبان»[٢].

ويقول ريتشارد ثرينش في حديثه عن الرحالة: «كان عليهم أولاً أن ينتصروا على أنفسهم، فالقلة منهم كانت نخبة حقيقية، أما الباقون فكانوا إمبرياليين أو مدنّسين أو مغامرين أو وصوليين أو جواسيس أو بحاثة عاديين»[٣].

إذن فمن خلال ما سبق يتبين أن الدوافع تختلف من رحالة إلى آخر .

وأحيانًا يكون الدافع المغامرة والتسلية ولكن المعلومات التي تجمع يستفاد منها عسكريًا وسياسيًا بعد حين وفي هذا الصدد كتب لورنس، بعد أربعين عامًا، في مقدمته لكتاب دوتي «رحلة في الجزيرة العربية»، أن رحلة دوتي «لم نزل نتمتع بها، كمغامرة للقراءة والتسلية، وأصبحت اليوم، ينبوعًا عسكريًا، ساعدنا في الوصول إلى انتصاراتنا في الشرق»[٤].

----

(١) مواد لتاريخ الوهابيين، جوهان بوركهاردت، ترجمة د. عبد الله الصالح العثيمين (ص٣)، جامعة الملك سعود، ط٢، ١٤١٢هـ.س

(٢) قافلة الحبر الرحالة الغربيين إلى الجزيرة والخليج، سمير عطا الله (ص١٥).

(٣) المرجع نفسه (ص٤٧).

(٤) صورة الشرق في عيون الغرب، إبراهيم الحيدري (ص٦٥)، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

ومع تفاوت دوافعهم فإن النزعة العرقية ونظرة سيادة الغرب على الشرق لا تزال في مخيلتهم، يقول «كوبر» مؤكدًا هذه الحقيقة: «وعلى الرغم من تباين شخصيات هؤلاء الرحالة إلا أن ثمة روابط تجمع بينهم جميعًا. لقد كانوا جميعًا يشعرون في أعماقهم بالانتماء إلى جنس يجب أن يسود. فلم تكن استكشافاتهم سعيًا وراء معرفة أو شهرة بل مغامرات استكشافية من أجل الإمبراطورية وأنهم جميعًا اعتبروا الاستعمار مجرد سيادة لأمتهم على سواها من الأمم»[(١)].

وفي الحقيقة أن الكثير مما قام به الرحالة والمستشرقون لا ينفصل عن الأهداف السياسية والاقتصادية والاستعمارية[(٢)].

وبعد أن عرضنا دوافعهم يبقى السؤال: كيف استطاع هؤلاء الرحالة المغامرة والدخول إلى الديار المقدسة؟!

وإجابة على هذا السؤال يقول الدكتور علي النملة: «ولذا لجأ بعض المستشرقين إلى تغيير أسمائهم بأسماء إسلامية عربية، وادعى بعضهم الإسلام ودخل الجزيرة العربية حاجًا، ثم انطلق إلى شرقها وجنوبها، ووسطها أحيانًا، لينال القبول من الولاة والأمراء الذين لم يكونوا يرحبون بالأجنبي في أرض القداسات، ويخشون أنه إنما جاء ليفسد، ومع هذا فلم يجدِ التنكّر وإخفاء الهوية مع بعضهم، فكان مصيرهم القتل على أيدٍ مجهولة، لعلها كانت تتبعهم بإيعاز من الوالي»[(٣)].

---

(١) الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب (ص١٢٠)، بتصرف يسير.

(٢) ينظر: صورة الشرق في عيون الغرب (ص٨٩).

(٣) الاستشراق والدراسات الإسلامية، د. علي إبراهيم النملة (ص١٥٢).

المطلب الخامس

مصادر المستشرقين عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب

ومع توالي الرحلات أصبح المستشرقون يجدون مادة علمية ـ بصرف النظر عن مدى صحتها ـ عن الدعوة فبدأت رحلة التأليف والدراسات التي كانت أكثر مصادرها على النحو التالي:

(١) المصادر العربية:

١ـ روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وغزوات ذوي الإسلام لحسين بن غنام الإحسائي:

وهو أوثق كتاب في سيرة الشيخ لأن المصنف هو تلميذه وقد شهد كثيرًا من الحوادث وعاصرها[(١)]. وهو كتاب كبير يشتمل على فصول تمهيدية وحياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والغزوات ورسائل الشيخ، وقد ذكر بعض المستشرقين هذا المرجع ضمن قائمة مراجعهم، وهؤلاء المستشرقون الذين اعتمدوا على هذا المرجع أقل خطأً من غيرهم ومن هؤلاء المستشرقين فيلبي وذكر أن هذا الكتاب هو مرجعه الأساسي، أما مارجليوث فلم يعتمد على هذا الكتاب إلا في فقرة واحدة تتعلق ببعض الممارسات الشركية[(٢)].

----

(١) ينظر: محمد بن عبد الوهاب، مصلح مظلوم ومفترى عليه، مسعود الندوي (ص١٦٧).

(٢) ينظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية، د. ناصر بن إبراهيم التويم (ص٢٢)، مركز البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.

٢ـ عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر النجدي:

وقد أدرك المصنف عصر سعود بن عبد العزيز وعصر أولاد الشيخ[١] وتحدث فيه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأيضًا قد اعتمد بعض المستشرقين على هذا الكتاب، وكتاب ابن بشر يعد من الكتب الموثوقة في تاريخ الشيخ ودعوته، ولكن قلة من المستشرقين اعتمدوا عليه[٢].

٣ـ تاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي:

وهو تاريخ موجز لنجد، وتطرق فيه لدعوة الشيخ وتاريخ آل سعود والمعلومات في الغالب صحيحة[٣] وهذا الكتاب ذكره بعض المستشرقين في قائمة مراجعهم ومنهم لاوست[٤].

٤ـ أثر الدعوة الوهابية في جزيرة العرب لمحمد حامد الفقي:

وهي رسالة موجزة ونوقشت فيها دعوة الشيخ بأسلوب مؤيد، والمؤلف له روابط وطيدة مع علماء نجد ولذلك فالمعلومات كلها موثوقة ورسمية تقريبًا، ولكنه ـ للأسف ـ لا يشير إلى المراجع أبدًا[٥].

وقد ذكر هذا الكتاب بعض المستشرقين في قائمة مراجعهم ومنهم لاوست[٦].

---

(١) ينظر: محمد بن عبد الوهاب، مصلح مظلوم، للندوي (ص١٦٨).

(٢) ينظر: الشيخ محمد في الرؤية الاستشراقية (ص٢٤).

(٣) ينظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم (ص١٧٠).

(٤) ينظر: الشيخ محمد في الرؤية الاستشراقية (ص٢٤).

(٥) ينظر: محمد بن عبد الوهاب، مصلح مظلوم (ص١٧٠).

(٦) ينظر: الشيخ محمد في الرؤية الاستشراقية (ص٢٥).

٥ـ كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب:

هذا الكتاب وقع الخلاف في مؤلفه فبعضهم ينسبه لمؤلف مجهول والحقيقة أن مؤلفه هو حسن بن جمال الريكي[١].

وللأسف هذا الكتاب اعتمد عليه كثير من المستشرقين وهو مليء بالكذب والتجني على الشيخ ودعوته، وقد اعتمد مؤلفه في تسجيله للوقائع والمعلومات التاريخية على الأخبار والسماع[٢].

(٢) المصادر الإنجليزية:

(أ) كتب الرحلات:

اعتمد المستشرقون على عدد من كتب الرحالة الغربيين في كتاباتهم عن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ودعوته ومن أبرز مؤلفات هؤلاء الرحالة ما يلي:

١ـ رحلات إلى الجزيرة العربية والبلاد الشرقية لمؤلفه كارستن نيبور: وتعد كتابته موجزة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولكنها تعد من أقدم الكتابات في هذا الموضوع، واستقى معلوماته بالسماع، مما جعله يقع في أخطاء عن الشيخ ودعوته[٣].

٢ـ مذكرات عن البدو والوهابيين، من تأليف جوهان بوركهاردت: ويعد هذا الكتاب من المراجع المهمة لعدد كبير من المستشرقين الذين تناولوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد ترجم جزء من هذا الكتاب تحت عنوان: «مواد لتاريخ الوهابيين» قام بترجمته الدكتور عبد الله الصالح العثيمين. ويعد بوركهاردت من أدق الرحالة الذين

----

(١) ينظر: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، حسن جمال الريكي، تحقيق: د. عبد الله العثيمين (ص٣٢)، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٦هـ.

(٢) ينظر: الشيخ محمد في الرؤية الاستشراقية (ص٢٧).

(٣) ينظر: المرجع نفسه (ص٣٠).

زاروا الجزيرة العربية وأصحهم تدوينًا.

ولقد كتب عن الشيخ ودعوته في مقدمة كتابه وتحدث عن الفرق بين مبادئ دعوة الشيخ وما عليه الأتراك الذين لم يقبلوا الدعوة، وقد وقع في بعض الأخطاء واعتمد على عدد قليل من المصادر ومنها كتاب نيبور[١]، ولكن من المهم الإشارة إلى أن بوركهاردت كما يقول الدكتور العثيمين «كان محايدًا بدرجة كبيرة عن أنصار الدعوة، وفيما أورده عنهم الكثير من المعلومات المفيدة للمهتمين بتاريخهم»[٢].

٣- تاريخ موجز للوهابيين لهاردفود جونس برائجس: كان لكتابه أهمية عظيمة وقيمة تاريخية لأنه وصل إلى البلاد العربية في حياة الشيخ، ولكن من دواعي الأسف أنه عار تمامًا عن دقة النظر، وفي كثير من الأحيان ينقل عن بوركهاردت حرفيًا مع أنه ورد الحجاز بعده ومات قبله[٣] كما مر آنفًا.

٤- رواية رحلة سنة في وسط الجزيرة العربية وشرقها لبلجريف: وقد عده ديفيد كوبر من العملاء[٤]، انتقده بعض الكتاب الغربيين في معلوماته لأنهم وجدوا في ثناياها بعدًا عن الحقيقة، ويذكر بعض المؤرخين أن مذكراته ضاعت فاضطر إلى أن يكتب من ذاكرته مما جعله يقع في عدد كبير من الأخطاء[٥].

٥- الأئمة والسادة في عمان، تأليف: ج. برسي بيدجر: وهو في الحقيقة مترجم عن كتاب عربي لسليل بن رزيق، ولما كانت المدن الساحلية في الخليج والجزيرة العربية ترتبط

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص٣٠).

(٢) مواد لتاريخ الوهابيين (ص٨).

(٣) ينظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم (ص١٧٥).

(٤) ينظر: الحركة الوهابية (ص٧٦).

(٥) ينظر: الشيخ محمد في الرؤية الاستشراقية (ص٣٤).

بروابط متينة مع دعوة آل سعود فلذلك تعرض لتاريخهم وقد علق بيجر وكانت تعليقاته في الغالب علمية وطيبة ولكنه في أكثر الأحيان يعتمد على بلجريف فيما يتعلق بنجد[١].

٦ـ **رحلات في صحراء الجزيرة العربية، لداوتي**: كانت رحلته مهمة فيما يتعلق بالأحوال الاجتماعية للبدو والبحوث الجغرافية واللغوية[٢]. وقد اختص بالجانب التطبيقي من الدعوة الوهابية[٣].

٧ـ **رحلة إلى نجد، تأليف الليدي آن بلنت**: إن ملحق المجلد الثاني من هذا الكتاب اشتمل على حديث مهم تحت عنوان «مسح تاريخي لظهور وأفول الوهابية في الجزيرة العربية» أعدَّها زوجها ويلفرد بلنت وقد اعترف أنه كتب هذه المقالة معتمدًا على المادة العلمية التي أعدها الكولونيل روس، وقد وقع ويلفرد في عدد من الأخطاء، ومنها وصف دعوة الشيخ بأنها دين جديد كما تحدثت زوجته عن دعوة الشيخ وقيام الدولة السعودية حديثًا مختصرًا في أثناء حديثها عن حكم ابن رشيد[٤].

٨ـ **العربية ـ مهد الإسلام ـ لزويمر**: وقد حاول زويمر مع تعصبه الشديد أن يفهم دعوة الشيخ، واستعرض أحوال العرب استعراضًا صحيحًا قبل هذه الدعوة؛ إلا أن تعصبه قد غلب على استنتاجاته، فيقول: «لقد كانت هذه الحركة تجديدًا للإسلام ولكنها قد انتهت بالخيبة وظهر أنها كانت تمثيلية سياسية فقط»[٥].

وقد وقع في كثير من الأخطاء لاعتماده على المصادر المعادية للشيخ ودعوته، وقد

---

(١) ينظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم (ص١٧٧).

(٢) المرجع نفسه (ص١٧٧).

(٣) ينظر: الحركة الوهابية (ص٨٤).

(٤) ينظر: الشيخ محمد في الرؤية الاستشراقية (ص٣١).

(٥) ينظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم (ص١٧٩).

ذكرها في نهاية كتابه[1].

٩- الجزيرة العربية لهاري سانت جون فلبي: يعد من أعظم الرحالة الذين زاروا الجزيرة العربية وكتبوا عنها وقد غطى كل ركن منها وتعد كتاباته كثيرة جدًا وشاملة ودقيقة، وقد صاغ مؤلفاته بأسلوب بسيط، ولعل من أهم كتبه كتاب «الجزيرة العربية» الذي يعد من أهم الكتابات الغربية عن تاريخ نجد، وقد اعتمد في تأليفه عن تاريخ نجد على المصادر الأصلية باللغة العربية، مما جعل لكتابه مكانة عالية مرموقة لدى الباحثين الموضوعيين[2].

١٠- جولة في بلاد العرب (تأليف: هوغارث): استعرض المؤلف في هذا الكتاب استعراضًا مفصلاً ودقيقًا جهود جميع أولئك السياح الأوربيين الذين تجولوا في البلاد العربية خلال القرون الثلاثة الماضية، وعلق أيضًا على مكتوبات أولئك الذين زاروا نجدًا والحجاز أيام الشيخ أو أيام خلفائه، وكان نقله وتعليقاته خالية من الأخطاء فلذلك يمكن الاستفادة من هذا الملخص إذا لم توجد الرحلات الأصلية[3].

١١- الإسلام ونفسية المسلمين (تأليف: أندري سرفير): وهذا الكتاب مليء بالسب والشتم للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، وهو مترجم من الأصل الفرنسي[4].

١٢- انتشار الإسلام (ولسون كاش): وهذا الكتاب مليء بالأكاذيب والأخطاء ويرى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يسعى لإسلام عربي[5].

---

(١) ينظر: الشيخ محمد في الرؤية الاستشراقية (ص٣٦).

(٢) المرجع نفسه (ص٣٢).

(٣) ينظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم (ص١٧٩).

(٤) ينظر: المرجع نفسه (ص١٨١).

(٥) ينظر: المرجع نفسه (ص١٨٢).

١٣ـ العربية السعودية في القرن التاسع عشر (تأليف: ر. بيلي ويندر): وفي مقدمة هذا الكتاب تحدث الكاتب عن الشيخ ودعوته، وتعد آراء هذا المؤلف في عمومها جيدة، لاعتماده على مصادر عربية صحيحة أو مصادر أجنبية اعتمدت على مصادر عربية مثل كتاب فيلبي[١].

١٤ـ «ابن سعود الجزيرة.. شعبه وأرضه» من تأليف: أمين ريحاني: وهو كاتب عربي نصراني له مؤلفات بالعربية والإنجليزية، وقد ذكر هذا الكتاب ضمن قائمة مراجع بعض المستشرقين ومنهم مارجليوث. لقد تحدث ريحاني في أحد فصول كتابه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن ا لوهابية بشكل عام، وتبدو كتابته موضوعية ونقل عن كتب الشيخ، ولكنه وقع في بعض الأخطاء، مثل وصفه المذهب الحنبلي بأنه مذهب متشدد[٢].

(ب) التقارير والوثائق الرسمية باللغة الإنجليزية:

والآن تأتي الإشارة إلى أشهر التقارير الرسمية التي تعد من المراجع المهمة لعدد من المستشرقين الغربيين وقد طبعت في كتب منشورة ومنها:

١ـ تقرير السيرهارفورد جونس برايد جس، الذي يحمل عنوان «تاريخ موجز عن الوهابية» دافع فيه عن دعوة الشيخ، ورد على بعض الكتاب الفرنسيين، واهتم بالجانب التاريخي[٣].

٢ـ تقرير الكاتب جورج فوستر سادلير، وهو ضابط بريطاني ومبعوث الحكومة البريطانية في الهند، وقد أعد مذكرات طبعت في كتاب تحت عنوان «رحلة عبر الجزيرة

---

(١) ينظر: الشيخ محمد في الرؤية الاستشراقية (ص٣٣).

(٢) ينظر: المرجع نفسه (ص٣٣).

(٣) ينظر: المرجع نفسه (ص٣٨).

العربية خلال عام ١٨١٩م» وكان هدفه من رحلاته أن يهنئ الباشا إبراهيم على النجاحات التي حققها ضد الوهابيين عند سقوط الدرعية، ويعد سادلير في نظر بعض المستشرقين أول من اخترق الجزيرة العربية من بحرها إلى بحرها، وأول من وصف وسطها من خلال رؤية عينية، لكن كتابه لا يشتمل على معلومات مفصلة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو عن دعوته، وإنما توجد معلومات تاريخية مثل حصار الدرعية وبعض الإشارات إلى أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1].

٣- تقرير الكولونيل لويس بيلي: الذي طبع في كتاب تحت عنوان «رحلة إلى الرياض» وقد تحدث الكاتب عن رحلته مبينًا أنه لا يقصد من زيارة عاصمة الوهابيين كتابة تقرير مفصل، وإنما هدفه الأساس إبعاد مشاعر العداء، ولقد تحدث الكاتب في مقدمة كتابه بإيجاز عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، وفي هذا الحديث كثير من الأخطاء والمعلومات غير الدقيقة[2].

٤- تقرير ج. ج. لوريمر، الذي طبع في كتاب تحت عنوان «دليل الخليج»، ألفه للاستعمال الرسمي من قبل السلطات البريطانية في الخليج، تحدث عن الشيخ ودعوته حديثًا مختصرًا، فيه عدد من الأخطاء[3].

٥- تقرير ج. ج. ليث ويت: ويحمل عنوان «مذكرة تاريخية عن العلاقة بين أمراء الوهابيين وابن سعود مع شرقي الجزيرة والحكومة البريطانية من عام ١٨٠٠ ـ ١٩٣٤م» وهذا التقرير طبع في كتاب «حدود الجزيرة: «الوثائق الأصلية من عام ١٨٥٣ ـ ١٩٥٧م»، وقد تحدث فيه عن ظهور الوهابية حديثًا موجزًا، وذكر أنه لا داعي للحديث

----

(١) ينظر: المرجع السابق (ص٣٨).

(٢) ينظر: المرجع نفسه (ص٣٩).

(٣) ينظر: المرجع نفسه (ص٤٠).

عن هذا الأمر بالتفصيل، وقد وقع في بعض الأخطاء مع قصر حديثه عن الشيخ ودعوته[(١)].

(جـ) الموسوعات والقواميس الإنجليزية: ومن أشهرها[(٢)]:

١ـ دائرة المعارف الأولى، وفيها جملة من الأخطاء.

٢ـ دائرة المعارف الإسلامية، وفيها كذلك بعض الأخطاء لكنها أقل من سابقتها.

٣ـ الموسوعة البريطانية، فيها مقالة بعنوان «الوهابيون» كتبها القس جرفس ويلر وتكثر فيها الأخطاء عن الشيخ ودعوته.

٤ـ الموسوعة الإسلامية الموجزة، فيها كذلك جملة من الأخطاء لكنها أقل من أخطاء الموسوعات السابقة.

٥ـ ومن القواميس قاموس الإسلام الذي أعده توماس باتريك، كتب مقالة مطولة عن الشيخ ودعوته وقد وقع في عدد من الأخطاء لاعتماده على مراجع غربية.

(د) الرسائل العلمية:

هناك العديد من الرسائل العلمية التي كتبت من غربيين وبلغتهم، وأصبحت مرجعًا مهمًا للمستشرقين ومن هذه الرسائل:

١ـ «محمد بن عبد الوهاب وبداية إمبراطورية الموحدين في الجزيرة العربية» لجورج رنتز من جامعة كاليفورنيا بيركلي عام ١٩٤٨، وتعد هذه الدراسة محصلة اهتمامه بالشرق. وقد قام بترجمة مقدمتها وقوائم مراجعها والتعليق على مصادرها الأستاذ الدكتور عبد الله الوليعي وضمنها القسم الثاني من كتاب «الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب» ويعتبر الوليعي المصنف أول شخص يحصل على رسالة دكتوراه عن

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص٤١).

(٢) ينظر: المرجع نفسه (ص٤٢).

دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب[١]. وقد اعتمد في رسالته على المصادر الأصلية باللغة العربية وبالذات كتاب ابن غنام وابن بشر، كما اعتمد على عدد من الرحالة الغربيين الأقل خطأً مثل بوركهاردت وفيلبي وغيرهما[٢].

٢ـ (كتابات الرحالة الأجانب كمرجع لدراسة الحركة الوهابية في القرن التاسع عشر الميلادي) وهذا بحث مكمل لمتطلبات درجة الماجستير بجامعة أريزونا عام ١٩٨٤م، وقد ترجم الأستاذ الدكتور عبد الله بن ناصر الوليعي هذه الرسالة إلى اللغة العربية وطبعها تحت العنوان السابق، ولكن الكتاب أعيد طبعه تحت عنوان آخر وهو «الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب» بقلم لي ديفيد كوبر وجورج رينتز[٣].

ويشير الوليعي إلى أن سبب تغيير العنوان، أن العنوان الجديد أقصر مع الدلالة على المضمون نفسه، ولأنه أضاف مادة لها علاقة بالموضوع هي مصادر رسالة الدكتوراه التي أعدها جورج رينتز عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وإمبراطورية الموحدين[٤] وقد توصل الباحث إلى أن نظر بعض الرحالة إلى الدعوة لا يتصف بفهمها فهمًا صحيحًا[٥] وقد تحدث الباحث كوبر عن الشيخ ودعوته في فصلين موجزين من الرسالة وبحثه في الجملة جيد ومفيد، لكنه وقع في عدد من الأخطاء لاعتماده على كتابات الرحالة والموسوعات الاستشراقية[٦].

---

(١) ينظر: الحركة الوهابية (ص٢٦، ١٣٥).

(٢) ينظر: المرجع نفسه (ص١٤١).

(٣) ينظر: الشيخ محمد في الرؤية الاستشراقية (ص٥٠).

(٤) ينظر: الحركة الوهابية (ص٢٥).

(٥) ينظر: المرجع نفسه (ص١١٩).

(٦) ينظر: الشيخ محمد في الرؤية الاستشراقية (ص٥١).

٣ـ «حركة الإخوان في نجد: ظهورها وتطورها، وضعفها» بقلم جون حبيب، جامعة ميتشجن، رسالة دكتوراه عام ١٩٧٠م، تحدث الباحث في الفصل الأول باختصار شديد عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ووصفها بأنها تطالب بالرجوع إلى الأخذ بالإسلام والاعتماد على القرآن والسنة، وذكر أن حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تعرف بالموحدين أو أهل التوحيد، أما أغلب حديثه في هذا الفصل فعن الجانب التاريخي والصراع بين الدولة السعودية وأعدائها[١].

٤ـ «إخوان المملكة العربية السعودية: الماضي والحاضر» بحث مكمل لمتطلبات درجة الماجستير بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة ميجل بكندا عام ١٩٨٣م من الباحثة: دونا زامسكا، تحدثت الباحثة في مقدمة الرسالة عن معتقد الوهابيين، ثم تحدثت باختصار عن حياة الشيخ العلمية،وفي مقدمة هذه الرسالة عدد من الأخطاء[٢].

٥ـ «دراسة حول السيرة الفكرية لشيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ أبرز قادة الفكر الإسلامي في القرن الثامن عشر». بقلم الباحثة (نت)، رسالة دكتوراة من جامعة جورج تاون وتناولت الدراسة الأفكار الرئيسية لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وتحليل منهجه في تفسير الشريعة الإسلامية، وخصصت الباحثة فصلين كاملين لأكثر القضايا جدلاً في كتابات الشيخ لدى الغربيين، وهما معاملة النساء، وتحليل رسالته في الجهاد[٣].

(هـ) المقالات المنشورة في الكتب والمجلات العلمية:

وهي مقالات كثيرة تختلف في صحة المعلومات والموضوعية باختلاف المصادر

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص٥١).

(٢) ينظر: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) ينظر: مجلة الدعوة، العدد ١٨٩٩ (ص٣٠).

والأشخاص، ومن هذه المقالات:

١ـ الوهابية، والوهابيون: مقالتان بقلم مرغليوث:

وكلتا المقالتين مملوءتان بالأخطاء[١].

٢ـ مقالة ابن سعود، وابن رشيد، لماردتمان:

هاتان المقالتان لهذا المستشرق الألماني ماردتمان جامعة وصحيحة إلى حد كبير وجهوده في تعيين التواريخ والسنين تستحق الثناء، فلم يلتزم أحد قبله بتعيين التواريخ الصحيحة والتطبيق بين السنين الهجرية والسنين الميلادية[٢].

وهناك غيرها من المقالات التي كتبت في الكتب والمجلات العلمية وأصبحت مرجعًا لكثير من الغربيين[٣].

دراسة نقدية لهذه المصادر:

ومن الملاحظ مما تقدم أن ثلة من المستشرقين لم يعتمدوا على المصادر الأصلية والوثائق المعتمدة للدعوة.

فلم نجد أحدًا اعتمد أو رجع إلى كتاب واحد من كتب الشيخ أو رسائله باستثناء الباحثة الأمريكية (نت) التي رجعت إلى كتب الشيخ ورسائله وبالذات كتاب التوحيد[٤]. بل لم يعتمدوا على المصادر العربية الموثوقة إلاَّ القليل منهم مثل فلبي ومرجليوث، فلذلك كان أمثال هؤلاء أقرب إلى الحقيقة.

ومن أبرز الأسباب التي تجعل المنصف لا يطمئن إلى مصادرهم ما يلي:

---

(١) ينظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم (ص١٨٠).

(٢) ينظر: المرجع نفسه (ص١٨٠).

(٣) ينظر: الشيخ محمد في الرؤية الاستشراقية (ص٤٤).

(٤) ينظر: مجلة الدعوة العدد ١٨٩٩ (ص٣١).

١ـ جهل أكثرهم باللغة العربية وأساليبها ودلالاتها.

٢ـ جهلهم بحقيقة الدين الإسلامي والشريعة وأصولها وأحكامها وفي هذا يقول كوبر: «وكان بعضهم على جانب من العلم بالعربية، أما الشريعة الإسلامية فلم يكن يعرف عنها شيئًا إلا قلة قليلة جدًا من هؤلاء الرحالة الذين لديهم ما يمكنهم من الملاحظة العلمية المتعمقة المتفهمة»(١).

٣ـ عجزهم عن اختراق وسط نجد وجنوبها وعدم فهمهم لثقافات المناطق التي مروا بها، يقول كوبر: «وخلاصة القول أنه نظرًا لعجز أغلب الرحالة عن اختراق وسط نجد وجنوبها، قاعدة الوهابية، فقد خلت تقاريرهم من المرئيات الأصلية عن سلوك الوهابيين وسياستهم، أضف إلى ذلك أن الكثير منهم كانوا يفتقرون إلى فهم ثقافات المناطق التي مروا بها»(٢).

٤ـ الدوافع النفسية ونظرتهم الاستعلائية للغرب والدونية للعرب، فإنه مع اختلاف شخصياتهم إلا أنهم يجمعهم رابط وهو أنهم يشعرون بالانتماء إلى جنس يجب أن يسود، كما سبق ذكره في دوافع الرحلات.

٥ـ الروح الصليبية المعلنة والخفية، وكما يقول الأستاذ/ عمر لطفي في مقدمته لترجمة كتاب تاريخ الاستشراق لـ «يوهان فوك»: «إن عصا اللاهوت ما انفكت تلاحق هذه الدراسات بعصاها الغليظة مثلما لاحقت محبيها والمخلصين لها من قبل. وسواء صنفت هذه الدراسات، ولا سيما الإسلامية منها، تحت أي تسميات وشعارات مثل (العقلانية وغيرها من المصطلحات) التي تريد أن تنأى بهذه الدراسات عن العاطفة وتلبسها ثوب الوقار، أو كان أصحابها من الرهبان الذين يشيرون إلى دوافعهم بالبنان، فالأمر

---

(١) ينظر: الحركة الوهابية (ص٩١).

(٢) المرجع نفسه (ص١٢١) بتصرف يسير.

واحد»[1].

ويقول (برنارد لويس): «لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية»[2].

٦ـ الاعتماد على مؤلفات مجهولة المؤلف مثل اعتمادهم على كتاب لمع الشهاب في سيرة ابن عبد الوهاب، وقد سبقت الإشارة إليه وإلى الاختلاف في مؤلفه.

٧ـ الاعتماد على مؤلفات وأقوال أعداء الشيخ ودعوته، وإن كان العدل والإنصاف يحتمان عدم الحكم على الشخص من خلال أقوال خصومه فقط، ومن خصوم الشيخ ودعوته الدولة العثمانية وولاتها وأمراء الأقاليم في الحجاز والأحساء والجزيرة العربية ورؤساء الطرق الصوفية ومريدوهم وزعماء الفرق الأخرى والرافضة وبعض العلماء في نجد وما حولها.

٨ـ الاعتماد على السماع من غير توثيق،وقد يكون من عامة ومجاهيل وأخذهم كثيرًا عن الحجاج وغيرهم.

وبناء على هذه الأسباب وغيرها وقع المستشرقون في جملة من الأخطاء والأكاذيب كما سيأتي معنا في فصول هذا الباب.

---

(١) تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك، ترجمة عمر لطفي العالم (ص٩)، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ.

(٢) الاستشراق والتاريخ الإسلامي، أ.د. فاروق عرفوزي (ص٢٩)، الأهلية، الأردن، ط١، ١٩٩٨م.

المطلب السادس

التسمية بالوهابية

التسمية بالوهابية نسبة إلى والد الإمام محمد بن عبد الوهاب وهذه التسمية غير صحيحة من ناحية النسبة، لأن بعضهم يرى أن النسبة الصحيحة أن يقال الدعوة المحمدية مثل الشيخ محمد جميل زينو[(١)]. ولكن يبدو لي أنه لا إشكال في النسبة إلى والد الإمام، فمذهب الإمام أحمد بن حنبل سمي بالمذهب الحنبلي ولم يسمَّ بالمذهب الأحمدي وكذلك مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي سمي بالمذهب الشافعي وكذا الحنفي والثوري فهذه مذاهب لم تنسب إلى أسماء أصحابها ولم ينكر أهل العلم هذه النسبة، ولكن الإشكال الذي قد يقع هنا هو اللبس التاريخي؛ حيث أن الدعوة قد تنسب إلى والد الشيخ وقد وقع بعضهم في ذلك.

ولكن يبقى السؤال: من أين جاءت هذه التسمية؟

هناك من يقول إن أتباع الدعوة هم المنشأ لهذه التسمية يقول لويس دوكورانسي: «واتخذ المصلحون لأنفسهم اسم الوهابيين، نسبة لعبد الوهاب والد الشيخ»[(٢)]، وهذا غير صحيح كما سيأتي.

وأستبعد أن يكون المستشرقون هم مصدر التسمية، وتبقى لنا طائفة وهم الخصوم المناوئون للدعوة وذلك:

---

(١) ينظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بين المعارضين والمؤيدين، محمد جميل زينو (ص٢٦).

(٢) الوهابيون، تاريخ ما أهمله التاريخ، لويس دوكورانسي (ص٦١)، ترجمة مجموعة من الباحثين، رياض الريس، ط١، ٢٠٠٣م.

أن الدعوة عندما نشأت في نجد وقف ضدها مجموعة من علماء نجد وما جاورها من البلاد فسمُّوها بهذه التسمية لتنفير الناس عنها وربطها بفرقة الوهابية المتفرعة عن الوهبية الفرقة الإباضية الخارجية، يقول الدكتور محمد الشويعر: «ومن هنا ندرك السر في الإصرار على لقب الوهابية، وإشاعة أنهم مذهب خامس لأن علماء المغرب قد اكتووا بنار الوهابية الرستمية الخارجية ولديهم فتاوى حولها ومذهب أهلها»(١).

وهذه التسمية أطلقت في الأصل للذم كما قال الأستاذ الدكتور علي النملة: «أن اللفظ قد استخدم للذم في كتابات عربية وأجنبية متعددة»(٢).

ويقول الشيخ محمد جميل زينو: «لم تكن الوهابية معروفة عند أتباع الشيخ، وإنما ينبزهم بها خصومهم، بل ينبزون بها كل من دان بمذهب السلف، حتى ولو كان في الهند، أو مصر وإفريقيا وغيرها، والخصوم يريدون بهذا اللقب عزل الدعوة عن المنهج السليم»(٣).

ويقول الشيخ أحمد أبو طامي: «ومن دعايات الأتراك والأشراف المنفرة للناس نبزهم لأتباع الشيخ بالوهابية وجعلهم هذا اللقب كعنوان للخروج عن المذاهب وعدم محبة النبي ﷺ»(٤).

ويقول الدكتور محمد الخضيري: «وكان البعض يهدف من وراء إشاعة هذا

---

(١) تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، د. محمد الشويعر (ص٩٧)، دار الحبيب، الرياض، ط٤، ١٤٢١هـ.

(٢) الاستشراق والدراسات الإسلامية، د. علي النملة (ص١٥٦).

(٣) دعوة الشيخ محمد، محمد جميل زينو (ص٢٧).

(٤) الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، تأليف العلامة أحمد بن حجر أبو طامي (ص٤١).

الاصطلاح إلى تشوية الدعوة الإصلاحية والنيل منها، وخاصة لدى عامة الناس»[١].

ويقول الدكتور عبد الله العثيمين: «ومن المعروف أن خصوم أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هم أول من أطلق عليهم اسم «الوهابيين» تشويها لسمعتهم وتنفيرًا عنهم، لكن هذا الاسم أصبح شائعًا لدى كثيرمن الكتَّاب، خاصة الأوروبيين، أما أتباع تلك الدعوة فيسمُّون أنفسهم المسلمين أو الموحدين. وفي الفترة الأخيرة بدأ بعض الكتَّاب يسمّونهم السلفيين»[٢].

إذن فمما سبق يتبين لنا أن منشأ هذه التسمية هم خصوم الدعوة وأن الهدف من هذه التسمية هو نبذ هذه الدعوة المباركة وتنفير الناس عنها.

بل إن المستشرقين أنفسهم اعترفوا أن المصدر لهذه التسمية هم الخصوم المناوؤن، فهاهو المستشرق جون حبيب يقول: «الوهابية، ليست وصمة، ولا هي سبة، ولكن العامة نفرت منها زمنا ما، بما غرسته الدعاية العثمانية التركية في النفوس من تشويه لها ولأهدافها ولسيرتها وتاريخها»[٣].

ويقول إليكسي: «إن الوهابية تسمية أطلقها على هذه الحركة خصومها أو الناس من غير أبناء الجزيرة[٤] وقد ترسخت هذه التسمية في مطبوعات المستشرقين، أما أتباع محمد ابن عبد الوهاب فكانوا يسمون أنفسهم بالتوحيديين أو المسلمين فقط، ولا يسمون

---

(١) تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج، ج. ج. لوريمر، جمع وتعليق د. محمد سليمان الخضيري (ص١٥)، دار غارنت، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢) مواد لتاريخ الوهابيين، مقدمة المترجم (ص٨).

(٣) الإخوان السعوديون في عقدين (١٣٢٨ ـ ١٣٤٩هـ)، تأليف جون س. حبيب، ترجمة: د. صبري محمد حسن (ص٣١٠)، دار المريخ، الرياض.

(٤) كالأتراك.

بالوهابيين إطلاقًا»[1]، وفي هذا رد على لويس دوكورانسي. ويقول جورج رنتز: «ويستخدم نفس التسمية الكثيرون من أهل الشرق الأدنى لاسيما خصومها»[2].

ويقول مارجليوث: «إن التسمية بالوهابية أطلقت من قبل المعارضين في فترة حياة مؤسسها، وقد استخدم الأوروبيون هذه التسمية، ولم تستعمل من قبل أتباعها في الجزيرة العربية، بل كانوا يسمون أنفسهم بالموحدين»[3].

ويقول توماس باتريك: «أن أعداءهم لا يريدون تسميتهم بالمحمديين المسلمين ولذا ميزوهم باسم أبي الشيخ وسمُّوهم بالوهابيين»[4].

وبناء على ما تقدم يتبين أن الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه إجمالاً لم يطلقوا على أنفسهم هذه التسمية، وإن كان قد ثبت عن قلة من الأتباع إطلاق هذه التسمية عليها مثل القصيمي أول أمره في الثورة الوهابية.

نقد التسمية[5]:

هذه التسمية تستخدم من صنفين:

الصنف الأول: الذي استخدم الكلمة مع تبني ما تدل عليه من ازدراء للدعوة.

الصنف الثاني: الذين استخدموا هذا المصطلح لأنه قد بدا لهم أنه أكثر دقة من غيره، وبينوا أن استخدامهم للمصطلح لا يحمل معنى السخرية أو الازدراء.

ولهذا الصنف يقال: إن المفترض بناء على المنهج العلمي الموضوعي في البحث وضع

---

(١) تاريخ العربية السعودية، إليكسي فاسيلييف (ص١٠٢).

(٢) الحركة الوهابية (ص١٤٠).

(٣) الشيخ محمد في الرؤية الاستشراقية (ص٨٦).

(٤) ينظر: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) ينظر: المرجع نفسه (ص٨٨).

مصطلح دقيق لا يتضمن اتجاهًا مذهبيًا، وهذا أمر ممكن حتى لا يدخل المغرضون من هذا الباب كما هو شأنهم في استخدام العبارات الموهمة.

ومن قبل سد الإسلام هذا الباب، ووجه إلى استعمال اللفظ المناسب للمعنى، ولذا جاء نهي المؤمنين عن استخدام كلمة «راعنا» وأمرهم باستخدام كلمة «انظرنا». قال تعالى: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ﴾[البقرة:١٠٤] يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول ﷺ عند تعلمهم أمر الدين ﴿ ﯗ﴾ أي: راع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحًا، وكان اليهود يريدون بها معنى فاسدًا، فانتهزوا الفرصة، فصاروا يخاطبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد. فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة، سدًا لهذا الباب، ففيه النهي عن الجائز، إذا كان وسيلة إلى محرم، وفيه الأدب، واستعمال الألفاظ، التي لا تحتمل إلا الحسن وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع تشويش واحتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة، لا تحتمل إلا الحسن فقال: ﴿ﯙ ﯚ﴾ فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذور»[1].

ومن خلال شرح الشيخ السعدي يتبين ضرورة اجتناب مصطلح (الوهابية) لما يحمله من احتمالات التشويش على الناس.

أما ما يُزعم من دقة المصطلح ودلالته فذلك منقوض تاريخيًا حيث سبق استخدام المصطلح للدلالة على فرقة من فرق الخوارج كما مر معنا، وبناء على ما تقدم يتضح ما يلي:

أولاً: خطأ استخدام مصطلح الوهابية وضرورة تجنب الكتّاب المسلمين استخدام مصطلح الوهابية،وعدم التساهل في هذا الأمر.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١/ ٨٣)، دار المدني بجدة، ١٤٠٨هـ.

ثانيًا: عدم صحة كلام المستشرق باتريك وعدم دقته حول تسمية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه (بالوهابية) لأجل تمييزهم، فهذا المصطلح يطلق كما تقدم على فرقة سابقة فتنتفي دعوى التميز، كما أنه بالإمكان الاستعاضة عنه بمصطلح أدق كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية أو نحو ذلك.

ثالثًا: تميزت كتابة جورج رنتز من كتابات غيره من المستشرقين فيما يتعلق بالمعلومات الصحيحة والدقيقة حول مفهوم مصطلح (الوهابية) لدى الغرب وإيحاءات هذا المصطلح، ولكنه من المؤسف أنه انخرط كغيره من المستشرقين في استخدامه، وإن صرح بأنه استخدمه كما يقول لغرض الملاءمة والإيضاح. ولقد انفرد جورج عن غيره من المستشرقين باستخدام مصطلح الموحِّد في عنوان رسالته للدكتوراه بدلاً من استخدام مصطلح (الوهابية) الشائع في الغرب[1].

---

(١) ينظر: الحركة الوهابية (ص١٤٠).

الفصل الأول

الطعن في حقيقة الدعوة وفي موقفها من السنة والنبوة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الطعن في حقيقة الدعوة.

المبحث الثاني: الطعن في موقف الدعوة من السنة والنبوة.

المبحث الأول
الطعن في حقيقة الدعوة

قال تعالى: ﴿ﭵﭶﭷﭸﭹ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿ﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فدين الإسلام هو الدين الذي لا يرضى الله عز وجل دينًا سواه وقد أكمله الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿ﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅ﴾ [المائدة: ٣].

وهذا الدين هو الذي أتى به نبينا محمد ﷺ وأتى المجددون من بعده ﷺ ليزيلوا عنه البدع والخرافات التي تطرأ عليه بين فترة وأخرى، ومن هؤلاء المجددين الإمام محمد بن عبد الوهاب، ومع هذا فقد تناولته ألسن الأعداء وطعنوا في دعوته واتهموه بأنه قد أتى بفرقة جديدة أو مذهب خامس جديد أو أتى بعقيدة ودين جدين، وانضم لهذه الزمرة طائفة من المستشرقين. والآن أعرض شيئًا من أقوالهم مع بيان زيفها وضلالها.

من أقوال المستشرقين:

يقول بوركهاردت عن الإمام محمد بن عبد الوهاب: «فأعداؤه حينما سمعوا بفرقته الجديدة التي تهاجم انحراف الأتراك...»[1].

وقال أيضًا: «وكان مؤسس تلك الفرقة من المعروفين؛ إذ هو عالم عربي اسمه عبد الوهاب[2]»[3].

---

(١) مواد لتاريخ الوهابيين، لبوركهاردت (ص ١٣).

(٢) هذا خطأ في النسبة، والصحيح أنه اسمه محمد بن عبد الوهاب.

(٣) المرجع السابق (ص ٩).

وقد نقل الدكتور ناصر التويم عن المستشرق وليم بلجريف قوله: «كيف اعتنق الأمير الفرقة الوهابية»[(١)]، ونقل أيضًا قوله: «لقد ذكرت التاريخ المتقدم للفرقة الوهابية في المجلد الأول»[(٢)].

أما صمويل زويمر وتوماس باتريك فقد اتفقا على وصف الدعوة بأنها فرقة واختلفا في مضمونها فقال زويمر: «إن عبد الوهاب[(٣)] دعا إلى التجديد وادعى أنه قائد الفرقة الجديدة»[(٤)]، وقال توماس: «الوهابية فرقة مسلمة»[(٥)].

وقد ادعى زويمر أن دعوة الشيخ تتميز من نظام السنة بنقاط منها[(٦)]:

١ ـ يحرمون على المرأة زيارة قبر الميت:

وأقول أن هذا في الحقيقة موافق لأهل السنة وليس مخالفًا؛ لأن النبي ﷺ لعن زائرات القبور، كما أخرج ذلك أبو داود في سننه، باب زيارة النساء القبور[(٧)].

٢ ـ يقبلون بأربعة أعياد هي: الفطر والأضحى وعاشوراء وليلة المعراج.

والصواب أنه ليس في الإسلام سوى عيدين هما الفطر والأضحى، أما عاشوراء فليس بعيد وورد النص بصيامه، وأما ليلة المعراج فلم يثبت في شأنها شيء، بل إن الشيخ محمدًا وأتباعه يرون بدعة الاحتفال بهذه الليلة.

----

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرؤية الاستشراقية، للتويم (ص ٩٣).

(٢) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) خطأ في النسبة كذلك.

(٤) المرجع نفسه (ص ٩٤).

(٥) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٦) ينظر: المرجع نفسه (ص ٩٦).

(٧) حديث رقم (٣٢٣٦).

٣ ـ عندهم فكرة التجسيم الآتية من تفسيرهم الحرفي لنص القرآن حول يدي الله واستوائه وغير ذلك.

وهذا اختلاق فالشيخ محمد وأهل السنة يثبتون الأسماء والصفات بلا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل.

٤ ـ يؤمنون بالجهاد وأنه ليس بمنتهٍ وأنه ماضٍ.

وهذا موافق لأهل السنة؛ فالجهاد باق إلى قيام الساعة، ولكن تراعى أنواعه وشروطه.

٥ ـ يدينون المنارات وبناء المشاهد وكل شيء لم يستخدم خلال السنوات الأولى من الإسلام.

وهذا من مذهب أهل السنة لئلا يكون ذريعة للبدعة والشرك.

والمتأمل في أقوال زويمر يلحظ أنه ربما تأثر بما كتب في كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب) وما ذكر فيه من تفريق بين دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين أهل السنة والجماعة.

وعندما تحدث المستشرق الدانمراكي كارستك نيبوهر عن الدعوة قال عنها: «ومنذ بضع سنوات، نشأت في العارض فرقة جديدة، بل ديانة جديدة، ستحدث مع مرور الأيام تغييرات واسعة في معتقدات العرب وأسلوب حكمهم، ومؤسس هذه الديانة هو عبد الوهاب»[1].

وقال هيوجز: «إن الوهابية قد توصف في بعض الأحيان بأنها فرقة بروتستنية في الإسلام»[2].

---

(١) وصف جزيرة العرب: كارستك نيبوهر، نقلاً عن تاريخ البلاد العربية السعودية، د/ منير العجلاني (١/ ٣٠٠)، دار الكتاب العربي.

(٢) قاموس الإسلام: هيوجز، نقلاً عن محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم، للندوي (ص ١٥٥).

وقال المستشرق بيتر برينت: «وفي منتصف القرن الثامن عشر ظهر أحد مواطني نجد وكان قد درس في دمشق ثم في بغداد(١) ولكنه كان متأثرًا بمذهب أحمد بن حنبل الصلب(٢) واسم هذا الرجل هو محمد بن عبد الوهاب، وعندما رجع إلى الصحراء وإلى مواطنيه من رجال القبائل كرس حياته لنشر مذهب جديد»، ثم قال: «فظهرت حركة تطهيرية جديدة في بلاد العرب وكان أحد الموالين والمشايعين لهذه الحركة أحد شيوخ القبائل المدعو محمد بن سعود، وكشخص عربي وجد أن هذا المذهب الوهابي لن يكون له أثره السلبي ما دام موجهًا ضد الأتراك»(٣).

وينقل المستشرق إليكسي عن «مجلة المنوعات الأدبية» الروسية في عام ١٨٠٥م أنها تقول: «قبل حوالي نصف قرن أسس هذه الطائفة ـ أي الوهابية ـ شيخ عربي اسمه، محمد ويؤكد الوهابيون أنه ابن عبد الوهاب بن سليمان، وتقول رواية قديمة أن سليمان هذا، وهو أعرابي فقير من قبيلة نجدية صغيرة، قد رأى في المنام أن لهبًا اندلع من بدنه وانتشر في البراري على مسافات بعيدة ملتهمًا في طريقه الخيام في البوادي والمنازل في المدن، ارتعب سليمان من هذا الحلم وطلب له تفسيرًا من شيوخ قبيلته الذين اعتبروه بشير خير، وأخبروه بأن ابنه سيكون مؤسسًا لمذهب جديد يعتنقه أعراب البادية وأن هؤلاء الأعراب سيُخضعون سكان المدن، وقد تحقق هذا الحلم ليس بشخص ابن سليمان عبد الوهاب بل

---

(١) الصواب أنه لم يصل إلى الشام كما ذكر في رحلاته حيث ضاعت نفقته ولم يصل إلى بغداد كذلك وإنما وصل إلى البصرة.

(٢) وكأنه هنا يشير بطريق غير مباشر أن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوة صلبة متشددة تأثرًا بمذهب الإمام أحمد بن حنبل، وإن كان الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ بريء من هذا الادعاء.

(٣) بلاد العرب القاصية رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب / بيتر برينت، ترجمة خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو (ص٩٧)، دار قتيبة، بيروت، ١٤١١هـ.

بشخص حفيده الشيخ محمد»[١].

ويقول أيضًا: «ووقعت بذور الدعاية الوهابية في تربة كانت معدة لهذا القدر أو ذاك لتقبل المذهب الجديد...»[٢].

وقال أيضًا عندما أمر سليمان الحميدي حاكم الإحساء عثمان أمير العيينة بقتل الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ولعل أسباب تصرف سليمان الحميدي هذا تعود إلى الضغط الذي مارسه عليه العلماء المحليون المستاءون من انتشار المذهب الجديد الذي ينسف مواقعهم»[٣].

وقال مايلز عن بدر والي مسقط: «وحاول غرس المذهب الوهابي ولكن دون نجاح كبير»[٤].

وقال لويس بلي عن الدعوة: «وكان منشئ هذا المذهب»[٥].

ووصفت الدعوة أيضًا بأنها عقيدة جديدة ودين جديد، ومن ذلك قول بوركهاردت: «ذلك أن البدو من الطبقة العامة الذين اتبعوا العقيدة الجديدة كانوا ـ في الغالب ـ جاهلين جهلاً تامًا بمبادئها ومضمونها الحقيقي»[٦].

---

(١) تاريخ العربية السعودية من القرن الثامن عشر حتى نهاية القرن العشرين، إليكسي فاسيلييف (ص٨٧)، شركة المطبوعات، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م.

(٢) المرجع نفسه (ص١٠٥).

(٣) المرجع نفسه (ص١١٢)، وينظر كذلك (ص ١٣٦) و(ص ١٤٠).

(٤) المرجع نفسه (ص ١٤٣).

(٥) رحلة إلى الرياض، كولونيل لويس بلي، ترجمة: د/ عبد الرحمن الشيخ ود/ عويضة الجهني (ص ٦)، جامعة الملك سعود، ١٩٩١م.

(٦) مواد لتاريخ الوهابيين، لبوركهاردت (ص ٩).

وقال بوركهاردت: «وقد كتب روسو عن الوهابيين رسالتين قصيرتين في بغداد وحلب حوالي سنة ١٨٠٨م، وأكد أنهم أتوا بديانة جديدة»[١].

وقال فيلبي: «واستمرت الدعوة خارج الحدود مما جعلهم يعتنقون الدين الجديد»[٢] وكذلك وصفت «الليدي آن بلنت» الدعوة بأنها دين جديد[٣].

أما نيبوهر فقال: «ومنذ بضع سنوات، نشأت في العارض فرقة جديدة، بل ديانة جديدة، ومؤسس هذه الديانة هو: «عبد الوهاب»، الذي ولد في نجد، ودرس فيها ثم عاش في البصرة وقام برحلة إلى بغداد، ولما عاد إلى نجد، دعا أبناء وطنه إلى أفكاره الدينية الجديدة»[٤].

موقف الإمام محمد بن عبد الوهاب من هذه الدعوى:

في الحقيقة أن المستشرقين لم يوجهوا هذه التهم مباشرة ليرد عليها ولكن هذه التهم قد وجهت للشيخ من قبل المناوئين للدعوة في عصره فرد عليهم من خلال الرسائل والتأليف وسأذكر بعضًا من كلامه الذي يبين موقفه من هذه الدعوى:

قال رحمه الله في مسائل الجاهلية: «والثانية: أنهم متفرقون في دينهم، كما قال تعالى: ﴿□□□ ىىيي□ □□□□ ﴾ [الروم: ٣٢]، وكذلك في دنياهم ويرون أن ذلك هو الصواب، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله: ﴿ڃڃچچچچڇڇڍڍڌڌڎڎڈڈژژڑڑکک

---

(١) المرجع نفسه (ص ١٦).

(٢) الشيخ محمد في الرؤية الاستشراقية (ص٩٤).

(٣) رحلة إلى بلاد نجد نقلاً عن مواقف المستشرقين من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، د/ عبد الله الدميجي (ص٥٧).

(٤) وصف جزيرة العرب: نيبوهر، نقلاً عن تاريخ البلاد العربية السعودية للعجلاني (١/ ٣٠٠).

ﮑﮒ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ونهانا عن مشابهتهم بقوله: ﴿ﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ونهانا عن التفرق في الدنيا بقوله: ﴿ﭭﭮﭯﭰﭱ﴾ [آل عمران: ١٠٣]»[1].

وقال رحمه الله في ستة أصول عظيمة مفيدة: «الأصل الثاني: أمر الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فيه، فبين الله هذا بيانًا شافيًا تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين ونهاهم عن التفرق فيه، ويزيده وضوحًا ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الأمر بالاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون»[2].

وقال رحمه الله في رسالته لأهل القصيم: «أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره»[3].

وقال رحمه الله في رسالته إلى عبد الرحمن بن عبد الله: «وأخبرك أني ولله الحمد متبع ولست بمبتدع عقيدتي وديني الذي أدين لله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة»[4].

----

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، تصنيف وإعداد: عبد العزيز الرومي، د/ محمد بلتاجي، د/ سيد حجاب، القسم الأول (العقيدة والآداب الإسلامية/ مسائل الجاهلية) (١/ ٣٣٤)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) المرجع نفسه (ستة أصول) (١/ ٣٩٤).

(٣) المرجع نفسه (الرسائل الشخصية) (٦/ ٨).

(٤) المرجع السابق (الرسائل) (٦/ ٣٦).

وقال رحمه الله: «ونعتقد أن أمة محمد ﷺ المتبعين لسنته لا تجتمع على ضلالة»[١].

وأكد رحمه الله أنه لم يأت بمذهب وإنما كان متبعًا للحق فقال في رسالته إلى عبد الله ابن محمد بن عبد اللطيف: «وأما: ما ذكر لكم عني، فإني لم آته بجهالة، بل أقول ـ ولله الحمد والمنة وبه القوة ـ إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين، ولست ـ ولله الحمد ـ أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل ابن القيم، والذهبي، وابن كثير، أو غيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه: إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق»[٢].

وقال رحمه الله موضحًا أنه دعا الناس إلى دين الإسلام الصحيح: «أما ما نحن عليه من الدين؟ فعلى دين الإسلام، الذي قال الله فيه: ﴿ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ﴾ [آل عمران:٨٥].

وأما: ما دعونا الناس إليه؟ فندعوهم إلى التوحيد الذي قال الله فيه خطابًا لنبيه ﷺ: ﴿ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ﴾ [يوسف:١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ﴾ [الجن:١٨].

وأما: ما نهينا الناس عنه؟ فنهيناهم عن الشرك الذي قال الله فيه: ﴿چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ﴾ [المائدة:٧٢]، وقوله تعالى لنبيه ﷺ على سبيل التغليظ، وإلا فهو منزه، هو وإخوانه عن الشرك ﴿ۓ ۓ ﮮ ﮯ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ

---

(١) المرجع نفسه (الرسائل) (٦/ ١١٥).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (١/ ٣٧).

ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ﴿ [الزمر:٦٥، ٦٦] وغير ذلك من الآيات. ثم قال: وحقيقة اعتقادنا[١]: أنها تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، وإلا فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار، مع أنهم يقولون: لا إله إلا الله، بل: ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، بل ويصومون، ويحجون، ويجاهدون، وهم مع ذلك تحت آل فرعون، في الدرك الأسفل من النار، وكذلك ما قص الله سبحانه عن بلعام[٢]، وضرب له مثلاً بالكلب، مع ما معه من العلم.

إلى أن قال: «وما جئنا بشيء يخالف النقل، ولا ينكره العقل، ولكنهم: يقولون مالا يفعلون، ونحن نقول ونفعل ﴿ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ﴾ [الصف:٣]»[٣].

من أقوال العلماء والمفكرين في بيان حقيقة الدعوة والثناء عليها:

من سنة الله سبحانه وتعالى أن الحق يظهره الله ولو بعد حين ومن صور التأييد للحق شهداء الله في أرضه ومنهم العلماء الذين زكاهم الله على أعظم أمر وهو التوحيد فقال سبحانه: ﴿ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ﴾ [آل عمران: ١٨]، فشهادة العلماء أقرَّ بها رب ا لأرض والسماء فلا مجال للجرح فيها أو التشكيك في مصداقيتها، ومن هنا فإني أسوق جملة من شهادة العلماء الأجلاء الذين شهدوا لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب شهادة حق، ومن ثم فإني أسوق كذلك بعضًا من شهادة المفكرين الذين أثنوا على دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في هذا الموطن وفي غيره من

---

(١) أي في لا إله إلا الله.

(٢) هو رجل من بني إسرائيل قيل: اسمه بلعم بن باعوراء، وقيل: بلعام، وقيل: صيفي. ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ (٢/ ٢٩٣) تفسير سورة الأعراف آية ١٧٥.

(٣) الدرر السنية (١/ ٩٥).

المواطن.

ومن هؤلاء العلماء الإمام محمد الصنعاني[1] - صاحب سبل السلام - فقد أثنى على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكتب قصيدة جاء فيها[٢]:

سلامي على نجد ومن حل في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

قفي واسألي عن عالم حل سوحها ... به يهدى من ضل عن منهج الرشد

محمد الهادي لسنة أحمد ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي

لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدر في الحق منهم ولا ورد

إلى أن قال:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي

وينشر جهرًا ما طوى كل جاهل ... ومبتدع منه فوافق ما عندي

ويعمر أركان الشريعة جاهدًا ... مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله تعالى - في رده على من قال أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد أتى بمذهب خامس وغش الأمة: «فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، إنما دعا الناس إلى أن يعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به شيئًا، وهذا لا يرتاب فيه مسلم، أنه دين الله الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه.

---

(١) هو الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، عالم صنعاء وأديبها، وكان محققًا ذا معرفة في العلوم الأصلية والفرعية، صنف عدة كتب في الرد على المشركين المعتقدين في الأشجار والأحجار، ومنها كتاب تطهير الاعتقاد عن دون الإلحاد. ينظر: عنوان المجد، لابن بشر (١/ ٥٣).

(٢) ينظر: عنوان المجد (١/ ٥٣).

وقوله: مذهب خامس، يبين جهله، وأنه لا يعرف العلم، ولا العلماء، فإن الذي قام به شيخ الإسلام ـ يقصد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ لا يقال له مذهب، وإنما يقال له: دين، وملة، فإن التوحيد هو دين الله، وملة خليله إبراهيم، ودين جميع الأنبياء والمرسلين،وهو: الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ وأجمع عليه علماء الأمة سلفًا وخلفًا، ولا يخالف في هذا إلا من هو مشرك، كما قال تعالى: ﴿ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ﴾ [البينة:٥] وقال تعالى: ﴿ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ﴾ [الزمر:٢، ٣].

فسماه الله تعالى في هاتين الآيتين، وغيرهما، من آي القرآن، دينًا، ولم يسمه مذهبًا.

وأما: ما جرى على ألسن العلماء، من قولهم: مذهب فلان، أو ذهب إليه فلان، فإنما يقع في الأحكام، لاختلافهم بحسب بلوغ الأدلة، وفهمها، وهذا لا يختص بالأئمة الأربعة رحمهم الله، بل مذاهب العلماء قبلهم، وبعدهم في الأحكام كثيرة، فقد جرى الخلاف بين الصحابة رضي الله عنهم، فللصديق رضي الله عنه: مذهب انفرد به، ولابن مسعود كذلك، وكذا ابن عباس، وغيرهم من الصحابة، وكذلك: الفقهاء السبعة من التابعين، وخالف بعضهم بعضاً في مسائل، وغيرهم من التابعين كذلك.

وبعدهم أئمة الأمصار، كالأوزاعي إمام أهل الشام، والليث بن سعد إمام أهل مصر، وسفيان بن عيينة، والثوري إمام أهل العراق، فلكل مذهب معروف، في الكتب المصنفة، في اختلاف العلماء، ومثلهم الأئمة الأربعة، وجاء بعدهم أئمة مجتهدون، وخالفوا الأئمة الأربعة في مسائل معروفة عند العلماء، كأهل الظاهر، ولذلك: تجد من صنف في مسائل الخلاف، إذا عنى الأئمة الأربعة، قال: اتفقوا، وفي مسائل الإجماع، التي أجمع عليها العلماء سلفًا وخلفًا، يقول: أجمعوا.

وذكر المذهب: لا يختص بأهل السنة من الصحابة فمن بعدهم، فإن بعض أهل البدع،

صنفوا لهم مذهبًا في الأحكام، يذكرونه عن أئمتهم، كالزيدية لهم كتب معروفة، يفتي بها بعض أهل اليمن، والإمامية الرافضة، لهم مذهب مدون، خالفوا في كثير منه أهل السنة والجماعة، والمقصود: أن قول هذا الجاهل: مذهب خامس، قول: فاسد، لا معنى له، كحال أمثاله من أهل الجدل، والزيغ، في زماننا»[(١)].

وقد وافقه على ذلك الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله فرد على من ادعى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد جاء بمذهب جديد فقال مخاطبًا مدير المعارف في المملكة في زمنه: «وبعد: فقد اطلعت على ما كدر الخاطر، وهو أن إدارة الامتحانات بمديرية المعارف ذكرت في امتحان شهادة النظم الدراسية الابتدائية لعام ٧١هـ في البند الثاني من المادة الثانية (ب): انتشار مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المملكة العربية السعودية.

وهذا ظاهر في أن المعارف ترى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب مذهب جديد، وهذا هو بعينه ما عليه القبوريون في هذه الأزمان وأعداء التجديد والدعوة التي منَّ الله بها على أهل نجد والحجاز على يد الشيخ رحمه الله تعالى، فلابد من إيضاح هذه المسألة والرجوع عن هذه الكلمة الخاطئة رجوعًا منتشرًا. والسلام»[(٢)].

وقال الإمام محمد أبو زهرة[(٣)]: «ظهرت الوهابية في الصحراء العربية، نتيجة للإفراط في تقديس الأشخاص والتبرك بهم، وطلب القربى من الله بزيارتهم، ونتيجة لكثرة البدع التي

----

(١) الدرر السنية (١/ ٤٣٩).

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، جمع : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (١/ ٧١).

(٣) هو الإمام محمد بن أحمد أبو زهرة: أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره، ولد عام ١٣١٦هـ، وعين أستاذًا ومحاضرًا للدراسات العليا في الجامعة، وعضوًا للمجلس الأعلى للبحوث العلمية، توفي سنة ١٣٩٤هـ. ينظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٥).

ليست من الدين، وقد سادت هذه البدع في المواسم الدينية، والأعمال الدنيوية، فجاءت الوهابية لمقاومة كل هذا، وأحيت مذهب ابن تيمية»[(١)].

وقد شهد علماء مكة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعا إلى دين الإسلام الخالص فقالوا: «نشهد ـ ونحن علماء مكة، الواضعون خطوطنا، وأختامنا في هذا الرقيم ـ أن هذا الدين، الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ ودعا إليه إمام المسلمين: سعود بن عبد العزيز، من توحيد الله، ونفي الشرك، الذي ذكره في هذا الكتاب، أنه هو الحق، الذي لا شك فيه، ولا ريب، وأن: ما وقع في مكة، والمدينة، سابقًا، ومصر والشام وغيرهما، من البلاد إلى الآن، من أنواع الشرك، المذكورة في هذا الكتاب، أنه: الكفر، المبيح للدم، والمال، والموجب للخلود في النار، ومن لم يدخل في هذا الدين، ويعمل به، ويوالي أهله، ويعادي أعداءه، فهو عندنا كافر بالله، واليوم الآخر، وواجب على إمام المسلمين، والمسلمين، جهاده، وقتاله حتى يتوب إلى الله مما هو عليه، ويعمل بهذا الدين»[(٢)].

وأيضًا شهد له بذلك علماء المدينة وجاء في شهادتهم ما ذكر آنفًا في شهادة علماء مكة، وكانت الشهادة الثالثة من الشريف غالب وهي تنص على ما نص عليه علماء مكة والمدينة[(٣)].

إذن فمما سبق تتبين لنا براءة الإمام محمد بن عبد الوهاب من إنشاء فرقة أو مذهب أو دين جديد، وأنه رحمه الله على مذهب أهل السنة والجماعة في الأصول وعلى مذهب الإمام

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد، وتاريخ المذاهب الفقهية، الإمام محمد أبو زهرة (ص١٩٩)، دار الفكر العربي.

(٢) الدرر السنية (١/ ٣١٤).

(٣) ينظر: المرجع نفسه (١/ ٣١٦).

أحمد بن حنبل في الفروع.

من أقول المستشرقين في بيان حقيقة الدعوة:

إن من الأمور المحمودة أن يفهم بعض المستشرقين حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أكثر من فهم بعض المسلمين لهذه الدعوة، ولا غرابة في ذلك فمن ينظر إلى هذه الدعوة نظرة إنصاف فسيصل للحقيقة، أما من ينظر إليها نظرة هوى فإنه لن يصل وإن وصل فإن عداءه وحقده على هذه الدعوة يمنعه من إظهار الحق الواجب إظهاره، وأذكر الآن عددًا من أقوال المستشرقين التي تؤيد أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يدعو الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

فهذا المستشرق الفرنسي «هنري لاوست» قد أنصف الدعوة عندما قال: «إن السلفية لقب على الحركة الوهابية لأنها أرادت إعادة الإسلام إلى صفائه الأول في عهد السلف الصالح، إن هذه الحركة السلفية تتميز عن غيرها بأن نظيراتها أدنى إلى العقل وأنها تفتح باب الاجتهاد وتكافح الخرافات والغلو في الدين وتجتهد في التوفيق بين الدين وبين مطالب العصر»(١).

ويقول المستشرق جولد سيهر : «إذا أردنا البحث في علاقة الإسلام السني بالحركة الوهابية نجد أنه مما يسترعي انتباهنا خاصة من وجهة النظر الخاصة بالتاريخ الديني الحقيقة الآتية: يجب على من ينصب نفسه للحكم على الحوادث الإسلامية أن يعتبر الوهابيين أنصارًا للديانة الإسلامية على الصورة التي وضعها النبي والصحابة، فغاية الوهابية هي

---

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية، للعجلاني (١/ ٣٥١) باختصار.

إعادة الإسلام كما كان»[1].

ويقول المستشرق الأسباني «أرمانو»: «فالوهابيون قوم يريدون الرجوع بالإسلام إلى عصر صحابة محمد ﷺ وإنما ينقصهم للوصول إلى أهدافهم المقدسة رجال متنورون مثقفون، وهم ويا للأسف قلائل في هذه الديار»[2].

أما المستشرق بوركهاردت الذي وصف هذه الدعوة بأنها فرقة في مواضع كثيرة ناقض هذا الوصف عندما بين مبادئ الدعوة والأصول التي تنبني عليها فمما قال: «ومبادئ الوهابيين الأساسية، كما سيتضح فيما بعد، تتفق مع تلك التي تدرس في المناطق الأخرى من الإمبراطورية الإسلامية. فالقرآن والسنة لديهم مصدران أساسيان مشتملان كل الأحكام، وآراء المفسرين الأجلاء للقرآن محترمة بالرغم من أنها ليست متبعة على إطلاقها، وفي محاولة لإيضاح الأعمال الأصيلة والمعتقدات الصافية للمؤسس الأول للإسلام وأتباعه الأوائل، كما هو ثابت في تلك الأحكام، كان لابد لهم من مهاجمة عدد من الآراء الخاطئة والفاسدة التي طرأت على الإسلام كما يدرّس الآن»[3].

إذن فمن كلامه السابق يفهم أن الإمام محمد بن عبد الوهاب لم يأت بفرقة جديدة كما زعم وإنما أتى بالدعوة للإسلام الصحيح الذي من أجله حارب الآراء الخاطئة والفاسدة وقد عزز هذه الحقيقة بقوله: «وقد وصل إلى القاهرة، أيضًا، كتاب يشتمل على رسائل

---

(١) العقيدة والشريعة: تأليف المستشرق جولد سيهر نقلاً من كتاب دعوة الإمام محمد سلفية لا وهابية لأحمد الحصين (ص٤٦٣).

(٢) ينظر: كتاب بين الديانات والحضارات لطه المدوّر (ص ١٤٢)، نقلاً عن إسلامية لا وهابية للعقل (ص ٣٥٤).

(٣) مواد لتاريخ الوهابيين (ص١٨).

مختلفة عن موضوعات دينية كتبها محمد بن عبد الوهاب نفسه وقرأ كثير من العلماء ذلك الكتاب، فأقروا بالإجماع أنه إذا كانت هذه هي عقيدة الوهابيين فإنهم أنفسهم يؤمنون بتلك العقيدة»[١].

ووافقه في هذا الموقف المستشرق إليكسي.

ويقول لويس دوكو رانسي مقررًا حقيقة هذه الدعوة: «فالمصلح (الوهابي) قد أعاد إلى الدين بساطته الأولى بإزالته كافة ما دخل عليه من شوائب ومن استغلال. لذلك ظلت تعاليم النبي محمد التي آمن بها المسلمون متبعة لدى المصلحين، وهذا ما يحفظ لهم تأثيرهم على الشعب العربي والشعب التركي على السواء»[٢].

وقد ورد في الوثائق البريطانية أن هذه الدعوة هي دعوة سنية سلفية[٣].

وقال كوبر: «إن كثيرًا من الرحالة استشهدوا بأقوال العلماء عند اعترافهم بأن الدعوة الوهابية هي نفسها المذهب السني في الإسلام»[٤].

وقد رد المستشرق برائجس على مستشرق آخر فقال: «لقد كتب فرنسي أحمق في سنة ١٨٠٨م بأنه ـ أي الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ أنشأ مذهبًا جديدًا ونسخ الحج، وكل هذا كذب فإن الوهابيين يعتقدون أن السنة أمر أساسي مع القرآن ولكنهم يرون أن الأنبياء بشرًا، وما [أعله][٥] سعود بعد فتح مكة يسلّم الآن بأنه موافق الكتاب والسنة»[١].

---

(١) المرجع نفسه (ص٢٣)، أيضًا ينظر تاريخ العربية السعودية، إليكسي (ص١٠٣).

(٢) الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ، لويس دوكورانسي (ص ١٩٤)، رياض الريس، ط١، ٢٠٠٣م.

(٣) ينظر: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) ترجمة نجده فتحي (٥/ ١٤٧)، دار الساقي، ط١، ٢٠٠١م.

(٤) الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب (ص ٩٧).

(٥) هكذا ورد، ولعل الصواب (أعلنه).

وقال لويس دوكورانسي: «وبصورة عامة فإن مذهب الوهابيين هو الإسلام بعد أن أزيلت عنه جميع الخرافات التي ألصقت به بين المسلمين»(٢).

وقال الرحالة شارل ديدييه: «إن محمد بن عبد الوهاب لم يؤسس ـ مهما قال عنه أعداؤه ـ لا مذهبًا جديدًا، ولا عبادة جديدة، ولكنه دعا إلى أن يقوم ذلك كله على القرآن»(٣).

ونفى «جون.س» أن يكون الإمام محمد بن عبد الوهاب قد أتى بمذهب خامس أو مذهب جديد(٤) وشاركه في هذا النفي المستشرق الفرنسي جان جاك بيربي(٥) وقد مر معنا سابقًا نفي المستشرق كوبر لهذه الدعوى، وأن دعوة الشيخ تدعو للمذهب السني الصحيح.

وأما ما نقله المستشرق إليكسي من قصة الرؤيا فقد علق عليها أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري فقال: «لو كانت الرؤيا (نورًا) لا نارًا لقيل: إنها إن صحت تنطبق على دعوة الشيخ محمد رحمه الله، وإن لم تصح قيل: إنها انتحال لما أُثر من رؤيا قبل مولد الرسول ﷺ، وورد مثل ذلك رواية شفوية متوارثة عن الملك عبد العزيز رحمه الله، وبعد هذا فالرواية هذه لا خطام لها ولا زمام، وغير مشهورة، واختيار النار في هذه الرؤيا المزعومة له دلالته في تشويه إمام إحياء دعوة السلف لمّا فُقِدَتْ على صعيد الحياة العامة»(٦).

---

(١) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم، للندوي (ص ١٦٦)، باختصار.

(٢) الوهابيون، لويس دوكورانسي (ص٦٨).

(٣) رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، شارل ديدييه، ترجمة: د. محمد خير الباقعي (ص٢٣٤)، بتصرف يسير، دار الفيصل الثقافية، ١٤٢٢هـ.

(٤) ينظر: الإخوان السعوديون في عقدين، تأليف جون س. حبيب، ترجمة: د. صبري محمد (ص٣٠٧)، دار المريخ، الرياض.

(٥) ينظر: جزيرة العرب، جان جاك بيربي، ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز، (ص٤٨)، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ.

(٦) التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم، جان ريمون، ترجمة محمد البقاعي (ص٤٥)، دارة الملك عبد

وقالت الباحثة الأمريكية (نت) في رسالتها العلمية لنيل درجة الدكتوراه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «أنه من أبرز قادة الفكر الإسلامي في القرن الثامن عشر، وتعد الكثير من الأصول البارزة في كتاباته كتركيزه على العودة إلى القرآن والسنة، والقضاء على الممارسات الدينية الشائعة كتقديس القبور والأولياء»(١).

ويقول بوركهاردت موضحًا مبادئ الدعوة وأنها لم تكن دينًا جديدًا: «لم تكن مبادئ محمد بن عبد الوهاب مبادئ ديانة جديدة، بل كانت جهوده موجهة فقط لإصلاح المفاسد التي تفشت بين المسلمين ونشر العقيدة الصافية بين البدو الذين كانوا مسلمين اسميًا، لكنهم جهلاء بالدين وغير مبالين بكل فروضه التي أوجبها»(٢).

ويقول و.ب. ويندر مؤكدًا أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تدعو للدين الصحيح وليس إلى دين جديد: «ونحن لا نعرف إن كانت الوهابية تستطيع مواجهة عصر الذرة والفضاء، ولكن أحدًا لا ينكر قيمتها وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث، وأنها استطاعت الانتقال من (الواقعية) إلى (المثالية)، ومما كان عليه الإسلام إلى ما يجب أن يكون عليه، وبقيت محتفظة (بحيوتها) وفكرتها التحريرية»(٣).

وقال الكاتب الأمريكي لوثروب ستوادارد في كتابه (حاضر العالم الإسلامي): «فالدعوة الوهابية إنما هي دعوة إصلاحية خالصة بحتة غرضها إصلاح الخرق، ونسخ الشبهات، وإبطال الأوهام، ونقض التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضعها

العزيز، ١٤٢٤هـ.

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٨٩٩، بتاريخ ٣/ ٥/ ١٤٢٤هـ، (ص ٣٠).

(٢) مواد لتاريخ الوهابيين (ص ١٣).

(٣) إسلامية لا وهابية، د. ناصر بن عبد الكريم العقل (ص٣٥١).

أربابها في عصور الإسلام الوسطى ودحض البدع وعبادة الأولياء وعلى الجملة هي الرجوع إلى الإسلام والأخذ به على أوله وأصله ولبابه وجوهره، أي إنها الاستمساك بالوحدانية التي أوحى الله بها إلى صاحب الرسالة، صافية والاهتداء والائتمام بالقرآن المنزل مجردًا وأما ما سوى ذلك فباطل وليس في شيء من الإسلام، ويقتضي ذلك الاعتصام كل الاعتصام بأركان الدين وفروضه وقواعد الآداب، كالصلاة والصوم وغير ذلك»(١).

وقال المستشرق الهولندي كرستيان سنوك هود خرونيه: «لقد ظهر على أرض شرق الجزيرة العربية مصلح للإسلام كسب إلى جانبه أمراء الدرعية، الذين ساندوه في دعوته ثم تدريجيًا منت بدعوته كل مراكز الجزيرة العربية، لقد كان هذا المصلح ينوي أن يعيد الحياة للإسلام بكل ما لديه من قوة، ليس في الجزيرة وحدها، بل في كل مكان يستطيع الوصول إليه»(٢).

وقال أيضًا: «لقد [كان](٣) السمة التي تميز بها محمد بن عبد الوهاب كونه عالمًا تثقف بالعلوم الإسلامية، وفهم مقاصدها وأسرارها، واستطاع بجدارة تامة أن يبرز الإسلام بالصورة الحالية النقية، كما جاء به الرسول ﷺ» وقال أيضًا: «لقد أدرك محمد بن عبد الوهاب الاختلاف بين الإسلام كما جاء به الرسول ﷺ، والإسلام الذي يمارسه الناس في عصره»(٤).

---

(١) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودارد، تعليق: شكيب أرسلان، (١/ ٢٥٩)، دار الفكر، بيروت، ط٤، ١٣٩٤هـ.

(٢) صفحات من تاريخ مكة (ص ٢٥٣)، نقلاً عن إسلامية لا وهابية (ص ٣٥٣).

(٣) هكذا ورد في الأصل، ولعل الصواب (كانت).

(٤) المرجع السابق والصفحة نفسها.

وقال المستشرق ويلفرد في كتاب الإسلام في نظر الغرب ألفه جماعة من المستشرقين: «كان محمد بن عبد الوهاب يقول قبل كل شيء يجب أن تعيشوا حسب الشرع الإسلامي وهذا هو معنى أن تكونوا مسلمين، لا ذاك الرغاء العاطفي، والحرارة التي يقدمها لكم الصوفيون فأساس الإسلام هو الشرع، وإذا كنتم تريدون أن تكونوا مسلمين فيجب أن تعيشوا حسب أوامر الشرع»(١).

وقال الدكتور داكبرت المؤرخ الألماني: «وكانت تملأ قلب محمد بن عبد الوهاب فكرة جديدة للقوى العربية على أساس ديني ناسبًا إلى ابتعادهم عن سيرة السلف الصالح وانقسامهم إلى شيع، وإلى ابتعادهم عن خلقهم العربي الأصيل سبب تلاشيهم الذي جعلهم في متناول النفوذ الأجنبي إلى أن قال: ورأى الشيخ أن سبب الإنقاذ هو الرجوع إلى تعاليم الدين المشروعة، وإلى تعاليم الرسول الصحيحة فراح يبشر بوحي من ضميره وعقيدته بمحاربة البدع التي أدخلت على الإسلام عبر العصور الغابرة، والضلال المضل من تقارير علماء الدين غير مقيم وزنًا إلا لما نص عليه القرآن صراحة، أو لما يمكن نسبته بصورة قاطعة للنبي محمد ﷺ»(٢).

وكتب المستشرق إليكسي فاسيلييف تحت عنوان «التوحيد وشجب عبادة الأولياء هما أساس مذهب الوهابية» في كتابه «تاريخ العربية السعودية» مبينًا الأساس الذي تدعو إليه دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب فقال: «إن الطريق الذي قطعه محمد بن عبد الوهاب في

---

(١) الإسلام في نظر الغرب، ألفه جماعة من المستشرقين، نقلاً عن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب دعوته الإصلاحية وعقيدته السلفية وثناء العلماء عليه، للعلامة أحمد بن حجر آل أبو طامي (ص ٩٠)، دار الشريعة، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.

(٢) عبد العزيز، للمؤلف داكبرت، ترجمة: أمين رويحة، نقلاً عن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، لأحمد آل أبو طامي (ص ٩١).

تكوين مذهبه يتلخص على ما نعتقد، في الدارسة والمثابرة منذ الطفولة للفقه الإسلامي والطموح إلى معالجة الدين وتغيير الحياة الاجتماعية طبقًا للمثل العليا للإسلام بعد تفسيرها وفهمها بشكل متميز، ويمكن أن نتصور كيف أوضح ابن عبد الوهاب بنفسه الخلل والاضطراب والتشويش في العالم المحيط به: فقد نسي الناس الإسلام الحقيقي وذلك هو سبب الانحطاط الخلقي العام الذي تنجم عنه المشاكل السياسية والفوضى الاقتصادية والركود والخراب وبغية إنقاذ العالم الغارق في الآثام لابد من تنقية الدين واستعادة الشكل الذي كان عليه في القرون الثلاثة الأولى من نشوئه.

إن أهم فكرة كانت تدور في بال ابن عبد الوهاب في أثناء رحلاته ودراسته للفقه هي التوحيد الذي هو المحور الرئيسي للإسلام... إلا أن العالم الإسلامي في رأي الوهابيين ابتعد عن مبادئ التوحيد، فالناس ينساقون وراء البدع التي هي أم الكبائر... ويقول الوهابيون: لا يجوز تقديم القرابين إلا لوجه الله. ولا يجوز طلب المعونة إلا من عند الله، ولا يجوز الاستجارة إلا بالله. فالملائكة والرسل والأولياء والصالحون لا يمكن أن يشفعوا للمسلمين أمام الله على آثامهم[1]. ولا يجوز تقديم النذور إلا لوجه الله ولا يجوز الإفراط في تبجيل الصالحين وأنصار الرسول والأولياء. ولا يجوز بناء الحضرات حول قبورهم، ولا يجوز الإفراط في العناية بقبورهم وتحويل أضرحتها إلى أصنام. يجب احترام الأولياء

----

(١) الصواب أن الشفاعة على نوعين، منفية، وهي الشافعة للكافر والمشرك، ومثبتة وهي خالصة لأهل الإخلاص، وهي على قسمين: شفاعة خاصة بالرسول ﷺ وشفاعة عامة له ولجميع المؤمنين، بشرط الرضا والإذن من الله تعالى. ينظر: قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، حاشية الشيخ عبد الرحمن بن حسن على كتاب التوحيد، دار الكتب العلمية، (ص ٨٠)، وينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد العثيمين (١/ ٤٢٥)، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٨هـ.

وتقديرهم ولكن لا تجوز عبادتهم»[١].

وقال إليكسي: «ويعتقد ل.كورانسيز أن الوهابية هي الإسلام في نقاوته الأولى»[٢].

وقال جورج رينتز في رسالة له بعنوان «محمد بن عبد الوهاب وبداية إمبراطورية الموحدين في شبه الجزيرة العربية»: «فقد كان الإسلام الذي دعا إليه الشيخ أساسًا هو الإسلام الذي دعا إليه النبي..»، ثم قال: «فكان التوحيد إذن وما يزال ـ كما ورد على لسان الشيخ وأتباعه ـ هو الشكل الرسمي للإسلام بالمملكة العربية السعودية اليوم، والحفاظ على ذلك التوحيد في شبه الجزيرة العربية له تأثير قوي على مكانة الإسلام ومقدراته في الحاضر والمستقبل واقتدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالنبي من قبله...»[٣].

وقال لويس دوكورانسي «إن مذهب الوهابين هو الإسلام وليس دينًا جديدًا بل دين محمد نفسه في بساطته الأولى»[٤].

وقال الرحالة شارل ديدييه: «يرجع ظهور الوهابية إلى منتصف القرن الثامن عشر، ومؤسسها هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقرر أن يقوم بإصلاح ديني عرض مسوغاته في عدد من كتبه، لقد اتخذ من القرآن الكريم وحده أساسًا لإصلاحاته بغض النظر عن كل الشروح[٥]، وكل البدع التي تشوه في نظره صفاء الفطرة الأولى، ثم بدأ يدعو إلى العودة

---

(١) تاريخ العربية السعودية (ص١٠٠)، بتصرف.

(٢) المرجع نفسه (ص١٠٣).

(٣) الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب بقلم لي ديفيد كوبر، جورج رينتز، ترجمة: د. عبد الله ناصر الوليعي (ص١٣٧).

(٤) الوهابيون، لويس (ص٦٨).

(٥) بل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ كان يرجع إلى كتب التفاسير المعتمدة عند السلف، ولم يقتصر على فهم القرآن برأيه.

بالإسلام إلى مبادئه الأصلية وإلى الإيمان بالوحدة المطلقة لله عز وجل»[١].

وقال أيضًا: «لقد كان الوهابيون يأملون وهم يدعون إلى العودة إلى المفهوم الأصلي للإسلام، وإلى جوهر الشريعة الإسلامية، كانوا يأملون بأن يقيموا في الجزيرة العربية دولة تحت سلطة عليا لشريعة مشتركة مصدرها القرآن...» [٢].

وقال جون س: «وفي أيام السلطان مصطفى الثالث، بدأ الناس يتحدثون بنبأ فقيه مسلم حنبلي، من أهل العيينة بنجد، اسمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كان أبوه قاضيًا ونشأ هو نشأة علمية صالحة، وساءه أن يرى في قلب الجزيرة أباطيل وأضاليل ألصقها بالإسلام جهال لاحظَّ لهم منه، غير التسمي به والانتساب إليه، فقام يدعو إلى التوحيد الخالص وتطهير الدين مما علق به من أدران الجاهلية الأولى وبدع الجاهلية الثانية.. إلى أن قال: فليقولوا إن عبد الوهاب مبتدع ليحاربوه بسلاحه. ويسموا أتباعه بالوهابية.. ثم قال: انبثَّ الوعاظ والدجاجلة، بشتى الطرق والأساليب، وانخدعت العامة، وأطرقت الخاصة، واستفحلت الدعاية أمام الدعوة، وصدرت المراسيم (الشاهانية) بالزحف لحرب (الوهابية) ووصمها بالخروج عن الإسلام، وما هناك إلا (الحنبلية) السنية والعقيدة السلفية»[٣].

وأكد أيضًا هذه الحقيقة المستشرق الفرنسي جان جاك فقال عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وأخذ يبث دعوته الحماسية من أجل العودة إلى الإسلام الحقيقي الحنيف النظيف

(١) رحلة إلى الحجاز، شارل ديدييه (ص٢٣٤).

(٢) المرجع نفسه (ص٢٣٨)، بتصرف يسير.

(٣) الإخوان السعوديون في عقدين ١٣٢٨هـ - ١٣٤٩هـ، تأليف جون س. حبيب، ترجمة: د. صبري محمد حسن (ص٣٠٧).

الطاهر، كما أراد الرسول»[١].

وقال وليمز وارمسترونج: «... لما شاع الفساد في بلاد المسلمين قام في جزيرة العرب محمد بن عبد الوهاب يحارب البدع، ويدعو إلى جمع الصفوف لإعادة مجد الإسلام، وعبادة الله بقلب سليم، ولكنه كغيره من المصلحين اضطهد واتُّهم بالإلحاد والزندقة»[٢].

وقال المستشرق «أوليفيه كورانسيز»: «وأما الوهابيون فقد نقوا الإسلام مما أدخل عليه من تشويه وأعادوه إلى بساطته الأولى وصفائه»[٣].

وقال أيضًا موضحًا حال الناس قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «كان المسلمون يومئذ يمارسون أشكالاً غريبة من العبادات، بحيث لو عاد «محمد»[٤] إلى الدنيا، لظن أن الإسلام زال منها، ولرأى شيئًا عجيبًا، ولقد أعاد محمد بن عبد الوهاب الإسلام إلى حالة يعرفها النبي ولا ينكرها»[٥].

وقال المستشرق مانجان: «وكل شيء دعا إليه الشيخ، هو من الدين، أي مما أمر به الله ورسوله، ولكن المسلمين نسوه أو تناسوه وأهملوه، فقام الشيخ بدعوتهم إليه وحملهم عليه أعظم قيام»[٦]. وقد ذكر جملة من المبادئ التي تدعو إليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٧].

---

(١) جزيرة العرب، جان جاك (ص٤٨).

(٢) صحائف مطوية، عبد الله خياط إمام وخطيب المسجد الحرام (ص٣٤)، نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية العدد ٦١، (ص٣٧٣).

(٣) تاريخ الوهابيين: أوليفيه كورانسيز، نقلاً عن تاريخ البلاد العربية السعودية، للعجلاني (١/ ٣٠٥).

(٤) يقصد نبينا محمد ﷺ.

(٥) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) المرجع السابق (ص٣١١).

(٧) ينظر: المرجع نفسه (ص٣١١).

وقد بين السير هارفرد جونز أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومبادأها تنسجم تمامًا مع القرآن الكريم وتفاسيره ومع أقوال النبي وأفعاله ومع ما كان قد مارسه الخلفاء الأوائل(١).

وبعد هذا العرض لأقوال المستشرقين نؤكد القول بأن الإمام محمد بن عبد الوهاب ما جاء إلا بالدين الصحيح وهو دين الإسلام الذي كان عليه النبي ﷺ وخلفاؤه والصحابة من بعده وأتباعهم إلى يوم الدين.

المبحث الثاني

(١) ينظر: موجز لتاريخ الوهابي، السير هارفرد جونز، ترجمة: د. عويضة الجهيني (ص٧٢، ٧٣)، دارة الملك عبد العزيز، ط١، ١٤٢٥هـ.

الطعن في موقف الدعوة من السنة والنبوة

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دعوى ادعاء النبوة.

المطلب الثاني: دعوى التنقص من قدر النبي ﷺ.

المطلب الثالث: دعوى إنكار السنة.

المطلب الأول

دعوى ادعاء النبوة

إن الله عز وجل أرسل الرسل للناس لبيان حقيقة التوحيد وبيان الشرائع التي نزلت بها الكتب السماوية، ولقد اصطفى الله عز وجل الأنبياء والرسل ليكونوا مبشرين ومنذرين، وآخرهم نبينا محمد ﷺ كما أخبر الله بذلك فقال سبحانه: ﴿ ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وكما أخبر ﷺ عن نفسه فقال: «**وأنا خاتم النبيين**»(١).

وعقيدة أهل السنة والجماعة على هذا، ولا يمنع ذلك من ظهور بعض الدجالين والذين يدّعون النبوة كما بين ذلك ﷺ وأنه من علامات الساعة؛ حيث قال ﷺ: «**ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله**»(٢).

فكل من يدعي النبوة فهو دجال ومن هنا كان هذا مدخلاً لبعض أعداء الدعوة وخصومها من المستشرقين وغيرهم أن يفتروا على الشيخ محمد بن عبد الوهاب بهذه الفرية ونذكر الآن بعضًا من أقوالهم.

من أقوال المستشرقين:

ادعى المستشرق جيبون بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد ادعى النبوة فقال عن الشيخ في كتابه «الهبوط والسقوط»: «إنها رؤى نبي جديد وأسلحته، نبي يدعو إلى مبادئ

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، برقم (٣٥٣٥).

(٢) أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٦٠٩).

غير واضحة المعالم»(١).

وكذلك ادعى المستشرق الدانماركي «نيبهر» بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان نبيًا(٢).

وكذلك ممن اتهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب بادعاء النبوة المستشرق «ميشو»(٣).

موقف الإمام محمد بن عبد الوهاب من هذه الدعوى:

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام: «الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر. الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر. السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثواب الله أو عقابه»(٤).

فإذا كان الشيخ - رحمه الله - يرى أن من يستهزئ بالسنة أو يبغضها أو أن غير هدي النبي أكمل من هديه فقد كفر فكيف يكون الحال في حق من يدعي النبوة، أو أن يأتي بدين جديد؟!! فلا شك أن الشيخ بعيد كل البعد عن هذا الادعاء وهذه الفرية.

وقال رحمه الله: «وأومن بأن نبينا محمدًا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته»(٥).

إذن فمن هذا المنطلق ندرك أن الإمام محمد بن عبد الوهاب لم يدعِ النبوة.

---

(١) الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب (ص١٣٨).

(٢) ينظر: جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة (ص٣٠٨).

(٣) ينظر: التراجم الكونية: ميشو، نقلاً عن تاريخ البلاد العربية السعودية، للعجلاني (١/ ٣١٠).

(٤) مؤلفات الشيخ محمد (١/ ٣٨٦).

(٥) مؤلفات الشيخ محمد (الرسائل) (٦/ ١٠).

من أقوال العلماء في رد هذه الدعوى:

إن المتأمل في أقوال أهل العلم السابقة في الرد على أنها فرقة أو مذهب أو دين جديد سيدرك حقيقة هذه الدعوة المباركة، وأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بريء من هذه الفرية، وأضيف كلامًا للشيخ صلاح الدين آل الشيخ حيث قال مدافعًا: «وهذه الدعوى أن الشيخ ادعى النبوة أو أضمرها، والتي قالها بعض مخالفيه كذب محض، وجرأة على الكذب، واستخفاف بعقول الناس وهي تنبئ وتدل على خفة دين وعقل صاحبها، فكل ذلك بهتان على الشيخ عظيم، فهو الذي بذل نفسه وحياته كلها محبة لرسول الله ﷺ، وما جاء به من الحق، وكان لرسوله متبعًا ومعظمًا وموقرًا ومعزرًا، وكتبه شاهدة لذلك، وليس لخصومه إلا الدعاوى والظنون المجردة من الدليل»(١).

ويقول حافظ وهبة سفير المملكة العربية السعودية بلندن: «لم يكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نبيًا كما ادعى نيبهر الدانمركي ولكنه مصلح مجدد داع إلى الرجوع إلى الدين الحق»(٢).

من أقوال المستشرقين في رد هذه الدعوى:

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب متبعًا لشريعة الرسول ﷺ وليس مبتدعًا أو مدعيًا للنبوة وهذا ما أكده المستشرق سيديو في سيرة الشيخ محمد عبد الوهاب فقال: «فرأى الشيخ أنه إذا ما حمل المسلمين على مراعاة أحكام القرآن بإحكام رجعت إليهم تلك الحماسة التي تعود بها عظمة الماضي، ولم يكن للشيخ هدف من الإصلاح الذي بدأه سوى

----

(١) كشف الأكاذيب والشبهات عن دعوة المصلح الإمام محمد بن عبد الوهاب: صلاح الدين بن محمد آل الشيخ، (ص ٩١) باختصار، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

(٢) جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة (ص٣٠٨).

إعادة شريعة الرسول الخاصة إلى سابق عهدها»[1].

وبالجملة فإن ما ورد من كلام للمستشرقين في بيان حقيقة الدعوة والرد على أن الإمام محمد بن عبد الوهاب لم يأتِ بدين جديد أو فرقة أو مذهب يستشهد به هنا في رد هذه الدعوى.

ويبدو أن الذي حمل المستشرقين على القول بهذا الادعاء هو ما ردده بعض أعداء الدعوة، حيث إنهم لم يجدوا مجالاً للطعن في الشيخ إلاَّ بهذه التهمة، ومما يؤكد كذبهم أنهم لم يصرحوا بها، فهذا أحدهم يقول عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «لقد كان الرجل في الحقيقة يريد أن يدعي النبوة إلاَّ أنه تستر»[2]، وقال دحلان: «والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدعي النبوة إلا أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك»[3] إلا إذا كان هؤلاء يدّعون علم الغيب فهذا أمر آخر، مع العلم أن مصطلح (النبي) عند النصارى ليس كاصطلاحه عند المسلمين، ويمكن أن يطلق عندهم على المصلحين والحواريين ونحوهم[4].

***

---

(١) دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية، أحمد بن عبد العزيز الحصين (ص٤٦٣).

(٢) مصباح الأنام (مخطوط) الورقة ٥، ٦، نقلاً عن محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم، للندوي (ص ١٥٣).

(٣) الدرر السنية في الرد على الوهابية (ص ٤٦)، نقلاً عن محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم، للندوي (ص ١٥٣).

(٤) ينظر: مواقف المستشرقين، د. عبد الله الدميجي (ص٥٨).

المطلب الثاني
دعوى التنقص من قدر النبي ﷺ

النبي ﷺ رفع الله قدره وأعلى شأنه وامتدحه بأجمل الصفات وطهر قلبه وزكاه، وفي أعلى مقام وصفه بالعبودية فقال سبحانه: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ﴾ [الإسراء:١].

فالنبي ﷺ وسائر الأنبياء والصالحين كلهم عبيد لله عز وجل، بشر مخلوقون لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فضلاً عن أن ينفعوا غيرهم بغير ما مكنهم الله منه وجعل لهم فيه سبيلاً.

ومن المعروف أن أكثر الدراسات الاستشراقية قائمة على الطعن في نبوة النبي ﷺ ورسالته الخالدة، وقلّ أن يوجد كتاب من كتبهم يسلم من هذا الطعن الظاهر أو الخفي، ولكن الغريب في الأمر أنهم هنا يتهمون دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالطعن في نبوة النبي ﷺ أو التنقيص من قدره ﷺ وعدم احترامه ﷺ.

من أقوال المستشرقين:

يقول المستشرق إليكسي: «وقد اتهم فقهاء كثيرون الوهابيين بعدم احترام الرسول»[1].

وقال أيضًا: «وينكر المؤلفون الوهابيون المحدثون جميعًا هذا الاتهام بغضب شديد، ولعل الرغبة في التقليل من مكانة النبي محمد بوصفه (خليل الله) قد أدت عمليًا إلى التقليل من دوره في الإسلام وتجلت في عدم الاحترام المذكور»[2].

---

(١) تاريخ العربية السعودية، إليكسي، (ص٨٧).

(٢) المرجع نفسه (ص١٠٧).

وقال نيبور: «إن محمد بن عبد الوهاب كان يعظم الرسول إلا أنه ما كان يؤمن بالوحي أو الإلهام بواسطة الملائكة»[(١)] ووافقه في هذا «رافنشا»[(٢)].

أما لويس دوكورانسي فقد قال عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وأراد أن ينظر إلى النبي كرجل حكيم وعادل فقط»[(٣)].

وقال أيضًا: «وإن كان الوهابيون يعتقدون بالرسالة فإن الرسالة بنظرهم لم تكن إلا لنشر هذه العقيدة ففي اعتمادهم شهادة المسلمين أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، حذفوا منها الشطر الأخير واكتفوا بالقول أن لا إله إلا الله، لذلك اعتبروا موحدين خالصين[(٤)]. ثم يواصل الافتراء ويقول: «والاختلاف الرئيسي بين سائر المسلمين والوهابيين يتعلق برأيهم في طبيعة محمد، فالمسلمون من غير الوهابيين يعتبرونه نبيًا، أما الآخرون فيعتبرونه حكيمًا»[(٥)].

أما المستشرق (كورانسيز) فقال: «إن الوهابيين حذفوا الشطر الثاني من الشهادة وهو «محمد رسول الله» واكتفوا بالشطر الأول: «لا إله إلا الله» وإن المسلمين عامة ينظرون إلى محمد كرسول ونبي، وإن الوهابيين ينظرون إليه كرجل حكيم ليس أكثر»[(٦)].

وهو بهذا يكون قد وافق «لويس» في هذا الادعاء، وأيضًا وافقهما المستشرق ميشو في

---

(١) رحلة نيبور (٢/ ١٣٤)، نقلاً عن محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم، للندوي (ص ١٥٣).

(٢) ينظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم، للندوي (ص١٥٣).

(٣) الوهابيون، لويس (ص١٧).

(٤) وكأنه يعتقد أن التوحيد الخالص هو العمل بالقرآن فقط وهذا يطابق ما عليه القرآنيون الذين أخذوا بالقرآن وتركوا السنة، وغاب عن أذهانهم أن العمل بالقرآن يتضمن العمل بالسنة.

(٥) المرجع نفسه (ص٦٦).

(٦) تاريخ الوهابيين: كورانسيز، نقلاً عن تاريخ البلاد العربية السعودية للعجلاني (١/ ٣٠٦).

قضية حذف الشطر الثاني من الشهادتين، وأضاف أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ينظر إلى المسيح ومحمد والأنبياء كحكماء[1].

وممن قال بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ينظر إلى النبي كرجل حكيم وعادل المستشرق جان ريمون[2] ولعل هذا الاتفاق سببه الأخذ عن خصوم الدعوة.

موقف الإمام محمد بن عبد الوهاب من هذه الدعوى:

قال ـ رحمه الله ـ في بيان موقفه من الرسول ﷺ وزيارته: «والذي نعتقده أن رتبة نبينا محمد ﷺ أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حي في قبره، حياة برزخية، أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل، إذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام المسلِّم عليه، وتسن زيارته، إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة[3] فلا بأس، ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الواردة عنه، فقد فاز بسعادة الدارين»[4].

ثم قال: «ونثبت الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة، حسب ما ورد ، وكذلك نثبتها لسائر الأنبياء، والملائكة، والأولياء، والأطفال حسب ما ورد أيضًا، ونسألها من المالك لها، والإذن فيها لمن يشاء من الموحدين، الذين هم أسعد الناس بها، كما ورد، بأن يقول أحدنا ـ متضرعًا إلى الله ـ اللهم شفع نبينا محمدًا ﷺ فينا يوم القيامة، أو: اللهم شفع فينا عبادك الصالحين، أو ملائكتك، أو نحو ذلك، مما يطلب من الله، لا منهم، فلا يقال: يا رسول الله،

---

(١) المرجع نفسه (١/ ٣١٠).

(٢) التذكرة في أصل الوهابيين (ص٤٧).

(٣) أي قصد زيارة قبر النبي ﷺ للسلام عليه وعلى صاحبيه.

(٤) الدرر السنية (١/ ٢٣٠).

أو يا ولي الله، أسألك الشفاعة، أو غيرها، أو انصرني على عدوي، ونحو ذلك، مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فإذا طلب ذلك مما ذكر في أيام البرزخ، كان من أقسام الشرك، إذ لم يرد بذلك نص من كتاب أو سنة، ولا أثر من السلف الصالح في ذلك، بل ورد الكتاب والسنة، وإجماع السلف: أن ذلك شرك أكبر، قاتل عليه رسول الله ﷺ»(١).

وقال أيضًا رحمه الله: «وما ذكره المشركون على أني أنهى عن الصلاة على النبي ﷺ، أو أني أقول لو أن لي أمرًا هدمت قبة النبي ﷺ ... فكل هذا كذب وبهتان، افتراه عليَّ الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل...»(٢).

ويقول أيضًا في رسالة بعثها إلى عبد الرحمن السويدي أحد علماء العراق: «وكذلك قولهم أنه يقول لو أقدر أهدم قبة النبي ﷺ لهدمتها - أي من البهتان -، وأما دلائل الخيرات فله سبب وذلك أني أشرت إلى من قبل نصيحتي من إخواني أن لا يصير في قلبه أجل من كتاب الله، ويظن أن القراءة فيه أجل من قراءة القرآن، وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان فهذا من البهتان»(٣).

ومما قال في الرد على المفترين: «وأما ما يكذب علينا سترًا للحق، وتلبيسًا على الخلق، بأنا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا النبي رمة في قبره، وعصا أحدنا أنفع له منه، وليس له شفاعة، وأن زيارته غير مندوبة، وأنه كان لا يعرف معنى لا إله إلا الله حتى أنزل عليه ﴿□ □ □ □ □ □ □﴾ [محمد:١٩] مع كون الآية مدنية.. وأننا ننهى عن الصلاة على النبي ﷺ.. فلا وجه لذلك فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢٣١).

(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ (٦/ ٥٢).

(٣) المرجع نفسه (٦/ ٣٧).

من ذكر أولاً كان جوابنًا في كل مسالة من ذلك سبحانك هذا بهتان عظيم، فمن روى عنا شيئًا من ذلك أو نسبه إلينا فقد كذب علينا وافترى.

ومن شاهد حالنا وحضر مجالسنا وتحقق معنا علم قطعًا أن جميع ذلك وضعه وافتراه علينا أعداء الدين وإخوان الشياطين، تنفيرًا للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة، وترك أنواع الشرك»[1]. وله رحمه الله كلام آخر فليرجع إليه في مظانه[2].

من أقوال العلماء في رد هذه الدعوى:

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن عن جده الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في هذه المسألة: «وقد قرر رحمه الله على شهادة أن محمدًا رسول الله من بيان ما تستلزمه هذه الشهادة وتستدعيه وتقتضيه من تجريد المتابعة، والقيام بالحقوق النبوية من الحب والتوقير والنصر والمتابعة والطاعة وتقديم سنته ﷺ على كل سنة وقول، والوقوف معها حيث ما وقفت، والانتهاء حيث انتهت في أصول الدين وفروعه، باطنه وظاهره، كليه وجزئيه، ما ظهر به وتأكد علمه ونبله»[3].

من أقوال المستشرقين في رد هذه الدعوى:

جاء في الأقوال السابقة للمستشرقين المنصفين ما يبين حقيقة الدعوة وأنها تدعو إلى الدين الصحيح الذي جاء به الرسول الأمين ﷺ، وهذا في حد ذاته كافٍ لبيان مكانة النبي ﷺ ومنزلته، وأستشهد الآن ببعض أقوال المستشرقين التي تؤكد هذه الحقيقة.

---

(١) الدرر السنية (١/ ٢٢٩).

(٢) لمزيد بيان، ينظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٢٨)، مؤلفات الشيخ (١/ ١٩٠)، (٥/ ١١٣).

(٣) الدرر السنية (١/ ٥٢٨).

فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية أن: «الحركة الوهابية اسم لحركة التطهير في الإسلام، والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده، ويهملون كل ما سواها، وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح»[1].

وقد أجرى المستشرق بوركهاردت مقارنة يسيرة بين دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين ما كان عليه الأتراك فقال: «يلوم الوهابيون الأتراك بأنهم يطرون النبي ﷺ بطريقة تقرب من التقديس. وكذلك يفعلون لكثير من الأولياء وفي هذا لا يبدو أن الوهابيين مخطئون كثيرًا، فالأتراك، الذين يعترفون بأن القرآن كتابهم المنزَّل يجب أن يعتقدوا اعتقادًا كاملاً بالآيات الكثيرة التي أوضحت بجلاء أن محمدًا ﷺ بشر مثلهم لكن حبهم الشديد لنبيّهم لم يكن ليحدّ بذلك التوضيح البسيط. فقد برهن علماؤهم بمهارة متكلفة أن النبي ﷺ مع أنه ميت ومدفون لم يكن مثل بقية الشهداء، بل لا يزال حيًا، وأن اتصاله بالله وحب الله العزيز له، قد جعلا من السهل عليه أن يحمي أي مؤمن من أتباعه أو يتوسط له. ومع أن الأتراك لا يدعون أبدًا نبيَّهم دعاءً خاصًا إلا أنهم يذكرون اسمه كما لو كانوا يدعونه بنفس الطريقة التي تقول بها: (يارب) وهذا كاف ليلحق بهم لوم الوهابيين الشديد، وبالإضافة إلى ذلك فإن الأتراك يزورون قبر النبي ﷺ بنفس التقديس الذي يظهرونه للكعبة. وحينما يقف العامة يرفعون دعواتهم المنكرة[2]، كما يسميها الوهابيون، لدرجة أنهم يستحقون التسمية المشينة للكفار الذين يشركون مع الله إلهًا آخر»[3].

---

(١) دعوة الإمام محمد سلفية لا وهابية (ص٤٦٤)، وينظر كتاب إمام التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أحمد القطان ومحمد طاهر الزين (ص٩٥).

(٢) هذه العبارة تحتمل معنيين الأول: منكرة أي على ما تشمله من الشرك والإطراء، والثاني: أي ما يصاحب الدعاء من صياح وبكاء ورفع للأصوات وكلاهما منهي عنه.

(٣) مواد لتاريخ الوهابيين (ص١٩).

ثم عرّج بوركهاردت على قضية تقديس الأولياء والمشائخ وتعلق الناس بهم وقال: «وقد ظن مواطنوهم أن الواجب عليهم أن يقدسوا ذكراهم بإقامة بنايات صغيرة على شكل قباب أو سقوف ذات أقواس فوق قبورهم، وفي هذه الأمكنة يصلون لله معتقدين أن الولي سيكون أكثر استجابة للشفاعة لهم عند الله، والواقع أن الأولياء المسلمين يعاملون كما يعامل القديسون في الكنيسة الكاثوليكية[١]، ويقال: إن لهم معجزات كما لهؤلاء، والناس في الشرق يتعلّقون كثيرًا بمشائخهم. وفي كل مدينة وقرية يقام احتفال سنوي في يوم معين لتكريم سيدها الخاص.

أما الوهابيون فيقولون إن كل الناس سواء عند الله، بل إن أعظم الأتقياء لا يشفع لأحد عنده[٢] وبالتالي فإن من المعصية دعاء الأولياء الأموات أو تكريم رفاتهم أكثر من الناس الآخرين.. ولا يوجد في النظام الوهابي أي مبدأ أخلاقي جديد، فقد اتخذ محمد بن عبد الوهاب القرآن والسنة دليله الوحيد. والخلاف بين فرقته وبين الأتراك السنة، مهما قيل عنه، هو أن الوهابيين يتبعون بدقة نفس الأحكام التي أهملها الآخرون أو توقفوا عن مزاولتها كلية، ولهذا فإن وصف الديانة الوهابية ما هو إلا تلخيص للعقيدة الإسلامية»[٣].

ويقول بروكلمان عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «اكتسبت تعاليمه أنصارًا ومريدين، ولقد شجب تقديس الرسول والأولياء على اختلاف صوره وكان ذاك قد شاع بين

---

(١) الكاثوليك: أكبر الكنائس النصرانية في العالم، وتدعى أم الكنائس ومعلمتهن، يزعم أن مؤسسها بطرس وتتمثل في عدة كنائس تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة بابا روما عليها وسميت بالكنيسة الغربية أو اللاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة. ينظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٦١٠).

(٢) لا ينكر الشيخ محمد وأتباعه الشفاعة، بل يثبتونها بشروطها.

(٣) مواد لتاريخ الوهابيين (ص١٩-٢٣)، باختصار.

المسلمين منذ قرون تقليدًا للنصرانية»[١].

ويقول نيبوهر: «إن عبد الوهاب علم الناس عقيدة السنيين الصافية، فأكبر فقهاء السنة كانوا ينكرون التوسل بمحمد أو بأي واحد من الأولياء، لأنه لا يجوز في اعتقادهم أن يدعى غير الله»[٢].

وقال المستشرق الألماني داكبرت عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وراح يحارب بكل قواه المستمدة من عقيدته الصلبة تقديس الأولياء، وإزالة معالمها واقتداء بالنبي الكريم، الذي حارب بدعة تقديس الهياكل وعبادة الأصنام الموروثة من الجاهلية»[٣].

وقال المستشرق إليكسي: «وكان للوهابيين موقف خاص من النبي محمد ﷺ فقد كانوا يعتبرونه إنسانًا من البشر اختاره الله لأداء رسالة النبوة. ولكن لا يجوز تأليهه وعبادته ولا يجوز طلب شيء منه كما لا يجوز تقديس قبره ولكن يمكن زيارته دون طلب شيء منه أو الاستنجاد والاستغاثة به إلا أنه سيشفع للمسلمين أمام الله في يوم القيامة. ولا يجوز عبادة الأماكن المرتبطة بحياته»[٤].

وقال جورج رينتز: «إن مبادئ الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت في الأساس ذات مبادئ خاتم الأنبياء والذي حمل رسالة الإسلام في القرن السابع الميلادي»[٥].

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، ج٤، نقلاً عن إمام التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب: أحمد القطان ومحمد طاهر الزين، (ص ٩٤)، دار الإيمان، ٢٠٠١م.

(٢) وصف جزيرة العرب: كارستك نيبوهر، نقلاً عن تاريخ البلاد العربية السعودية، للعجلاني (ص ٣٠١).

(٣) عبد العزيز: للمؤلف داكبرت، نقلاً عن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، لأحمد أبو طامي (ص٩١).

(٤) تاريخ العربية السعودية (ص١٠٠).

(٥) الحركة الوهابية في عيون الرحالة (ص١٣٨)، مختصرًا.

ويقول سانت جون فيلبي: «هناك مطوّعون معيّنون من بين علماء المدن ليشرفوا على أمور البدو الدينية، ويعلِّموهم أصول العقيدة الوهابية اليسيرة، ويمجِّدون فضائل الحياة التي تتخذ حياة النبي ﷺ قدوة لها»(١).

وبعد هذا العرض يتبين أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم ينتقص من مكانة النبي ﷺ بل إنه اقتدى بالنبي ﷺ وجعله أسوة له ونظر إليه النظرة الشرعية وأعطاه المكانة الحقيقية التي أعطاه الله عز وجل إياها، بل دافع وكافح عن رسول الله وبذل مهجة نفسه للدفاع عن الدعوة التي دعا إليها رسول الله ﷺ وما قيل عنه في التقليل من مكانة النبي ﷺ ما هو إلا كذب وافتراء، ونعوذ بالله من الخذلان.

ٱٱٱ

---

(١) بعثة إلى نجد، سانت جون فيلبي، ترجمة: عبد الله العثيمين (ص١٩٢)، العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.

المطلب الثالث

دعوى إنكار السنة

لقد حث القرآن الكريم على اتباع سنة الرسول ﷺ فقال سبحانه: ﴿ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۀ ہ ہ﴾ [الحشر:٧].

فكل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، عليه أن يتمسك ويقتدي بالنبي ﷺ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى﴾ [الأحزاب:٢١].

وهذا الاقتداء بالنبي ﷺ يتضمن الاقتداء به في كل ما أضيف إليه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وامتثال أمره واجتناب نهيه ﷺ.

وقد افترى بعض خصوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأن دعوة الشيخ تنكر الحديث والسنة المطهرة، واقتدى بهم في هذا الافتراء بعض المستشرقين كما سيأتي.

من أقوال المستشرقين:

يقول المستشرق لويس دكورانسي عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ورفض الأحاديث المقبولة عند المسلمين»[(١)]

وقال المستشرق (كورانسيز): «إن الشيخ دعا إلى التمسك بالقرآن، دون الحديث»[(٢)].

وقال «ميشو»: «إن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي الإسلام في صفائه الأول،

---

(١) الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ، لويس دوكورانسي (ص ٥٨).

(٢) تاريخ الوهابيين: أوليفيه كورانسيز، نقلاً عن تاريخ البلاد العربية السعودية، للعجلاني (ص ٣٠٦).

وهو يقبل القرآن، ولكنه يرفض الأحاديث..»[١].

موقف الإمام محمد بن عبد الوهاب من هذه الدعوى:

من خلال ما سبق من ردود الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الدعاوى في المطالب السابقة تتضح حقيقة اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لسنة المصطفى ﷺ والحرص على الموافقة والعمل بأحاديث الرسول ﷺ، وهذا ما سطره رحمه الله في كتبه ورسائله، ومنها ما ورد في الأصول الثلاثة ونواقض الإسلام وتفسير الشهادتين، وأورد رحمه الله بابًا بعنوان «حقوق النبي ﷺ» وبابًا آخر بعنوان «باب تحريضه ﷺ على لزوم السنة والترغيب في ذلك» في كتابه أصول الإيمان[٢]، ويكفي أنه أخذ الأحاديث النبوية بالأسانيد المتصلة من أجلّ العلماء كما مر آنفًا في رحلاته ومشائخه، وعلى رأسهم الشيخ عبد الله بن سالم البصري، والشيخ محمد حياة السندي.

من أقوال أهل العلم في رد هذه الدعوى:

يقول الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود وهو من أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمة الله على الجميع ـ: «ونأمر جميع رعايانا: باتباع كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ... وننهى عن جميع ما نهى عنه الله ورسوله من البدع والمنكرات..، ولكن لنا في رسول الله أسوة»[٣].

وكذلك ما سبق ذكره من كلام أهل العلم في رد الدعاوى السابقة فيه بيان حقيقة الاتباع للنبي ﷺ.

---

(١) التراجم الكونية: ميشو، نقلاً عن تاريخ البلاد العربية السعودية، للعجلاني (ص ٣١٠).

(٢) ينظر: مؤلفات الشيخ (العقيدة والآداب الإسلامية) (١/ ٢٦٠، ٢٦٢).

(٣) الدرر السنية (١/ ٢٦٣)، باختصار.

من أقوال المستشرقين في الرد على هذه الدعوى:

يقول المستشرق هيوجز مقارنًا بين الوهابية والبروتستانت:

«إن الوهابية قد توصف في بعض الأحيان بأنها فرقة بروتستنتية في الإسلام. ولكن البون بينهما شاسع فالبروتستنتية المسيحية ترى من الواجب رفض التعليمات التقليدية مع اعترافها بمرتبة الكتب الإلهامية المقدسة، وعلى عكس من ذلك فإن الوهابية تتمسك بالأحاديث أيضًا مع القرآن»(١) فما ترى أين الذين يدّعون أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ قد رفض الأحاديث من قول هذا المستشرق؟!!

وقد وافق هذا المستشرق مستشرقًا آخر في التأكيد على أهمية السنة بالنسبة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعها وهو برائجس حيث قال: «لقد أشاع الباب العالي أنه ـ أي سعود بن عبد العزيز ـ نهى الناس عن زيارة المدينة، إلا أن هذا ليس بصحيح فإنه نهى فقط عن ارتكاب الأعمال الشركية عند الروضة المطهرة كما نهى عنها عند قبور الأولياء الآخرين. بعض الجهال يرونهم كفارًا. وقد اعتمد الأتراك على الشائعات وروّجها الأشراف إلا أن الحقيقة أنهم يتبعون تمامًا للقرآن والسنة وكانت حركتهم تطهيرية خالصة في الإسلام»(٢).

وتقول الباحثة «نت»: «إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعا إلى العودة إلى الكتاب والسنة وتوثيق صحة الأحاديث بناء على متنها وليس على سندها(٣) (سلسلة رواتها)، والتركيز على النية في الأعمال وليس التجديد في العبادة من العلامات الفارقة في الفكر

---

(١) قاموس الإسلام (ص ٦٦١)، نقلاً عن محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم، للندوي (ص ١٥٥).

(٢) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم، للندوي (ص ١٦٥).

(٣) الصحيح أن الحكم على الأحاديث يكون من خلال النظر في السند والمتن معًا.

الإسلامي في القرن الثامن عشر، ومن ثم فإنني أحتج بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليس ذلك المبتدع المهرطق كما يُتهم، بل العالم الذي شغل القرن الثامن عشر بأفكاره...»[١].

ثم أكد بوركهاردت هذه الحقيقة عندما أورد موقفًا لعلماء القاهرة الكبار فقال: «ففي خريف عام ١٨١٥م أرسل الزعيم الوهابي مندوبين إلى هذه المدينة[٢] أحدهما عالم وهابي جليل[٣]. وقد طلب محمد علي باشا منهما أن يشرحا عقيدتها لعلماء القاهرة الكبار، فتقابل العالم الوهابي معهم عدة مرات، وأحرز قصب السبق عليهم لأنه كان يبرهن على كل مسالة عن ظهر قلب بآية من القرآن أو حديث من السنة، وهي مما لا يمكن ردّه بطبيعة الحال. فأعلن أولئك العلماء أنهم لم يجدوا أية بدع لدى الوهابيين. وبما أن هذا الإقرار قد صدر من العلماء المذكورين فإنه لا يرقى إليه أدنى شك»[٤].

ويقول وليمز بعد كلام طويل: «ومهما يكن الخلاف المذهبي بين الوهابيين وغيرهم من المسلمين فإننا نجل الوهابيين فإنهم يدققون في عبادتهم فيحفظون القرآن والحديث ويأتمرون بما جاء في الشريعة الغراء وينهون عما نهى عنه النبي ﷺ فيحرمون على أنفسهم لبس الحرير والتحلي بالذهب وشرب الخمر وتدخين التبغ ويحاربون السحر والميسر وغيرها من الأرجاس»[٥].

فهذا المستشرق ـ وليمز ـ بين لنا أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب اهتمت بالحديث

---

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٨٩٩ بتاريخ ٣ جمادى الأعلى ١٤٢٤هـ (ص٣٠).

(٢) يقصد القاهرة.

(٣) هو عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم من آل مشرف. وهو ابن بنت الشيخ محمد بن عبد الوهاب، نقلاً عن هامش مواد لتاريخ الوهابيين (ص٢٣).

(٤) مواد لتاريخ الوهابيين (ص٢٣).

(٥) إمام التوحيد الشيخ محمد، للقطان (ص٩٤).

إلى جانب القرآن وطبقت الشريعة وفق ما جاء بها النبي ﷺ.

وقال إليكسي: «إن مصدر الإسلام في رأي الوهابيين هو الكتاب والسنة فقط[١] وكانوا يعترفون بالأئمة الأربعة مؤسسي المذاهب السنية»[٢].

ثم قال: «وقد أخطأ بعض الرحالة والباحثين عندما قالوا: إن الوهابيين يرفضون السنة كلها ولا يعترفون إلا بالقرآن وحده»[٣].

ثم قال مؤكدًا عدم رفض الحديث النبوي: «إن التعاليم الوهابية تتناول بقدر كبير ميدان علم أصول الدين، ولكن لها من الناحية الاجتماعية والسياسية مضمونًا أصيلاً. لا جدال فيه. ولا يغير من جوهر الأمر أن مؤلفات محمد بن عبد الوهاب تتكون بنسبة ٩٥.٩٠٪ من مقتطفات مأخوذة عن فقهاء القرون الأولى من نشوء الإسلام ومن الأحاديث الصحاح»[٤].

وأشار مارجليوث إلى أن هدف الشيخ محمد بن عبد الوهاب العام هو إبعاد جميع البدع التي وجدت بعد القرن الثالث حيث يتسنى للجماعة أو المجتمع الاعتراف بالمذاهب الفقهية الأربعة وكتب الحديث الستة[٥].

ويؤكد لنا المستشرق ـ لي ديفيد ـ أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم تكن مخالفة لما جاء به الرسول ﷺ بل كان يدعو إلى التمسك بسنة النبي ﷺ فقال: «ولم يكن في دعوة

---

(١) وكأن الكاتب غفل عن الإجماع والقياس.

(٢) تاريخ العربية السعودية، إليكسي، (ص ١٠٢).

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٤) المرجع نفسه (ص١٠٥).

(٥) الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرؤية الاستشراقية للتويم (ص٩٨).

الشيخ جديد لأنه كان يرى علاج المشكلات جميعًا في العودة إلى سنة النبي محمد وأصحابه من السلف الصالح. وكان جل همه أن يخلص العالم من شرين عظيمين هما الشرك والبدع. وهو ما قضى حياته هو وأتباعه يناضل في سبيل تحقيقه في حماس شديد»[(١)].

وقال المستشرق جان جاك: «إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعا إلى اتباع التفسير الأوضح والأنقى لسيرة محمد ﷺ وأحاديثه»[(٢)].

إذن فمن العرض السابق لأقوال المستشرقين المنصفين نصل إلى حقيقة موقفهم وهي أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم ينكر السنة والأحاديث بل كان متبعًا لها حريصًا على معرفة الصحيح والضعيف منها، أفنى عمره وحياته من أجل نصرة سنة المصطفى ﷺ والدفاع عنها رحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب (ص٤٨).

(٢) جزيرة العرب (ص٤٨).

الفصل الثاني

دعوى أنها على منهج الخوارج في التكفير
والخروج على الإمام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دعوى أنها على منهج الخوارج في تكفير المجتمع.

المبحث الثاني: دعوى أنها على منهج الخوارج في الخروج على الإمام.

المبحث الأول

دعوى أنها على منهج الخوارج في التكفير

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلـــب الأول: منهج الخوارج في التكفير.

المطلـب الثـاني: من أقوال المستشرقين في تقرير هذه الدعوى

المطلـب الثالـث: موقـف الشـيخ وأتبـاعـه مـن دعـوى التكفير ومنهجه في التكفير.

المطلب الأول
منهج الخوارج في التكفير

يختلف الخوارج في الحكم على مرتكبي الذنوب بالكفر كفر ملة، أو بالكفر كفر نعمة، أو بالنفاق، ويختلف القائلون بكفر المذنبين كفر ملة في تعيين سبب هذا الحكم، ومتى يكون ذلك، باختلاف المعاصي بين صغيرة وكبيرة، وباختلاف مرتكبها إذا كان منهم أو من غيرهم، وباختلاف أحواله بين الإصرار عليها أو عدمه، وذلك على النحو الآتي:

١ ـ الحكم بتكفير العصاة كفر ملة:

الخوارج يحكمون على أصحاب الكبائر بأنهم كفار ملة خارجون عن الإسلام بارتكابهم الكبائر، مخلدون في النار، وعلى رأس من قال بذلك من الخوارج الأزارقة بالإجماع، قال الشهرستاني: «اجتمعت الأزارقة على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كَفَر كُفر ملة، خرج به عن الإسلام جملة، ويكون مخلدًا في النار مع سائر الكفار»[(١)].

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري عن الخوارج عمومًا: «وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر، إلا النجدات فإنها لا تقول ذلك، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذابًا دائمًا، إلا النجدات»[(٢)].

ومن الفرق الأخرى التي توافق الأزارقة أيضًا في الحكم على مرتكب الكبيرة بأنه كافر المكرمية، إلا أنهم يختلفون عنهم في سبب كفره، فعند المكرمية أن كفره بسبب جهل حق الله

---

(١) الملل والنحل: للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، صححه وعلق عليه الأستاذ/ أحمد فهمي، (١/ ١١٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (١/ ١٦٨)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ.

عليه، فلم يقدره حق قدره، يقول الإمام الأشعري عنهم: «ومما تفردوا به أنهم زعموا أن تارك الصلاة كافر، وليس هو من قِبَلِ تركه الصلاة كَفَر، ولكن من قِبَلِ جهله بالله، وكذلك قالوا في سائر الكبائر، وزعموا أن من أتى كبيرة فقد جهل الله سبحانه، وبتلك الجهالة كفر، لا بركوبه المعصية»(١).

وقال الإمام البغدادي عن المكرمية: «زعموا أن تارك الصلاة كافر، لا لأجل ترك الصلاة، لكن لجهله بالله عز وجل، وزعموا أن كل ذي ذنب جاهل بالله، والجهل بالله كفر»(٢).

وقد غلت طائفة من البيهسية ـ من فرق الخوارج ـ فحكمت بالكفر على من ارتكب ذنبًا، ولو كان جاهلاً الحكم فيه، وفي هؤلاء يقول الشهرستاني: «وإن واقع حرامًا لا يعلم تحريمه فقد كفر»(٣).

وطائفة اليزيدية يكفرون كل مذنب، حتى مرتكب الصغيرة، نقل الشهرستاني عن يزيد الخارجي قوله: «إن أصحاب الحدود من موافقته وغيرهم كفار مشركون، وكل ذنب صغير أو كبير فهو شرك»(٤).

أما النجدات فقد نظروا للحكم من جهة الإصرار، يقول الأشعري عنهم: «وزعموا أن من نظر نظرة صغيرة أو كذب كذبة صغيرة ثم أصر عليها فهو مشرك، وأن من زنى

---

(١) المرجع السابق (١/ ١٨٢).

(٢) الفرق بين الفِرق: للإمام عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ص ٧٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، وينظر: الملل والنحل (١/ ١٣٠).

(٣) الملل والنحل (١/ ١٢٢).

(٤) المرجع نفسه (١/ ١٣٣).

وسرق وشرب الخمر غير مُصِر فهو مسلم»[١].

ومما قال به النجدات التفريق في الحكم بين موافقيهم ومخالفيهم، قال البغدادي: «ومن بدع نجدة أنه تولى أصحاب الحدود من موافقيه، وقال: لعل الله يعذبهم بذنوبهم في غير نار جهنم ثم يدخلهم الجنة، وزعم أن النار يدخلها من خالفه في دينه»[٢].

وبهذا القول أيضًا قال الحسينية حيث قال عنهم الأشعري: «ويقولون بالإرجاء في موافقيهم خاصة، كما حكى عن نجدة، ويقولون فيمن خالفهم: إنهم بارتكاب الكبائر كفار مشركون»[٣].

وينظر بعض الصفرية في الحكم بالتكفير إلى العمل نفسه، فإن وجد له حد في كتاب الله، كالزنا والسرقة والخمر والقتل، فلا يسمى صاحبه إلا بذلك الاسم، فيقال له: زان وسارق وهكذا، وحكمه أنه غير كافر ولكنه ليس بمؤمن أيضًا، أما إذا لم يوجد للعمل حد مبين في كتاب الله كترك الصلاة والحج والصوم ونحو ذلك، فمرتكبه كافر وليس بمؤمن.

يقول البغدادي عنهم: «فرقة تزعم أن اسم الكفر واقع على صاحب ذنب ليس فيه حد، والمحدود في ذنبه خارج عن الإيمان، وغير داخل في الكفر»[٤]، وقال أيضًا: «وقد زعمت فرقة من الصفرية أن ما كان من الأعمال عليه حد واقع لا يسمى صاحبه إلا بالاسم الموضوع له، كزان وسارق وقاذف وقاتل عمد وليس صاحبه كافرًا ولا مشركًا، وكل ذنب ليس فيه حد، كترك الصلاة والصوم فهو كفر وصاحبه كافر، وإن المؤمن المذنب يفقد اسم الإيمان في الوجهين جميعًا»[٥].

---

(١) المقالات (١/ ١٧٥).

(٢) الفَرق بين الفِرق (ص ٦٠).

(٣) المقالات (١/ ١٩٨).

(٤) الفرق بين الفِرق (ص ٦١).

(٥) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

٢ ـ الحكم بتكفير العصاة كفر نعمة:

وهذا القول للإباضية، وهم يرون أن من ارتكب كبيرة من الكبائر فهو موحد إذ أنه غير مشرك لكنه ليس بمؤمن إذ أنه يخلد في النار خلود الكافرين إذا مات وهو على كبيرته، وهو لذلك كافر كفر نعمة لا كفر ملة.

قال الأشعري عنهم: «إن كل طاعة إيمان ودين، وإن مرتكبي الكبائر موحدون وليسوا بمؤمنين»[(١)].

وقال أيضًا: «والإباضية يقولون: إن جميع ما افترض الله سبحانه على خلقه إيمان، وإن كل كبيرة فهي كفر نعمة، لا كفر شرك، وإن مرتكبي الكبائر في النار خالدون مخلدون فيها»[(٢)].

ونقل الشهرستاني عن الكعبي قوله في الإباضية: «وأجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كَفَر كُفْر النعمة لا كفر الملة»[(٣)].

ونحن ننتهي من هذا العرض بأن منهج الخوارج في التكفير من حيث الجملة أنهم يكفرون أصحاب الكبائر في الدنيا ويرون خلودهم في النار في الآخرة.

ﮂﮂﮂ

---

(١) المقالات (١/ ١٨٥).

(٢) المرجع نفسه (١/ ١٨٩).

(٣) الملل والنحل (١/ ١٣٢).

المطلب الثاني
من أقوال المستشرقين في تقرير هذه الدعوى

من القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة أن من قال لا إله إلا الله فإنه يعطى الإسلام الحكمي الذي به يُعصم الدم والمال لما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله تعالى**»(١).

أما الإسلام الحقيقي فيكون بين العبد وربه فكل من نطق بالشهادتين فإنه يأخذ حكم الإسلام ما لم يأتِ بناقض من نواقض التوحيد، فعندها يحكم بكفره مع وجود شروط وانتفاء موانع، والنبي ﷺ حذر أمته من إطلاق لفظ التكفير أيَّما تحذير؛ حيث قال ﷺ: «**إذا كفَّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**»(٢)، والناس في هذا طرفان ووسط فالطرف الأول غلا في إطلاق هذا اللفظ حتى على من لا يستحقه وهم الخوارج الذين كفروا مرتكب الكبيرة ـ كما سبق بيانه ـ، ويقابلهم في الطرف الثاني المرجئة القائلون بأنه لا يضر مع الإيمان معصية، أما أهل السنة فإنهم وسط بين الطائفتين فقالوا عن مرتكب الكبيرة: إنه فاسق لا نكفره وفي الآخرة هو تحت المشيئة.

وبناء على هذا فكل من انتسب لإحدى الطائفتين ـ غير أهل السنة ـ فإنه يُذم، وقد ورد النص في حق الخوارج وقد ذمهم الرسول ﷺ في زمنه وأمر بقتالهم فقال ﷺ: «**سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، برقم (١٣٩٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب حال إيمان من قال لأخيه يا كافر، برقم (١١١).

إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة»[١].

ومن أعظم المفتريات التي أشاعها خصوم الدعوة الجاهلون بأصولها ومنهجها وواقعها اتهام إمامها وأتباعها وولاتها بأنهم خوارج، وألصقوا فيهم ما ورد من صفات الخوارج ونحوها كالتكفير بالذنوب واستحلال الدماء.

وهذه الدعوى من إحدى الكبر والبهتان العظيم فهذا المستشرق بيتر برينت يصف أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنهم يكفرون الأتراك لوقوعهم في بعض الكبائر فيقول: «فظهرت حركة تطهيرية جديدة في بلاد العرب، وكان أحد الموالين والمشايعين لهذه الحركة أحد شيوخ القبائل المدعو محمد بن سعود، وكشخص عربي وجد أن هذا المذهب الوهابي لن يكون له أثره السلبي ما دام موجهًا ضد الأتراك، الذين كان الوهابيون يعتبرونهم كفرة في جميع أعمالهم، فهم يتجاوزون تعاليم القرآن وأوامر النبي، فكانوا يشربون الخمر ويزنون ويقامرون، ولهذا أصبح من الضروري طرد هؤلاء الكفرة من المدن الإسلامية»[٢].

وهذا المستشرق إليكسي فاسيلييف يقول: «كان الوهابيون يعتبرون جميع المسلمين المعاصرين لهم والذين لا يؤمنون بتعاليمهم أكثر شركًا[٣] من الجاهلين في الجزيرة العربية»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، برقم (٦٩٣٠).

(٢) بلاد العرب القاصية (ص٩٨).

(٣) وكأنه هنا يشير إلى ما ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بعض كتبه: أن مشركي زماننا أشد شركًا من مشركي الجاهلية، وذلك أن مشركي الجاهلية يدعون الله في الشدة ويشركون به في الرخاء، أما مشركو زماننا فإنهم يشركون بالله في الرخاء والشدة. ولكن المصنف قال: إن مشركي زماننا ولم يقل إن أهل زماننا أو نحوها التي تدل على التعميم (القواعد الأربع).

(٤) تاريخ العربية السعودية (ص١٠٦).

فقوله هنا: يعتبرون جميع المسلمين المعاصرين لهم.. فيه تعميم بإطلاق الشرك، والشرك إذا أطلق فإنه يكون بمعنى الكفر.

وقال أيضًا: «أما الوهابيون فلا يعتبرون خصومهم مسلمين بل مشركين وكانوا يعتقدون أن جميع الذين سمعوا دعوتهم ولم يتبعوها كفرة، وفيما بعد، كان موقف الوهابيين حتى من (أهل الكتاب) أخف[١] من موقفهم من المسلمين غير الوهابيين»[٢].

وينقل لنا المستشرق ـ لي ديفيد ـ عن علي بك قوله: «إن الوهابيين كانوا يعتبرون قبول السجاد الذي كانت تهديه القسطنطينية في كل عام للقبور بالمدينة المنورة خطيئة من الخطايا لأن محمد بن عبد الوهاب كان يعد الأتراك كفرة مارقين عن الدين مشركين بالله ومبتدعين»[٣].

وتقول دائرة المعارف الإسلامية عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه: «إنهم يكفرون ما سواهم من المسلمين»[٤].

وجاء أيضًا في دائرة المعارف: «وكذلك يرى الوهابيون في أنفسهم أنهم وحدهم هم الموحدون، وأن سائر المسلمين مشركون...»[٥] وهذه الفرية جاءت على لسان بيوركمان المستشرق الألماني[٦].

---

(١) من المعلوم في الدين أن الله عز وجل فرق بين أهل الكتاب وبين المشركين، فأهل الكتاب يجوز أكل ذبائحهم مع جواز الزواج منهم، بينما هذا لا يجوز في حق المشركين، أما المسلمون فحقهم أعظم من كلا الطائفتين، وهذا ما قرره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتبه ورسائله.

(٢) المرجع السابق (ص١٠٧).

(٣) الحركة الوهابية (ص٩٤).

(٤) مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٦١ (ص٣٢٩).

(٥) المرجع نفسه (ص٣٣١).

(٦) المرجع نفسه (ص٣٤٢).

وتقول الباحثة الأمريكية (نت): «قبل الشروع بهذه الدراسة كان فهمي لتعاليم الشيخ سطحيًا.. وفي ضوء ما قرأت في كتب الرحالة الغربيين فقد توقعت أن أجد الكثير من المواد التي تدعو إلى تصنيف كل من ليس بوهابي على أنه كافر»[١].

---

(١) مجلة الدعوة العدد ١٨٩٩ (ص٣١).

المطلب الثالث

موقف الشيخ وأتباعه من دعوى التكفير ومنهجه في التكفير

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: موقف الشيخ وأتباعه من دعوى التكفير:

اتخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ موقفًا من هذه التهم وقد أجاب عنها وفصلها تفصيلاً دقيقًا من خلال كتبه ورسائله ليزول الإشكال ويذهب الالتباس وينجلي الحق ويندحر الباطل فقال رحمه الله: «ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ولكني أرجو للمحسن، وأخاف على المسيء، ولا أكفر أحدًا من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام»[١].

وقال أيضًا رحمه الله مدافعًا عن دعوته وعقيدته: «وأما المسائل الأخرى، وهي: أني أقول لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله، وأني أعرّف من يأتيني بمعناها، وأني أكفر الناذر إذا أراد بنذره التقرب لغير الله، وأخذ النذر لأجل ذلك، وأن الذبح لغير الله كفر، والذبيحة حرام، فهذه المسائل حق، وأنا قائل بها، ولي عليها دلائل من كلام الله وكلام رسوله، ومن أقوال العلماء المتبعين، كالأئمة الأربعة..» [٢].

وقال أيضًا رحمه الله: «فإن قال قائلهم: إنهم يكفرون بالعموم، فنقول سبحانك هذا بهتان عظيم، الذي نكفر، الذي يشهد أن التوحيد دين الله، ودين رسوله، وأن دعوة غير الله

---

(١) الدرر السنية (١/ ٣٢).

(٢) المرجع نفسه (١/ ٣٤).

باطلة، ثم بعد هذا يكفّر أهل التوحيد، ويسميهم الخوارج»[(١)].

وقال رحمه الله مبينًا منهجه في التكفير: «وأما التكفير: فأنا أكفر من عرف دين الرسول، ثم بعد ما عرفه سبه، ونهى الناس عنه، وعادى من فعله، فهذا: هو الذي أكفر، وأكثر الأمة ـ ولله الحمد ـ ليسوا كذلك»[(٢)].

وله رحمه الله كلام مطول في مواضع متعددة كلها تبين منهجه في التكفير[(٣)].

وسئل الشيخ ـ رحمه الله ـ عما يقاتل عليه؟ وعما يكفر الرجل به؟ فأجاب: «أركان الإسلام الخمسة، أولها الشهادتان، ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقر بها، وتركها تهاونًا، والعلماء: اختلفوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود، ولا نكفر إلاَّ ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان.

وأيضًا: نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر، فنقول أعداؤنا معنا على أنواع:

النوع الأول: من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله، وأقر أيضًا: أن هذه الاعتقادات في الحجر، والشجر، والبشر، أنه الشرك بالله، ومع ذلك: لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلمه، ولا دخل فيه ولا ترك الشرك، فهو كافر، لأنه عرف دين الرسول، فلم يتبعه، وعرف الشرك، فلم يتركه، مع أنه لا يبغض دين الرسول، ولا من دخل فيه، ولا يمدح الشرك، ولا يزينه للناس.

النوع الثاني: من عرف ذلك، ولكنه سب دين الرسول، مع ادعائه أنه عامل به، ومدح، من عبد يوسف، والخضر، وفضلهم على من وحد الله، وترك الشرك، فهذا: أعظم من الأول، وفيه قوله تعالى: ﴿ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ﴾ [البقرة: ٨٩]. وهو ممن

---

(١) المرجع السابق (١/ ٦٣).

(٢) المرجع نفسه (١/ ٧٣).

(٣) ينظر: المرجع نفسه (١/ ٧٦)، وينظر: مؤلفات الإمام محمد (٦/ ٣٧، ٦٠).

قال الله فيه: ﴿ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ﴾ [التوبة:١٢].

النوع الثالث: من عرف التوحيد وأحبه، واتبعه، وعرف الشرك، وتركه، ولكن: يكره من دخل في التوحيد، ويحب من بقي على الشرك، فهذا أيضًا: كافر، فيه قوله تعالى: ﴿ﭑ ﭒ □ □ □ □ □ □ □﴾ [محمد:٩].

النوع الرابع: من سلم من هذا كله، ولكن أهل بلده: يصرحون بعداوة أهل التوحيد، واتباع أهل الشرك، وساعين في قتالهم، ويتعذر: أن ترك وطنه يشق عليه، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده، ويجاهد بماله، ونفسه، هذا أيضًا: كافر »[1].

وأذكر الآن أقوال أتباع الدعوة من أهل العلم والمفكرين في دفاعهم عن هذه الدعوى:

فأبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ يحملون نفس المنهج والعقيدة فعندما سئلوا: هل عندكم أنه ما يلبث موحد في النار، أم لا؟

فأجابوا: «الذي نعتقده دينًا، ونرضاه لإخواننا المسلمين، مذهبًا، أن الله تبارك وتعالى لا يخلد أحدًا فيها من أهل التوحيد، كما تظاهرت عليه الأدلة، من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال الشيخ: تقي الدين، أبو العباس ابن تيمية، رحمه الله: (تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ: «**بأنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه من الإيمان ما يزن شعيرة**»[2] وفي لفظ «ذرة» ولكنها جاءت مقيدة بالقيود الثقال، كقوله: «**من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**» وفي رواية «**صادقًا من قلبه**») انتهى كلامه رحمه الله، وهذا: هو مذهب أهل السنة والجماعة، من أصحاب رسول الله ﷺ ومن اتبعهم بإحسان، من سلف الأمة وأئمتها، ولا يخالف في ذلك إلا الخوارج، والمعتزلة، القائلون بتخليد أهل الكبائر في

---

(١) الدرر السنية (١/ ١٠٢) باختصار.

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾، برقم (٧٤١٠).

النار»[١].

ومن هنا يتبين لنا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ليسوا من الخوارج ولا يكفرون بالعموم وهذا قولهم في بيان موقفهم من المعاصي وأقسامها: «وأما المعاصي، والكبائر، كالزنا والسرقة، وشرب الخمر، وأشباه ذلك، فلا يخرجه عن دائرة الإسلام عند أهل السنة والجماعة، خلافًا للخوارج، والمعتزلة، الذين يكفرون بالذنوب، ويحكمون بتخليده في النار.

واحتج أهل السنة والجماعة على ذلك بحجج كثيرة من الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين، فمن ذلك: ما رواه المروزي الإمام المشهور، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا وهب بن جرير بن حازم، حدثنا أبي، عن الفضيل، عن أبي جعفر أنه سئل عن قول النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[٢].

فقال أبو جعفر: هذا الإسلام، ودوَّر دائرة واسعة، وهذا الإيمان، ودوَّر دائرة صغيرة في وسط الكبيرة، فإذا زنى أو سرق: خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام إلا بالكفر بالله، انتهى. ثم ذكر تفصيل الإيمان والإسلام والكفر وعلاقة هذه المسميات بالكبائر والجنة والنار»[٣].

وهذا الشيخ عبد اللطيف يبرئ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهما الله ـ من هذه الافتراءات ويقول في رده على رسالة: «وأخبرتهم ببراءة الشيخ ـ أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ من هذا المعتقد، والمذهب وأنه لا يكفّر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله، من الشرك الأكبر، والكفر بآيات الله ورسله، أو بشيء منها، بعد قيام الحجة، وبلوغها

---

(١) الدرر السنية (١/ ١٩٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب النُّهبى بغير إذن صاحبه، برقم (٢٤٧٥).

(٣) الدرر السنية (١/ ٢٠٢).

المعتبر، كتكفير من عبد الصالحين، ودعاهم مع الله، وجعلهم أندادًا لله، فيما يستحقه على خلقه، من العبادات، والإلهية، وهذا مجمع عليه من أهل العلم والإيمان، وكل طائفة من أهل المذاهب المقلدة، يفردون هذه المسألة ببيان عظيم، يذكرون فيه حكمها، وما يوجب الردة، ويقتضيها، وينصون على الشرك، وقد أفرد ابن حجر، هذه المسألة، بكتاب سماه: الإعلام بقواطع الإسلام»[١].

وكان الشيخ حمد بن ناصر بن معمر النجدي أحد تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول: «أما من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهو يقيم على شركه يدعو الموتى ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، فهذا كافر مشرك حلال الدم والمال، وإن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم»[٢].

وتأتي مسألة عباد القبور وقد سبق الشيخ في تكفيرهم معاصرُه ومؤيدُه في رأيه محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني فإنه لا يفرق ألبتة بين عباد الأصنام وعباد القبور، وذكر الشوكاني رجوعه وخالف هذا التشديد على عباد القبور[٣]، فشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يوافق الأمير الصنعاني في رأيه إلا أنه يشترط إتمام الحجة ولذلك لا يكفِّر جميعهم.

ومن هذه المقتطفات تبين لنا أن الشيخ وأتباعه يشترطون الإبلاغ وإقامة الحجة قبل التكفير، ولذلك نجدهم ينفون اتهام التكفير العام أشد نفي.

وهذا العلامة ابن سحمان يؤكد أن منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ

---

(١) المرجع السابق (١/ ٤٦٧).

(٢) الهدية السنية (ص ١٠٥)، نقلاً عن محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، للندوي (ص١٦٠).

(٣) ينظر: تطهير الاعتقاد للصنعاني (ص ١٢)، نقلاً عن محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم، للندوي (ص ١٦٠).

وأتباعه البعد والابتعاد عن التكفير، والتوقف والإحجام عنه فقال: «فمن أنكر التكفير جملة فهو محجوج بالكتاب والسنة، ومن فرق بين ما فرق الله ورسوله من الذنوب ودان بحكم الكتاب والسنة وإجماع الأمة في الفرق بين الذنوب والكفر فقد أنصف ووافق أهل السنة والجماعة، ونحن لم نكفر أحدًا بذنب دون الشرك الأكبر الذي أجمعت الأمة على كفر فاعله إذا قامت عليه الحجة، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد، كما حكاه في «الإعلام» لابن حجر الشافعي».

ثم قال ـ رادًّا لما يقول الخصم: «إن تكفير المسلم أمر غير هين، وإنه قد أجمع العلماء ـ منهم الشيخ ابن تيمية وابن القيم ـ على أن الجاهل والمخطئ من هذه الأمة ولو عمل ما يجعل صاحبه مشركًا أو كافرًا يعذر بالجهل والخطأ، حتى تبين له الحجة بيانًا واضحًا لا يلتبس على مثله.

فيقال في جوابه: أما تكفير المسلم فقد قدمنا أن الوهابية لا يكفرون المسلمين، والشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ من أعظم الناس توقفًا وإحجامًا عن إطلاق الكفر، حتى أنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم إذا لم يتيسر له من ينصحه، ويبلغه الحجة التي يكفر تاركها»[1].

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ في دفع هذه الشبه عن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ في شرحه لكتاب كشف الشبهات: «فإن الشيخ ـ رحمه الله ـ لا يكفر إلا من عمل مكفرًا، وقامت عليه الحجة، فإنه يكفره»[2].

---

(١) الضياء الشارق: سليمان بن سحمان، (ص ٣٥)، نقلاً عن دحر افتراءات أهل الزيغ والارتياب عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، للشيخ ربيع بن هادي المدخلي (ص٥٦)، دار المنهاج، القاهرة، ١٤٢٤هـ.

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات: للعلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، (ص ٥٠)، نقلاً عن دحر افتراءات أهل الزيغ للمدخلي (ص٥٨) بتصرف.

وينفي الشيخ حسين بن غنام فرية تكفير المسلمين عن الشيخ، ويؤكد أن الخصوم هم الذين كفروا الشيخ واستحلوا دمه، فقال في وصف الشيخ: «وبقي رحمه الله يدعو إلى سبيل ربه بالحجة الواضحة، وبالموعظة الحسنة، فلم يبادر أحدًا بالتكفير، ولم يبدأ أحدًا بالعدوان، بل توقف عن كل ذلك ورعًا منه وأملاً في أن يهدي الله الضالين، إلى أن نهضوا عليه جميعًا بالعدوان، وصاحوا في جميع البلاد بتكفيره هو وجماعته وأباحوا دماءهم»(١).

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن: «وأما القول بأنا نكفر الناس عمومًا ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وأنا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفر من عبد القبور من العوام لأجل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاتل، سبحانك هذا بهتان عظيم»(٢).

وقال السهسواني: «إن الشيخ وأتباعه لم يكفروا أحدًا من المسلمين، ولم يعتقدوا أنهم هم المسلمون، وأن من خالفهم هم المشركون، ولم يستبيحوا قتل أهل السنة وسبي نسائهم.. ولقد لقيت غير واحد من أهل العلم من أتباع الشيخ، وطالعت كثيرًا من كتبهم، فما وجدت لهذه الأمور أصلاً وأثرًا، بل كل هذا بهتان وافتراء»(٣).

---

(١) تاريخ نجد لابن غنام (ص ٨٩).

(٢) تاريخ نجد، للسيد محمود شكري الألوسي (ص ٥٥)، تحقيق: محمد بهجة الأثري، مكتبة الثقافة الدينية، الظاهر.

(٣) صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان، للسهسواني، (ص ٤٨٥)، نقلاً عن دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف (ص ١٧٥)، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

ومما قاله محمد رشيد رضا معلقًا على الكلام السابق: «بل في هذه الكتب خلاف ما ذكر وضده، ففيها أنهم لا يكفرون إلا من أتى بما هو كفر بإجماع المسلمين»[1].

وكذلك الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ في بادئ الأمر لم تبلغه معلومات موثقة عن هذه الدعوة السلفية إلا أنه لم يصدق تلك الدعاوى الكاذبة، فقال: «وبعض الناس يزعم أنه يعتقد اعتقاد الخوارج، وما أظن ذلك صحيحًا»[2].

ويقول حافظ وهبه: «أما الشيخ ابن عبد الوهاب وتلاميذه: فإنهم لا يكفرون من صحت ديانته، واشتهر صلاحه، وحسنت سيرته، وإن أخطأ في بعض المسائل. ولكنهم يكفرون من بلغته دعوة الحق ووضحت له الحجة وقامت عليه وأصر مستكبرًا»[3].

المسألة الثانية: منهج الشيخ في التكفير:

(١) عدم التكفير إلا بدليل شرعي صحيح صريح.

(٢) أن الإمام محمدًا يكفر بالمتفق عليه، دون المختلف فيه، مما يدل على ورعه في مسائل التكفير.

(٣) التفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعين.

يفرق الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بين التكفير المطلق وتكفير المعين فيقول: «ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة، إذا قال قولاً يكون القول به كفرًا، فيقال من قال بهذا القول فهو كافر، ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك، لا يحكم بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»[4].

---

(١) صيانة الإنسان (ص ٤٨٦)، نقلاً عن دعاوى المناوئين (ص ١٧٥).

(٢) البدر الطالع: للشوكاني (٢/ ٦)، نقلاً عن دعاوى المناوئين (ص ١٨٣).

(٣) جزيرة العرب في القرن العشرين: حافظ وهبة (ص ٣١٤)، دار الأفاق العربية، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٤) الدرر السنية (٨/ ٢٤٤).

(٤) تفريقه بين قيام الحجة، وفهم الحجة، فقال رحمه الله: «الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف فلا يكفر حتى يُعرَّف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين لم يفهموا حجة الله عليهم مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ﴾ [الفرقان:٤٤] وقيام الحجة نوع، وبلوغها نوع وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها، فإن أشكل عليكم ذلك، فانظروا قوله ﷺ: «**أينما لقيتموهم فاقتولهم**»[١].

مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم، ومع إجماع الناس أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والغلو والاجتهاد، وهم يظنون أنهم يطيعون الله، وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها. وكذلك قتل علي رضي الله عنه الذين اعتقدوا فيه وتحريقهم بالنار، مع كونهم تلاميذ الصحابة مع عبادتهم وصلاتهم وصيامهم، وهم يظنون أنهم على حق، وكذلك إجماع السلف على تكفير غلاة القدرية وغيرهم مع علمهم وشدة عبادتهم، وكونهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم، لأجل كونهم لم يفهموا))[٢].

(٥) الاحتراز والتثبت: يقول رحمه الله: «من أظهر الإسلام، وظننا أنه أتى بناقض لا نكفره بالظن؛ لأن اليقين لا يرفعه الظن، وكذلك لا نكفر من لا نعرف منه الكفر، بسبب ناقض ذكر عنه ونحن لم نتحققه»[٣].

---

(١) متفق عليه البخاري كتاب استتابة المرتدين، باب: قتل الخوارج برقم (٦٩٣٠)، ومسلم كتاب الزكاة باب (التحريض على قتل الخوارج) برقم (٢٤٦٢).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام القسم الخامسن الرسائل الشخصية (ص٢٤٤).

(٣) المرجع نفسه (ص ٢٤).

موانع تكفير المعين:

أولاً: الجهل، وهو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه(١).

وينظر في الجهل من ناحية نوعية المسألة المجهولة هل هي من الأصول المعلومة من الدين بالضرورة أم لا؟ وهل دلائل المسألة مستفيضة وواضحة الدلالة أم لا؟

ومن ناحية نوعية الشخص الجاهل: هل هو حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية، وهل هو مفرّط في طلب العلم أم لا؟ ومدارك الشخص من الذكاء والغباء، والزمان والمكان والملابسات ونحو ذلك، فهذه أمور معتبرة في الإعذار بالجهل من عدمه.

ثانيًا: الإكراه:

عرفه ابن حجر: «هو إلزام الغير بما لا يريده»(٢).

وليس كل من ادعى الإكراه قُبل منه، بل ليكون الإكراه عذرًا معتبرًا لابد من توافر الشروط الآتية(٣):

١ـ أن يكون فاعله قادرًا على إيقاع ما يهدد والمأمور عاجزًا عن الدفع ولو بالفرار.

٢ـ أن يغلب على ظن المكره وقوع الوعيد، إذا لم يفعل ما طلب منه.

٣ـ أن يكون مما يستضر به المكره ضررًا كثيرًا، كالقتل والضرب الشديد، والحبس الطويل، فأما الشتم والسب، فليس بإكراه.

ثالثًا: الخطأ:

وهو أن يقصد بفعله شيئًا، فيصادف فعله غير ما قصده.

قال ابن تيمية: «وأما التكفير: فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد وقصد الحق،

---

(١) التعريفات: الشريف علي الجرجاني، (ص ٨٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: للحافظ أحمد بن حجر، (١٢/ ٣١١)، تحقيق وتصحيح: محب الدين الخطيب، دار الريان، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ.

(٣) المغني لابن قدامة (٧/ ١٢٠)، تحقيق: د/ عبد الله التركي، ود/ محمد الحلو، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ.

فأخطأ لم يكفر، بل يغفر له خطؤه...»[1].

رابعًا: التأويل:

والمراد به هنا: هو ما يعرض للشخص من فهم لنصوص الشريعة، يكون مخالفًا لما فهمه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم، وأئمة الدين، وذلك لورود شبهة معينة على ذهن شخص تصرفه عن الحق، فيقع في المخالفة، وهو لا يقصد مخالفة الشريعة.

والمتأمل في حقيقة أمره جاهل؛ لذلك فإن الأدلة التي جاءت في عذر الجاهل حتى تقام عليه الحجة، تنطبق على المتأول.

ومنهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسألة التأويل، أنه يقسم التأويل إلى تأويل سائغ يعذر صاحبه وتأويل غير سائغ لا يعذر صاحبه وهو كما يسميه الإمام محمد بن عبد الوهاب: فهو معارضة النصوص الشرعية بالهوى، والأقيسة الفاسدة، والتأويلات الباطنية، التي هي حقيقة الأمر، تكذيب للنصوص الشرعية.

فإذن هذه خلاصة لمنهج الشيخ محمد في مسألة التكفير، وشتان بينه وبين منهج الخوارج فإن بينهما بعد المشرقين ولا أظن أن يخالف في هذا إلا مكابر صاحب هوى أعوذ بالله من الضلال والزيغ بعد الهدى.

أما المستشرقون فلم أقف لهم على رد في مسألة التكفير ولعل السبب في ذلك هو عدم اهتمامهم بمسائل التكفير، وأما ما ذكر من دعوى التكفير فهو ما أخذوه وتلقفوه من المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

إذن فمن خلال ما سبق يظهر لنا أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعيدة كل البعد عن منهج الخوارج وعن منهج التكفير إلا بالضوابط التي سبق ذكرها، فالدعوة بريئة من هذه الدعوى.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٨٠)، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ.

المبحث الثاني

دعوى أنها على منهج الخوارج في الخروج على الإمام

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهج الخوارج في الخروج على الإمام.

المطلب الثاني: من أقوال المستشرقين في هذه الدعوى

المطلب الثالث: موقف الشيخ وأتباعه من دعوى الخروج على الإمام ونفي الخروج على الدولة العثمانية.

المطلب الأول

منهج الخوارج في الخروج على الإمام

يرى الخوارج أن الإمام هو المثل الأعلى، ولهذا يجب أن يكون متصفًا بذلك قولاً وفعلاً، فإن خطأه ليس كخطأ غيره من الناس، فإذا أخطأ خطيئة ما يجب فورًا محاسبته والخروج عليه، فإما أن يعتدل وإما أن يعتزل ولو أدى ذلك إلى قتله؛ فإنه حق مشروع لهم حينئذ، فهم لا يعترفون بإمام يعتقدون أنه قد جار في حكمه.

قال الأشعري: «ولا يرون إمامة الجائر»(١)، وقال الشهرستاني في بيانه لموقف الخوارج من الإمام: «وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله، أو قتله»(٢).

وقد روى البغدادي عن الكعبي أن من الأمور التي أجمعت عليها الخوارج: «وجوب الخروج على الإمام الجائر»(٣).

ومن غرائبهم ما يروى عن طائفة من البيهسية فقد اعتبرت كفر الإمام سببًا في كفر رعيته، وذلك في قولهم: «إذا كفر الإمام فقد كفرت الرعية، والدار دار شرك وأهلها جميعًا مشركون»(٤). لهذا فينبغي أن يحال بينه وبين الحكم عندما يبدو منه أمر مكفر بأي وسيلة كانت، وإلا فقد كفروا هم أيضًا.

ويقول الأشعري عن الإباضية: «ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه، بالسيف أو بغير السيف»(٥).

---

(١) المقالات (١/ ٢٠٤).

(٢) الملل والنحل (١/ ١٠٨).

(٣) الفَرق بين الفِرق (ص ٥٠).

(٤) المقالات (١/ ١٩٤).

(٥) المصدر نفسه (١/ ٢٠٤).

المطلب الثاني
من أقوال المستشرقين في دعوى خروج الشيخ على الإمام

يقول إليكسي متهمًا الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه بالخروج على الدولة العثمانية: «إن تمرد الوهابيين على الإسلام العثماني، كما بينت الأحداث، قد تجاوز كثيرًا الإطار الديني واتسم بطابع سياسي وعسكري، لقد كان ذلك صدامًا بين نظام الدولة العربي في الجزيرة وبين الإمبراطورية العثمانية وصارت راية للحركة الوطنية العربية ضد النفوذ العثماني في الجزيرة»[(١)].

ﭑﭑﭑ

(١) تاريخ العربية السعودية، إليكسي (ص ١١٠).

المطلب الثالث

موقف الشيخ وأتباعه من دعوى الخروج على الإمام ونفي الخروج على الدولة العثمانية

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: موقف الشيخ وأتباعه من دعوى الخروج على الإمام:

قال الشيخ ـ رحمه الله ـ : «وأرى أن الجهاد ماض مع كل إمام برًا كان أو فاجرًا، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة،... وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة، واجتمع عليه الناس، ورضوا به، وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه»[(١)].

وقال أيضًا: «الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدًا حبشيًا، فبين الله له هذا بيانًا شائعًا كافيًا بوجوه من أنواع البيان شرعًا وقدرًا، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به؟»[(٢)].

وصرَّح الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله باعتقادهم في هذه المسألة فقال: «ونرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برِّهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية»[(٣)].

المسألة الثانية: نفي الخروج على الدولة العثمانية:

أما قضية الخروج على الخلافة العثمانية فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ينأى بنفسه عن الخروج كيف لا؟! وهو قد بين منهجه في السمع والطاعة لولي الأمر كما مر آنفًا.

وسبب هذه الشبهة أن أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد وفاته أخذوا مكة والمدينة

---

(١) الدرر السنية (١/ ٣٢) باختصار.

(٢) مؤلفات الشيخ (١/ ٣٩٤).

(٣) الهدية السنية (ص ١٠٩)، نقلاً عن دعاوى المناوئين (ص ٢٣٤).

والحجاز من نائب السلطان العثماني الشريف غالب، وصارت ضمن ولايتهم ودولتهم، وجعلوا على مكة الشريف زيدًا.

ويمكن حصر الجواب والرد على هذه الدعوى في النقاط التالية:

أولاً: أن نجدًا موطن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم تكن تحت النفوذ والسيطرة العثمانية، يقول الدكتور صالح العبود: «لم تشهد نجد على العموم نفوذًا للدولة العثمانية، فما امتد إليها سلطانها، ولا أتى إليها ولاة عثمانيون، ولا جابت خلال ديارها حامية تركية في الزمان الذي سبق ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ ومما يدل على هذه الحقيقة التاريخية استقراء تقسيمات الدولة العثمانية الإدارية، فمن خلال رسالة تركية عنوانها (قوانين آل عثمان مضامين دفتر الديوان) يعني قوانين آل عثمان فيما يتضمنه دفتر الديوان، ألفها يمين علي أفندي الذي كان أمينًا للدفتر الخاقاني سنة ١٠١٨هـ الموافقة ١٦٠٩م من خلال هذه الرسالة يتبين أنه منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري، كانت دولة آل عثمان تنقسم إلى اثنتين وثلاثين إيالة، منها أربع عشرة إيالة عربية، وبلاد نجد ليست منها ما عدا الإحساء إن اعتبرناه من نجد»[(١)].

ويقول الدكتور عبد الله العثيمين: «ومهما يكن فإن نجدًا لم تشهد نفوذًا مباشرًا للعثمانيين عليها قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما أنها لم تشهد نفوذًا قويًا يفرض وجوده على سير الحوادث داخلها لأية جهة كانت، فلا نفوذ بني جبر، أو بني خالد في بعض جهاتها، ولا نفوذ الأشراف، في بعض جهاتها الأخرى أحدث نوعًا من الاستقرار السياسي، فالحروب بين البلدان النجدية ظلت قائمة، والصراع بين قبائلها المختلفة استمر حادًا عنيفًا»[(٢)].

---

(١) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي: د/ صالح بن عبد الله العبود (١/ ٢٧).

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، للعثيمين (ص١١).

ويقول الدكتور عجيل النشمي: «أن نجدًا وما وجاورها لم تعرها دولة الخلافة أهمية تذكر وربما كانت سياستها هذه تجاه بلاد نجد لسعة أراضيها، وترامي أطرافها، هذا من جانب، ولتمكن التوزيع القبلي والعشائري من جانب آخر» (١).

ويقول أمين سعيد في هذا الشأن: «ولقد حاولنا كثيرًا في خلال دراستنا لتاريخ الدولتين الأموية والعباسية، وتاريخ الأيوبيين، والمماليك في مصر، ثم تاريخ العثمانيين الذين جاءوا بعدهم وورثوهم، أن نعثر على اسم والٍ أو حاكم أرسله هؤلاء، أو أولئك أو أحدهم إلى نجد أو إحدى مقاطعاتها الوسطى، أو الشمالية أو الغربية أو الجنوبية، فلم نقع على شيء، مما يدل على مزيد من الإهمال تحمل تبعته هذه الدول.. على أن الذي استنتجناه في النهاية هو أنهم تركوا أمر مقاطعات نجد الوسطى والغربية إلى الأشراف الهاشميين حكام الحجاز الذين جروا على أن يشرفوا على قبائلها إشرافًا جزئيًا»(٢).

ويقول أيضًا: «وكان كل شيخ أو أمير في نجد مستقلاً استقلالاً تامًا في إدارة بلاده وما كان يعرف الترك، ولا الترك يعرفونه»(٣).

ويقول المستشرق جاكلين بيرين في ذلك: «ولكن شبه الجزيرة العربية ظلت ممتنعة على الفتح التركي بفضل صحرائها التي هلكت فيها عطشًا الجيوش التي وجهها السلطان سليمان سنة ١٥٥٠م»(٤).

فإذا كانت نجد محل ظهور وانطلاق هذه الدعوة ليست تحت سيطرة العثمانيين، فكيف

---

(١) مجلة المجتمع، العدد (٥٠٩)، بتاريخ ٢٣ صفر ١٤٠١هـ.

(٢) تاريخ الدولة السعودية، من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (ص ٢٣)، نقلاً عن دعاوى المناوئين (ص ٢٣٦).

(٣) الإمام محمد بن عبد الوهاب: أمين سعيد، (ص ١٧٩)، نقلاً عن دعاوى المناوئين (ص ٢٣٦).

(٤) اكتشاف جزيرة العرب: جاكلين بيرين، ترجمة: قدري قلعجي، (ص ٢٤)، دار الكاتب العربي، بيروت.

ترد هذه الشبهة ويظن أن الشيخ قد خرج على دولة الخلافة؟

ثانيًا: أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ لم يكن له موقف عدائي ضد الدولة العثمانية بل كان موقفه موقف الناصح الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر دون أن يتعداه إلى الصدام المسلح، بل كان يتجنبه ويتحاشاه، كما هو واضح في موقفه من الأشراف الذين يحكمون الحجاز باسم دولة الخلافة.

ويقول النشمي ما ملخصه: «فكانت سياسة الشيخ وموقفه تجاه بلاد الحجاز أنه لم يؤثر عنه طوال حياته تحريض، أو استعداء أو دعوة لحربها، أو الاستيلاء عليها لشعوره أن ذلك الفعل قد يفسر على أنه خروج على دولة الخلافة. لم تحرك دولة الخلافة ساكنًا، ولم تبدر منها أية مبادرة امتعاض، أو خلاف يذكر رغم توالي أربعة من سلاطين آل عثمان في حياة الشيخ»[1].

ثالثًا: إن قرار الحرب الذي اتخذته السلطنة العثمانية ضد الحركة الوهابية بني على أساس خاطئ وفهم مغلوط تكون من خلال الرسائل التي بعث بها أعداء الحركة إلى السلطان وقد عقد اجتماع في الأستانة لتحديد الموقف الواجب نحو الوهابية هذا الموقف تذكره وثيقة رقم ٣٧٩٠ وهي عبارة عن تقرير أعده رئيس الوزراء عن هذا الاجتماع خرجوا منه بقرار الحرب على الحركة وإرسال الجيوش للقضاء عليها[2].

رابعًا: أن الشيخ محمدًا رحمه الله لم يتقصد الخروج على الخلافة، ولا معارضتها بل كان يرى أن ما يقوم به من الدعوة أمر واجب شرعًا لا علاقة له برضى الخلافة، وأنه لم يفتت على الخلافة في ذلك. وأن أمير بلدة (العيينة) وحاكمها (ابن معمر) ثم ابن سعود في (الدرعية) كان يعاونه ويؤيده وهو واليه وأميره المباشر، لاسيما إذا وضعنا في الاعتبار أن

---

(١) مجلة المجتمع، العدد (٥١٠) بتاريخ ٣٠ صفر ١٤٠١هـ.

(٢) ينظر: إمام التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص١٤٧).

الإمام يعتقد بأصول أهل السنة والجماعة في وجوب طاعة الإمام بالمعروف ولا يجوز الخروج عليه برًا كان أو فاجرًا[(١)].

خامسًا: أن الدولة التركية كانت تتبنى البدع وتؤيد الطرق الصوفية وتنشرها وتحميها وتسخر لها الإمكانات والإدارات والأوقاف ويتسابق ولاتها وأمراؤها إلى ذلك، فأسهمت في ترسيخ بدع الأضرحة والقباب والمزارات والمشاهد البدعية ووقع خلفاؤها المتأخرون تحت تأثير شيوخ الطرق البدعية، فانصرفت قلوبهم لغير الله فانهزمت نفوسهم وانحرفت عقيدتهم واتجهت إلى طلب النفع ودفع الضر من غير الله وأصيبت عباداتهم وأعمالهم بداء التصوف[(٢)]، فأصبحت الدولة العثمانية حامية لمظاهر الشرك، ولذلك فإذا حاربت الدولة العثمانية فليتسنى لها تحقيق معاني التوحيد في تصورها وهدم آثار الشرك في الديار الإسلامية[(٣)] فلو سلمنا بالخروج على الدولة العثمانية فذلك خروج جائز مطلوب، فرسول الله ﷺ أمر بالسمع والطاعة لإمام المسلمين والصبر على ظلمه وفسقه للمفاسد العظيمة المترتبة على الخروج، ولكنه حد حدًا يجوز بعده الخروج على الإمام، وذلك الحد رؤية الكفر البواح أي البين الواضح، ففي الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «**دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرةٍ علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»[(٤)].

---

(١) ينظر: إسلامية لا وهابية (ص٢٩٩).

(٢) ينظر: المرجع نفسه (ص٢٩٩).

(٣) ينظر: إمام التوحيد (ص١٤٧).

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «**سترون بعدي أمورًا تنكرونها**»، برقم (٧٠٥٦)، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم (٤٧٧١).

وحال الدولة والناس ذاك الزمان كما هو معروف مشهور أن الدولة تبني أماكن الشرك وتعظمها وتحميها وتشجع وتعين الطرق الصوفية المنحرفة وتدعو إليها في بلاد الإسلام، وبين المسلمين، ففشت وعظمت بينهم الجهالة والشرك والخرافة، وهذا كفر بواح شائع مشاهد، فجاز الخروج عليها، ولا يلزم من ذلك تكفير شخص الخليفة ورجال الدولة، فالكفر البواح البين المبيح للخروج، يكون عند ظهوره في أعيانهم، أو في دولتهم وسلطانهم وإقرارهم ودفاعهم عنه، ففتنة الكفر والشرك أعظم من أي فتنة ومفسدة، فكان لأتباع الشيخ العذر البين في خروجهم على الدولة العثمانية عند كل منصف. وما نقله المؤرخون كالجبرتي وغيره من وصف لجيش الدولة العثمانية وما كانوا عليه من ترك للصلاة واستهزاء بالدين وشرب للخمور يؤكد الحال التي آلت إليها الدولة العثمانية[1].

سادسًا: يقول الاستانبولي: «والغريب المضحك والمبكي معًا أن تُتهم حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنها من عوامل هدم الخلافة العثمانية، مع العلم أن هذه الحركة قامت حوالي عام ١٨١١م، والخلافة هدمت حوالي ١٩٢٢م»[2].

فإن الشيخ وأتباعه لم يسقطوا الدولة العثمانية بل هي التي أسقطت دولتهم، ودولتها لم تسقط إلا بعد سقوط الدرعية بمئة عام تقريبًا، بعد أن تحالفت وحاربت مع الألمان في الحرب العالمية الأولى، وخسارتهم لمصلحة الإنجليز والفرنسيين وحلفائهم، فتقاسم المنتصرون بينهم بلاد الإسلام والعرب خصوصًا[3].

سابعًا: فرح الإنجليز والفرنسيون بنجاح محمد علي في هزيمته للدولة السعودية وإيقافه لخطر توسعها وتهديدها لسلطانهم ومصالحهم، وتهنئتهم له وللدولة العثمانية بذلك النصر

---

(١) ينظر: كشف الأكاذيب والشبهات (ص١٤١).

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب، نقلاً عن دعاوى المناوئين (ص٢٤٠).

(٣) ينظر: كشف الأكاذيب والشبهات (ص١٤٣).

مع عداوتهم للدولة العثمانية، ذلك أنهم عرفوا أن مفسدة الدعوة ودولتها عليهم أعظم من مفسدة الدولة العثمانية، فقد رأوا في هذه الدعوة والدولة خطرًا ينذر بعودة المسلمين إلى دينهم وجهادهم، وقد عانى الإنجليز من أنصار الدعوة القواسم الضرر والأذى الكثير بهجماتهم البحرية المتكررة الشجاعة على أسطول المملكة البريطانية وتهديدهم لسلطانها في منطقة الخليج العربي، والمحيط الهندي، ولم يتجرأ الإنجليز على رأس الخيمة ـ مركز القواسم ـ إلا بعد سقوط الدولة السعودية فقصفوها قصفًا عظيمًا وأسقطوا دولة القواسم[1].

ثامنًا: عندما حدثت المواجهة الفعلية بين دولة الدعوة (الدولة السعودية الأولى) وبين أشراف مكة بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فلم تكن هذه المواجهة تقصد الخروج على الخلافة، إنما كانت لصد عدوان أشراف مكة وغيرهم في هجومهم المسلح مرات عديدة على الدولة السعودية ورعاياها والأقاليم التابعة لها.

ولرفع الظلم الذي تعرض له النجديون من منعهم الحج سنين طويلة، وتعرضهم لصنوف العدوان وما يستتبع ذلك من إزالة مظاهر الشرك والبدع ونشر التوحيد والعدل والأمن الذي هو هدف شرعي للدعوة فزحفت جيوش الدعوة إلى الحجاز حتى دخلت مكة سلمًا بلا حرب.

فكان دخول مكة من قبل الأمير سعود بن عبد العزيز سنة (١٢١٨هـ) صلحًا بغير قتال، بل بأمان لأهل مكة وبإقرار شريف مكة (عبد المعين) على إمارة مكة بعد ما هرب منها الشريف (غالب) إلى جدة وإقرار قاضيها المعين من الدولة العثمانية فبعد ذلك ساد التوحيد وانتشرت السنة وحل الأمن والعدل... ولما شعرت الدولة التركية بالخطر على سلطانها حدثت المواجهة مع الأتراك وأتباعهم، وصارت الدولة التركية تحارب الدعوة علنًا في سبيل نصرة البدع والمحدثات والمظاهر الشركية، وقصدت القضاء على التوحيد

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص١٤٣).

والسنة وحشدت كل ما تملك لذلك، وفي هذه الحال كان هذا مبررًا كافيًا لبعض علماء الدعوة (بعد وفاة الإمام) أن يعدوا ذلك نوعًا من المحادَّة لله تعالى ولرسوله ﷺ والصد عن دينه الذي قد يكون كفرًا، وعليه فإن الإمام محمد بن عبد الوهاب لم يكن ينزع إلى الخروج على الدولة التركية أصلاً ولم يستبح القتال، إلى أن كان القتال ضرورة[١].

وبعد هذا العرض والبيان نخرج بخلاصة وهي أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان من أبعد الناس عن منهج الخوارج سواء في مسألة التكفير وما يترتب عليها من أحكام أو مسألة الخروج على الأئمة.



(١) ينظر: إسلامية لا وهابية (ص٣٠٠).

الفصل الثالث

دعوى أنها تدعو إلى الرجعية والتزمت والتعصب

تمهيد

قبل الخوض في قضايا هذا الفصل يحسن الوقوف عند بعض المسائل المتعلقة بالتعصب والتقليد والتشدد:

١ـ إذا ذكرت التعصب فإني أقصد به التعصب الذي يقصده المستشرقون وهو التمسك والاعتداد بالرأي كما سيأتي.

٢ـ العلاقة بين التعصب والتقليد في هذا الفصل تتلخص فيما يلي:

أ- إن أهل العلم إذا ذكروا التقليد فإنه يفهم من كلامهم ـ أحيانًا ـ التقليد الأعمى الناتج عن التعصب.

ب- إن التعصب يكون لهوى، أما التقليد فقد يكون عن جهل كما سيأتي.

٣ـ أن الفرق بين التعصب والتشدد، أن التعصب كما ذكرت يكون أصله في الرأي، والتشدد يكون في الفعل وقد يتعدى التشدد في تأثيره إلى الآخرين، ويقصد به المستشرقون تطبيق الأحكام على الآخرين، فقد يكون الشخص متمسكًا برأيه متعصبًا له دون أن يلزم به الآخرين، فإذا ألزم به الآخرين أصبح متشددًا.

فهذا التمهيد أراه مهمًا وأسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد.

ﭑﭑﭑ

دعوى أنها تدعو إلى الرجعية والتزمت والتعصب

لا تزال حلقات الاتهام مستمرة ومتصلة، فالمستشرقون يتهمون أفراد الدعوة بالتعصب تارة وبالرجعية تارة أخرى، وأحيانًا يتهمون الدعوة بالتزمت والتعصب.

من أقوال المستشرقين في هذه الدعوى:

المستشرق ـ باركلي رونكيير ـ يقول وهو يصف رحلته: «انضم إلينا مطوع كان شابًا شديد التزمت من الوهابيين؛ كان يضع نفسه أمام القافلة نصف ساعة قبل وقت كل صلاة، ثم يضع إبهاميه في أذنيه ويؤذن للصلاة بصوت قوي، لكن الرجال يبتسمون فقط بينما يستمرون في سيرهم، وعندما ينتهي من الأذان يكتشف أنه أضاع جهده[١] بين صخور الصحراء فيعدو سريعًا خلفنا وهو يصرخ بكلمات غاضبة»[٢].

ويقول المستشرق ـ بيتر برينت ـ واصفًا أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على المدينة: «أما في المدينة المنورة فقد علم علي بك أن جميع الزخارف التي أحاطت بقبر النبي ﷺ قد أتلفت خلال نوبات من الحماس المتزمت حتى لم يبق شيء من ألوانها الزاهية»[٣].

وقال أيضًا واصفًا لها بالتعصب: «عندها التفت إلى تلك القوة الجديدة التي ظهرت في تلك البلاد حيث كان من المفروض أن تكون خاضعة له وتحت نفوذه، وما تلك القوة إلا

---

(١) هذا ظنه وإلا ففي الحقيقة أن جهده لم يضع، بل هو طبق سنة مأجور عليها حتى هذه الصخور في الصحراء تشهد له كما وردت السنة بذلك.

(٢) عبر الأراضي الوهابية على ظهر جمل، باركلي رونكيير، ترجمة منصور الخريجي (ص١٧٧)، العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ.

(٣) بلاد العرب القاصية (ص١٠٤).

قوة الوهابيين المتعصبين الذين مدوا ووسعوا نفوذهم المباشر من نجد إلى الحجاز...»[(١)].

وقال أيضًا عن رحلة تاميزر: «وهنالك رأى الشواهد التي تشير إلى تعصب الوهابيين، فقد هدمت جميع قبور الأولياء والصالحين، وأتلفت قباب المساجد»[(٢)].

وقال عن ليتشمان: «فقد أصبح التدخين وهو أعظم الذنوب[(٣)] للوهابيين المتعصبين، يمارس خفية»[(٤)].

ويقول عن الرحالة ـ توماس ـ: «ولكن مسيرتهم الآن تعرضت لخطر من نوع آخر فقد كانوا الآن يعبرون أراضي (الإخوان) المتعصبين الذين اتبعوا تعاليم الوهابيين وكان هؤلاء مستعدين لقتل توماس بصفته كافرًا، وكذلك جميع أفراد جماعته بصفتهم ملحدين»[(٥)].

ويقول إليكسي فاسيلييف: «وفي القرن العشرين فقط، عندما ذابت أو أمّحت المظاهر المتعصبة جدًا في الوهابية فقدت الحركة نفسها شكلها الطائفي المتشدد»[(٦)].

وقال أيضًا: «وانتشر على نطاق واسع الرأي القائل بأن الوهابيين قد منعوا تعاطي القهوة[(٧)]، إلا أن الوقائع تدحض هذه الأقوال، ولكنه لا يستبعد أن بعض المتعصبين جدًا قد رفضوا هذا الشراب»، وقال أيضًا: «واتخذ التعصب بين الوهابيين أشكالاً

---

(١) المرجع السابق (ص١٠٧).

(٢) المرجع نفسه (ص١٢٤).

(٣) هذه مبالغة ويوجد من الذنوب ما هو أعظم من التدخين كالشرك والكبائر.

(٤) المرجع نفسه (ص٢٢٨).

(٥) المرجع نفسه (ص٢٦٤).

(٦) تاريخ العربية السعودية (ص١٠٤).

(٧) مسألة تحريم القوة قال بها بعضهم، وللشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رد على أحدهم فيما يتعلق بالقهوة.

متطرفة جامحة»، وقال: «وفي الوقت نفسه صار التعصب وسيلة لتلاحم وانضباط الوهابيين»[١].

وقال في موضع آخر: «وعندما وضع مذهب محمد بن عبد الوهاب الوهابيين على طرفي نقيض مع سائر المسلمين حولهم إلى طائفة متراصة وأجج التعصب لديهم»[٢].

وقد كتب المستشرق رايمون: «رأينا مؤخرًا في المصير الرهيب الذي كان من نصيب ضريح الإمام الحسين مثالاً مرعبًا على قساوة تعصب الوهابيين»[٣].

وقال إليكسي: «كانت تصرفات الإخوان[٤] تبدو للوافدين الأوروبيين وللمتعلمين من مستشاري الملك نوعًا من «الغلو في التعصب» وحتى «الوحشية»، غير أنها مع ذلك كانت تنم عن سعي الجماهير الواسعة من عرب الجزيرة إلى الحياة البسيطة التي دعت إليها الوهابية»[٥].

ويقول لوريمر: «فالوهابيون من جانبهم كانوا متعصبين أشد التعصب»[٦].

ويصف لوريمر أتباع الدعوة بضيق الأفق والجمود فيقول: «ومن ناحية أخرى يجب القول بأن معظم الوهابيين ممن لم يتفهموا الأمور في مبادئها العامة والشاملة كانوا يتصرفون بشكل يتسم دائمًا بضيق الأفق والجمود»[٧].

ويقول برايدجس: «إن ملك فارس ينظر إلى «الوهابيين» نفس النظرة للحكومة

----

(١) المرجع السابق (ص١٠٨).

(٢) المرجع نفسه (ص١١١).

(٣) المرجع نفسه (ص١٣٢).

(٤) الإخوان عند المستشرقين وغيرهم هم من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٥) المرجع نفسه (ص٣٥٦).

(٦) تاريخ البلاد السعودية، لوريمر (ص٢٨).

(٧) المرجع نفسه (ص٢٩).

البريطانية، إذ إنهم ـ أي الوهابيين ـ عدوانيون ومتعصبون»(١).

ويقول ـ لويس بلي ـ: «سمعت أخيرًا أن مبعوثين وشيوخًا قد أُرسلوا من العاصمة إلى الإحساء للإنكار على الناس حياتهم المنحلة ولتطبيق المحافظة السلفية الوهابية المتعصبة»(٢).

ويقول أيضًا: «باختصار، فإن السلفية الوهابية الخالصة تبدو وجهًا من وجوه الإسلام قاصرًا على الفقراء والمناطق النائية، ورغم أن الأهداف العسكرية والسياسية قد تجعل السلفية والوهابية تستمر في الوجود بشكل مظهري بين المجتمعات الثرية إلا أنه عند الاحتكاك بالحضارة والتجارة، فإن طبيعة الأمور في مثل هذه المناطق تجعل السلفية الوهابية في نهاية الأمر مجرد اسم»(٣).

أما لوثروب ستودارد الأمريكي فيقول: «فهم على إيغالهم في الاعتصام بالفروض الدينية وقواعد الآداب كانوا على ضعف شديد في المدارك وبعد في التعصب، فلذلك كان من حسن حظ الإسلام أنهم باءوا بخسران سلطتهم السياسية، فقصروا مساعيهم ودعوتهم على التعاليم الدينية والأدبية فحسب»(٤).

ويقول لي ديفيد كوبر: عن الوهابيين: «إن هذه العملية قد أذكت نار التعصب لدى أنصار الدعوة»(٥).

ويقول بوركهاردت: «ويمكن أن يقال باختصار شديد: إن ديانة الوهابيين ديانة

----

(١) الشيخ محمد في الرؤية الاستشراقية (ص٩٥).

(٢) رحلة إلى الرياض (ص ٦).

(٣) المرجع نفسه (ص ١٠٣).

(٤) حاضر العالم الإسلامي (١/ ٢٦٤).

(٥) الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب (ص٩٤).

محمدية متزمتة»[١].

وقال أيضًا عن أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ولم تسمح لهم روح التعصب، التي غذاها رئيسهم بكل ما وسعه، أن يفرقوا بين أمور لا يعرفون عنها إلا معرفة غير صحيحة»[٢].

وقال أيضًا عنهم: «وقد ألهبت تلك المعاداة الفظة فيهم روح التعصب الشديد الذي جعلهم مرعبين لخصومهم، وأسهمت بذلك في تسهيل نشرهم لعقيدتهم»[٣].

وقال أيضًا عنهم: «فإن شقاء المجاعة في البلاد المقدسة سيؤثر بقوة على أولئك المتدينين المتعصبين الذين برهنوا مرارًا على تقديسهم لتلك الأماكن واحترامهم لسكانها»[٤].

وقد وصف لويس دوكورانسي أتباع الدعوة بالتعصب إلى أبعد الحدود فقال: «ولكن الصفة التي اتصف بها الوهابيون في الشرق، أضرت بهم في بلاد كثيرة، وهذه الصفة هي التعصب، فالوهابيون متعصبون إلى أقصى الحدود»[٥].

وقال أيضًا: «وقد تكون مجزرة الإمام الحسين أقصى ما وصل إليه التعصب الديني»[٦].

ويصف أيضًا شارل هوبير هذه الدعوة المباركة بالتزمت[٧] ووصفها كذلك

---

(١) مواد لتاريخ الوهابيين (ص٩).

(٢) المرجع نفسه (ص١٥).

(٣) المرجع نفسه (ص٧٥).

(٤) المرجع نفسه (ص١٠٦).

(٥) الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ (ص٥٧).

(٦) المرجع نفسه (ص٦٦).

(٧) ينظر: رحلة في الجزيرة العربية الوسطى، شارل هوبير، ترجمة: إليسار سعادة، (ص٢٨)، مطبعة ألف، ألف، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

بالتعصب[(١)].

أما جان جاك فقد افترى عليهم بوصفهم بالتعصب والرجعية فقال: «إن نهضة الإخوان الأخيرة هذه بالغة الخطورة لأن هؤلاء المحاربين الوهابيين المتعصبين قد عارضوا دائمًا بشدة إدخال التكنيك الغربي إلى المملكة، وكل تقدم يبدو في نظرهم مفسدًا، لذلك كان على الملك أن يحافظ باستمرار على التوازن الدقيق بين مطالب رعاياه الرجعيين المخلصين وبين آمال أولئك الذين يناصرون التقدم»[(٢)].

ولم ينته من الافتراء عليهم بهذا الوصف حتى يصف أتباع الدعوة بالتزمت فيقول: «إن منظمة الإخوان ما زالت الأداة الحقيقية والأساسية الكامنة وراء قوة النظام واستمراره بفضل ميزتها الدينية المتزمتة وولائها للعائلة المالكة»[(٣)].

وينقل لنا سانت جون فيلبي وصف بالجريف لهم بالتعصب فيقول: «هناك مطوّعون أو كما يميل بالجريف إلى تسميتهم بالمتعصبين»[(٤)].

ويقول الأستاذ/ إبراهيم الحيدري عن فيلبي ـ بعد أن اعتنق الإسلام[(5)] وسمى نفسه نفسه عبد الله ـ: «وقد ذكر، في مذكراته أن الإسلام، كان قد اجتذبه، منذ أيامه الأولى، حينما كان في الهند، إذ تأثر بما فيه من بساطة في تناول حقائق الحياة الخالدة وفلسفتها، وبدا له المذهب الوهابي هو الدين المثالي، الذي لم يجد في تعصب أتباعه ما يسوؤه

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص٧٤).

(٢) جزيرة العرب، جان جاك (ص٧٤).

(٣) المرجع نفسه (ص٧٥).

(٤) بعثة إلى نجد، سانت جون فيلبي، ترجمة: عبد الله العثيمين، (ص١٩٢)، العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.

(٥) مختلف في حقيقة إسلامه.

وينفره»[١].

ونواصل السير لنقف عند دائرة المعارف الإسلامية وهي تفتري على هذه الدعوة وأتباعها وتكيل لهم سيلاً من التهم كذلك فتقول عن أتباع الدعوة: «بل هم أشد المسلمين تعصبًا وتزمتًا»[٢].

وفي وصفها لقبائل الدواسر تقول: «وهم يعيشون حيثما تيسر لهم على السلب، ويقال: إنهم أكثر الوهابيين تعصبًا وخطورة»[٣]. ويفهم من قولهم هذا أن صفة التعصب ملازمة لأتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلا أن هؤلاء يمتازون بنسبة زائدة من التعصب.

وكذلك ليس وصف التزمت ببعيد عن وصف التعصب فتقول: عنهم كذلك: «وهم أكثر فرق الإسلام الحديث تزمتًا»[٤].

وقال كرن ـ المستشرق الألماني عن بعض سكان سومطرة الإندونيسية: «... فامتلأت نفوسهم بالحماسة لتزمت الوهابيين»[٥].

موقف الإمام محمد بن عبد الوهاب من هذه الدعاوى:

وبعد هذا العرض لأقوال المستشرقين يُلاحظ أن أكثرهم قد وصف هذه الدعوة المباركة بالتعصب ثم التزمت ثم الرجعية والجمود وفي الحقيقة أن الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ قد أدرك منذ فترة مبكرة أن أعظم أسباب الانحراف الذي وصل إليه المسلمون في ذلك

---

(١) صورة الشرق في عيون الغرب، إبراهيم الحيدري (ص٧٦)، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
(٢) الدائرة الأولى ١٢/ ٢٨٥، السنة، فنسنك، نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٦١، (ص٣٢٩).
(٣) الدائرة الأولى ٩/ ٣٠٦، دواسر، فاير، نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٦١، (ص ٣٣٠).
(٤) الدائرة ٦/ ٤١٧، بدعة، روبصون، نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٦١، (ص ٣٣٢).
(٥) الدائرة ٦/ ٤١١، بدري، كرن، نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٦١، (ص ٣٤٨).

الوقت هو التقليد الأعمى والتعصب لآراء أصحاب الكتب المتأخرة في المذاهب الفقهية المختلفة، حتى وإن كانت هذه الآراء عارية من الدليل، بل حتى وإن كانت مناقضة للنصوص فحرص الإمام رحمه الله على الوصية باتباع الكتاب والسنة، والحرص على معرفة الدليل وعدم التعصب للمذاهب الفقهية إذا عارضت النصوص الصحيحة الصريحة، وأوضح الإمام أن ذلك التعصب قد يؤدي إلى الشرك والعياذ بالله[1].

بل وصل الأمر إلى أن عامة العلماء في ذلك الوقت فيهم تعصب لأئمتهم وتقليد محض لمذاهبهم، حتى كان الناس في الحرم الشريف يصلون أربع جماعات، الأحناف لهم جماعة، وكذلك المالكية، والشافعية، والحنابلة، وهذا من التفرق والاختلاف الذي نهانا الله عنه، وحذرنا منه رسول الله ﷺ ولو رأى الأئمة الأربعة ذلك لساءهم وأحزنهم، إذ هو خلاف أمرهم ونهيهم.

والشيخ رحمه الله مع ذلك لم يدع الاجتهاد المطلق لنفسه، بل عدَّ نفسه منتسبًا ومتبعًا لمذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولكن متى ما كان الدليل مع غيره من العلماء تبع الدليل ونبذ التعصب والتقليد، وهذا هو الذي أمرنا الله، وأمرنا رسوله ﷺ به، وكذلك هو ما دعا إليه أهل العلم أجمعون،وأقوالهم في ترك تقليدهم والتعصب لآرائهم واتباع الدليل إذا استبان مشهورة محفوظة[2].

والمنصف يرى الشيخ وتلاميذه ممن مهدوا في هذا العصر لهدم صروح التعصب المذموم للمذاهب الفقهية الأربعة السائدة بين أهل السنة والجماعة، والدعوة إلى التوازن في الأخذ بأقوال الأئمة المتبوعين، فلا هجران ولا ورفض لهذه الثروة الفقهية التي خلفها هؤلاء الأئمة وأتباعهم، ولا غلو في التقليد، بل متى ما كان الدليل صريحًا بينًا،

---

(١) ينظر: مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٥٨).

(٢) ينظر: كشف الأكاذيب (ص٨٥).

وجب المصير إليه وترك المذهب وهذا هو ما أمرنا الله به وأمرنا رسوله ﷺ، وكان عليه السلف، ودعا إليه هؤلاء الأئمة الأربعة، وغيرهم من أعلام علماء المسلمين[(١)].

والآن أعرض بعضًا من أقوال الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي تبين لنا موقفه من التقليد والتعصب ومنها قوله: «ينبغي للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطئوا، ولكن لا يتخذهم أربابًا من دون الله فهذا طريق الضالين، أما طرح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم»[(٢)].

ويقول كذلك: «إذا اختلف كلام أحمد وكلام الأصحاب، فنقول في محل النزاع التراد إلى الله وإلى رسوله ﷺ، لا إلى كلام أحمد ولا إلى كلام الأصحاب، ولا إلى الراجح من ذلك، بل قد يكون الراجح والمرجوح من الروايتين والقولين خطأ قطعًا»[(٣)].

ويقول أيضًا: «... ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأئمة وقول جمهورها»[(٤)].

ويقول رحمه الله مبينًا موقفه من كتب المتأخرين: «... وأما المتأخرون رحمهم الله، فكتبهم عندنا نعمل بها بما وافق النص منها، وما لا يوافق النص لا نعمل به»[(٥)].

كما أشار الإمام إلى أن أقوال العلماء قد تتعارض، ووضح رحمه الله ماذا ينبغي عند حدوث ذلك، وأحال إلى ما ذكره البهوتي في شرحه الإقناع، حيث قال: «اعلم رحمك الله

---

(١) ينظر: المرجع نفسه (ص٨٦).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ١٢) نقلاً عن كشف الأكاذيب (ص ٨٧).

(٣) الدرر السنية (٤/ ٨).

(٤) مؤلفات الشيخ (٥/ ١٠٧).

(٥) المرجع نفسه، ونفس الجزء والصفحة.

أن الترجيح إذا اختلف بين الأصحاب، إنما يكون ذلك بقوة الدليل من الجانبين»[١].

وقد فصل وبين ـ رحمه الله ـ في حدود الإنكار في مسائل الخلاف فقال: «أما قول من قال لا إنكار في مسائل الاجتهاد، فإن أراد القائل مسائل الخلاف فهذا باطل يخالف إجماع الأئمة، فمازال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف وأخطأ كائنًا من كان... وإذا أريد مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب، فهذا كلام صحيح»[٢].

وقد أكد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في رسائله على خطورة التعصب، وأن هذه الخصلة ربما تقود إلى اتخاذ العلماء أربابًا من دون الله، ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: «قال الله تعالى: ﴿ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ﴾ [التوبة:٣١]، وفي حديث عدي بن حاتم أنه قال للنبي ﷺ: إنا لسنا نعبدهم، قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟» قلت: بلى، قال: «فتلك عبادتهم». رواه الإمام أحمد والترمذي وغيره، وقال أبو العالية: إنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، فقالوا: «لن نسبق أحبارنا بشيء، فما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم...»[٣].

ويوضح الشيخ أيضًا ضوابطه في التعصب، فيقول لأحد القضاة: «ولا خلاف بيني وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتباعهم، وإنما الشأن إذا اختلفوا: هل يجب عليّ أن أقبل الحق ممن جاء به، وأردّ المسألة إلى الله ورسوله، مقتديًا بأهل العلم؟ أو أنتحل بعضهم من غير حجة، وأزعم أن الصواب في قوله؟ فأنتم على هذا الثاني، وهو الذي

---

(١) المرجع نفسه (٥/ ١٤٠).

(٢) الدرر السنية (٤/ ٨).

(٣) مؤلفات الشيخ (٥/ ٣٠٥).

ذمّه الله، وسمَّاه مشركًا، وهو اتخاذ العلماء أربابًا..»[١].

ونبه الإمام إلى أن من وسائل ترك التعصب والتقليد الأعمى، أن يدرك المرء أن العلماء أنفسهم اعترفوا بإمكان حدوث الخطأ والزلل منهم، واستشهد بقول الشافعي - رحمه الله -: «... لابد أن تجدوا عني ما يخالف الحديث، فكل ما خالفه، فأشهدكم أني قد رجعت عنه»[٢] كما استشهد بقول العلامة منصور البهوتي - شارح الإقناع -: «... ومن عثر على شيء مما طغى به القلم، أو زلت به القدم، فليدرأ بالحسنة السيئة، ويحضر بقلبه أن الإنسان محل النسيان..»[٣].

وبين رحمه الله أن كتب المتأخرين على القول بمنع التقليد الأعمى والنهي عنه[٤].

وقد أقسم الشيخ رحمه الله أنه إذا أتاه الحق يقبلنَّه على الرأس والعين ويترك قول كل إمام اقتدى به، ما عدا رسول الله ﷺ فإنه لا يفارق الحق[٥].

ونستطيع أن نقول: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان يحب أن يرى الدين في صورته الأصلية، وكان مولعًا باتباع السلف الصالح في العقائد والأعمال، وكان يتبع مذهب إمام أهل السنة أحمد بن حنبل في الفروع الفقهية، لكنه إذا وجد حديثًا يخالف مذهب الحنابلة فلا يمنعه مانع من العمل بذلك الحديث.

وكذلك كان رحمه الله لا يجبر الآخرين على اتباعه، فهو يطلب من الشافعي أن يكون شافعيًا ومن الحنفي أن يكون حنفيًا.

ومما نقل عنه أنه قال: «وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة في

---

(١) المرجع نفسه (٥/ ٢٥٨).

(٢) المرجع السابق (٥/ ٢٥٧).

(٣) المرجع نفسه (٥/ ١٤٠).

(٤) ينظر: المرجع نفسه (٥/ ٢٧٧).

(٥) ينظر: المرجع نفسه (٥/ ٢٧٦).

الفروع ولا ندعي الاجتهاد، وإذا بانت لنا سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ عملنا بها، ولا نقدم عليها قول أحد كائنًا من كان»[1].

وقال أيضًا رحمه الله: «ونحن أيضًا في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ولا ننكر على من قلَّد أحد الأربعة دون الغير لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة... ولا نستحق الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيه. إلا أننا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذناه وتركنا المذهب كإرث الجد والإخوة فإنا نقدم الجد وإن خالف مذهب الحنابلة»[2].

أقوال أهل العلم في بيان موقف الشيخ من التعصب:

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «إن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وغيره من أئمة الدعوة لم يقتصروا على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، بل استفادوا منها ومن غيرها من الكتب السليمة المفيدة المتمشية على منهج السلف، عرف هذا من طالع كتبهم»[3].

وقال الدكتور محمد السلمان: «والشيخ وعلماء دعوته يصرحون بأن مذهبهم في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وفي الفروع مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ويذكرون أن أصول الدين لا اجتهاد فيها أما في الفروع فهم لا يلتزمون بمذهب الإمام أحمد وإنما يقبلون كلمة الحق من أي إمام كان، لذلك نجدهم لا يتعصبون للمذهب الحنبلي ولا يقدمونه على نص قاطع، فنجدهم ينقلون أقوال الأئمة الأربعة ليقرروا بعد ذلك الرأي المرجح عندهم.

----

(١) الهدية السنية (ص ٩٩)، نقلاً عن محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم (ص ١٣٤).

(٢) تاريخ نجد للألوسي (ص ٥٤).

(٣) من أعلام المجددين، للشيخ صالح الفوزان (ص٨٤)، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

ولا يقال: إن تأثر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأحمد بن حنبل وابن تيمية وتلميذه ابن القيم تقليد لهم وإنما هو موافقة الحق للحق»(١).

ويقول الأستاذ/ عمر المدني(٢): «كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب حاسمًا وواضحًا في التصدي للتعصب المذهبي وما قاد إليه من ركون الفكر إلى التقليد.

والشيخ يفرق بين التعصب الذي هو اعتناق رأي بلا حجة وبين الاتباع الذي يوافق الحجة ويدعو لها كائنًا من كان القائل بها».

ولقد هاجم الشيخ التعصب، وكشف القناع عن قضية جوهرية تفيض بها آيات القرآن الكريم، تلك القضية هي أن الأمم الغابرة التي جحدت برسالات السماء وكذبت المرسلين إنما قادها إلى هاوية الكفر والضلال التعصب للآباء، فالله تعالى يقول: ﴿ٱ ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ﴾ [البقرة:١٧٠]. وقوله جل شأنه: ﴿ٱ ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ﴾[الزخرف: ٢٣، ٢٤].

وقال عز وجل: ﴿ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ﴾ [لقمان:٢١].

فالمقلد المتعصب إنما ينزل أولئك الذين يقلدهم منزل الربوبية من دون الله، كما جاء ذلك صريحًا في قوله تعالى: ﴿ۇ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ﴾ [التوبة:٣١].

وقال أحمد بكير محمود عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يدفع عنه وعن دعوته التعصب: «وبعد نشر آثاره تبين أن الرجل عالم مصلح وأنه ليس كما يتبادر إلى أذهان

---

(١) حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، د. محمد عبد الله السلمان (ص٣٧).

(٢) ينظر: مقال من مجلة آفاق الإسلام، العدد الثالث (ص٢٠٦) بتصرف واختصار.

الناس مشرقًا ومغربًا من كون حركته حركة تعصب ثقيل. وإن الرجل لا علم له. بل هو عالم مصلح وإن من ينقده اليوم أمي جاهل، نعم إذا كان عند البعض مغالاة في التحزب أو التعصب إلى آرائه فالرجل بريء من أنصار يبالغون في هذا التعصب»(١).

من أقوال المستشرقين:

ومع ذلك فلا غرابة أن نجد من المستشرقين من نطق بالحقيقة فقد اعترف المستشرق الألماني «شاخت» بذلك في دائرة المعارف الإسلامية فقال: «وينكر الوهابية، وأولهم إمامهم ابن عبد الوهاب التقليد»(٢).

وهذه الباحثة الأمريكية (نت) تقول: «لم يكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب متعصبًا، لقد كان متوازنًا ومنطقيًا في مناقشاته وكان عالمًا كبيرًا»(٣).

موقف الشريعة من التعصب:

إن الشريعة قد ذمت أنواعًا من التعصب، وأعظم هذه الأنواع: التعصب لآراء الآباء والعلماء المخالفة للكتاب والسنة والتي قد تصل إلى الشرك كما مرَّ معنا.

ومن أنواع التعصب المذموم: التعصب القبلي أو التعصب الطائفي، فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ﴾ [الحجرات:١٣]، وقال سبحانه: ﴿ۈ ۇ ۆ﴾ [الحجرات:١٠]، وقال النبي ﷺ موضحًا أنه من أمور الجاهلية: «**لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى**»(٤)، والرسول

---

(١) إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي، أحمد بكير محمود (ص٩١)، دار قتيبة، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية (ص٣٧١)، العدد ٦١.

(٣) مجلة الدعوة العدد ١٨٩٩ (ص٣٣).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٠٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٨٨) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٧٠٠).

ﷺ قد عتب كثيرًا على أبي ذر عندما عيَّر بلالاً بأمه (أنه ابن السوداء) فوصفه الرسول ﷺ بأنه امرؤٌ فيه جاهلية[١] وقال أيضًا ﷺ موضحًا أن من أمور الجاهلية: «**الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب**»[٢].

من هذه النصوص نفهم أن العقيدة الإسلامية تزيل الفروقات القبلية وتنبذ التعصب الطائفي، فالمسلمون كلهم أمة واحدة «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»[٣]، و«**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»[٤].

فالإسلام الصحيح ينأى بأتباعه ويرفعهم عن هذه الأمور التي وصفت بأنها جاهلية، وإن كانت الشريعة وظفت التعصب لغرض مشروع، ففي فتح مكة جعل النبي ﷺ لكل قبيلة راية، فهذا التوزيع بالقبائل يثير الحمية والقوة والحماس بين هذه القبائل ويجعل الناظر إليها يشعر بكثرة الأتباع للدين الحنيف مما يثير الرعب في قلوب الأعداء من قريش وبالفعل كان لهذا الموقف أثره وبخاصة عندما مرت الكتائب أمام أبي سفيان وكان ينظر إليها بتعجب واستغراب مما جعله ينذر قومه ويحذرهم من جيش النبي ﷺ.

ولا شك أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد انتشرت في الشرق والغرب وفي بلاد الهند والسند بل وفي جميع القارات لها أثر ولله الحمد، وما هذا إلاَّ دليل على أنها دعوة صادقة بعيدة عن التعصب الطائفي وإلا لم تبلغ هذا المبلغ.

---

(١) ينظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية برقم (٣٠).

(٢) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير برقم (٨٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٨٧٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد، برقم (٤٨١)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين برقم (٦٥٨٥).

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين، برقم (٦٥٨٦).

وثمة نوع من الثبات على الحق والحماس من أجله وبه تتحقق عزة المسلم، فالله سبحانه وتعالى وصف عباده المؤمنين بالعزة على الكافرين فقال سبحانه: ﴿ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ﴾ [المائدة:٥٤].

فينبغي للمسلم أن يشعر بعزته الإسلامية ويعلن شدة انتمائه لهذا الدين ويفتخر به بين الملأ، ليدخل تحت قوله تعالى: ﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ﴾ [المنافقون:٨].

وأظن أن هذه العزة التي يبغضها أعداؤنا من مستشرقين وغيرهم ويصفونها بالتعصب، ويخصون التعصب للدين بالازراء والازدراء والثلب والسب والطعن والقدح، ويعدونه منبع الشرور، ومولد الفتن وعدو المدنية ومنار الحروب ومقطع الصلات بين الأمم، بل استعملوا لفظه للسباب والشتيمة، ويزعمون أن صاحبه خابط في ظلمات الجهالة، والتعصب غشاوة على عينه، أو حجاب كثيف يحول بينه وبين نور المعرفة.

فليت شعري، هل يرى هؤلاء الدين المطلق هو منبع الشرور ومصدر الرذائل، والعقبة الكئود في طريق المعارف؟ كيف وجلهم أو كلهم ينتسب للدين تشرفًا به[١]، ولو رُمي بلقب الكفر تقوم قيامته ويتبرأ من هذا اللقب الشائن، بل إن عقلاء الكفار من هؤلاء المتمدنين يعترفون بفضل الدين، وإن كانوا لا يدينون به، ويشهدون أنه المهذب للنفوس[٢]، الرادع لها عن الشرور.

يا ترى ما الغرض من وراء ذم التعصب الديني؟[٣].

الأكثرية تعلم أن المنفعة مدار كل عمل عند هؤلاء القوم، فأما انتفاعهم من

---

(١) الدين الذي هو يعتنقه ويعتقد صحته.

(٢) فعند الغرب أن المتدين يحكمه دينه، أما الذي لا دين له فهو طائش.

(٣) ينظر: مجلة المنار ـ العدد٢٦.

التعصب الطائفي وتربية الأمة على حب جنسهم وطائفتهم مهما اختلفت أديانهم ومذاهبهم، فهو أنهم تمكنوا به من توحيد أممهم، وهو الذي نقاسي اليوم عناءه في بعض بلاد المسلمين التي فقد منها هذا التوحيد.

وأما انتفاعهم من التعصب الديني فهو أنهم شكلوا الجمعيات الدينية وجعلوها من آلات الفتوح، وأرسلوها إلى آسيا وأفريقيا جماعات متفرقة تحت حماية دولهم، فعملت ما لا يعمل السيف، وإن قتل أحدهم ربما استعمرت دولة بأكملها.

يرمي الأعداء المسلمين بالتعصب الديني الذميم، أي الإفراط فيه المؤدي إلى إيذاء المخالف، تحملهم عليه الأغراض السياسية.

ومن يجهل التاريخ ينخدع بما يلغط به الأعداء، ويصدق جرائدهم فيما تزعم من براءة أوروبا من التعصب الديني، لكن أسفار التاريخ على عِلَّاتها واختلافها تشهد على أوروبا بالتعصب المشوه منذ دخلت في النصرانية إلى ما بعد الحرب الصليبية، وبالتعصب المموه في هذه القرون الأخيرة. أما المسلمون فقد كانوا في شبيبة دينهم وعنفوان قوتهم يحترمون مخالفيهم في الدين، ويساوون بينهم وبين أنفسهم في الحقوق.

فهل وصل الأوربيون في نهاية مدنيتهم إلى شيء مما كان عليه المسلمون في بدايتهم وبداوتهم من المساواة؟.

كلا إنهم لا يحتلون بلادًا ولا يطئون أرضًا إلا ويجعلون أنفسهم فوق كل شريعة وقانون، وهو ما يسمونه بالامتياز، سواء كان حلولهم في الأرض حلول فتح واستعمار أو حلول ارتياد واتجار.

لم يقف المسلمون عند هذا الحد من المساواة والعدل، بل تخطوه إلى حد أبعد منه، وهو معاملتهم للمخالف معاملة الأكفاء فيما يتعلق بالشرف والفضل.

فهذه الدولة العلية العثمانية وهي في أوج عزها ومنتهى قوتها، ما كان من السلطان محمد الفاتح مع الروم يوم فتح القسطنطينية، إلا إقراره للبطريق على امتيازه وامتياز طائفته، وإعطائهم الحرية الكاملة، ومنحهم الرعاية الشاملة، وتسجيل ذلك في قوانين

المملكة، وجعله عهدًا مُتبعًا في الدولة لا ينقض.

وخلاصة القول:

أن الغرب يذمون التعصب الديني ليخدعوا الشرقيين عمومًا والمسلمين خصوصًا، فيحلوا رابطتهم الدينية التي هي أقوى الروابط الجامعة بينهم على اختلاف لغاتهم وأجناسهم، ويعموهم عن تعصبهم وتحمسهم.

فالمسلمون يعتزون بدينهم ويعتصمون بحبل الله المتين، ولا تتعدى هذه العزة حدود العدل والإنصاف مع المخالفين لهم في الدين.

فإن إيذاء أي مخالف من ذمي أو معاهد أو مستأمن - غير الحربي - حرام في الدين وخروج عن هديه القويم، سواء كان الإيذاء بالقول أو بالفعل. ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ﴾ [النحل: ٩٠].

وفي نهاية المطاف يتضح أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم تَدْعُ إلى التعصب المزعوم عند الأعداء من المستشرقين وغيرهم، بل هذه الدعوة لها موقف من التعصب والتقليد بالتفصيل السابق، وهي كذلك دعوة لها مرجعية ترجع إلى كتاب الله وسنة رسوله الله ﷺ وترجع إلى ما كان عليه السلف الصالح، وهي دعوة لها من الثبات والرسوخ ولا تتغير في أصولها وثوابتها بعيدة عن التغيير الذي يميع حقائق الدين وثوابته بعيدة عن التنازلات والمساومات فديننا لا يقبل المساومة ولا التنازل عن المبادئ والأصول كما قرر ذلك القرآن في قوله تعالى: ﴿ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ﴾[الكافرون:٦].

الفصل الرابع

دعوى التطرف والعنف
وعدم التسامح

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دعوى القتل وإراقة الدماء.

المبحث الثاني: دعوى التشدد وعدم التسامح.

المبحث الأول
دعوى القتل وإراقة الدماء

التزمت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الأسلوب السلمي البعيد عن العنف، المعتمد على الإقناع والتأثير الفكري فكان شعارها هو المبدأ الذي شرعه الله: ﴿ہ ہ ﮯ ﮰ ه ه ھ﴾ [النحل:١٢٥]، ولكن الزعامات المحلية والإقليمية رأت في الإصلاح تهديدًا لنفوذها فواجهت ذلك الأسلوب السلمي للدعوة بأسلوب المطاردة والعنف والقتل، ولما كانت البلاد آنذاك لا تخضع لسلطة مركزية، وإنما كان لكل قبيلة شيخها ولكل قرية أميرها، ولأن الدعوة حوربت من بعض تلك الزعامات فقد أبرم الشيخ محمد بن عبد الوهاب عهدًا مع أمير الدرعية محمد بن سعود على نشر مبادئ الدعوة وحماية دعاتها فتم بين الرجلين ما يعرف تاريخيًا باتفاق الدرعية عام ١١٥٧هـ والذي يعد عند المؤرخين البداية الحقيقية لقيام الدولة السعودية الأولى واستمر الشيخ بدعم من الأمير محمد بن سعود يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة.

ومع كل هذا فإن هذه الدعوة لم تسلم كذلك من وصفها بالعنف والقتل وإراقة الدماء.

من أقوال المستشرقين:

ومن المواقف السلبية ما ورد عن بعض المستشرقين من وصف هذه الدعوة وعلمائها وأتباعها بالصفات السابقة ونذكر الآن شيئًا من أقوالهم:

القتل وإراقة الدماء:

قال المستشرق أليكسي: «وقمع الوهابيون المقاومة بمنتهى القسوة، فقد كتب ابن غنام إن الوهابيين عندما عادوا ذات مرة من الواحات وجدوا أكثر الرجال في بيت من

البيوت وكانوا ثلاثمائة نفس فقتلوا جميعًا»[1].

وإليك هذا الوصف أيضًا نقلاً عن المستشرق يورد روسو: «هجم ١٢ ألف وهابي فجأة على ضريح الإمام الحسين، وبعد أن استولوا على الغنائم الهائلة التي لم تحمل لهم مثلها أكبر الانتصارات، تركوا كل ما تبقى للنار والسيف... وهلك العجزة والأطفال والنساء جميعًا بسيوف هؤلاء البرابرة، وكانت قساوتهم لا تشبع ولا ترتوي فلم يتوقفوا عن القتل حتى سالت الدماء أنهارًا... وبنتيجة هذه الكارثة الدموية هلك أكثر من أربعة آلاف شخص... ونقل الوهابيون ما نهبوه على أكثر من أربعة آلاف جمل»[2].

وقال لويس دوكورانسي في وصف تتضح فيه شدة المبالغة: «وفجأة ظهرت ستة آلاف ناقة يمتطيها اثنا عشر ألفًا من الوهابيين الذين قضوا بسهولة على المقاومة التي واجهتهم. وقد أثارتهم المقاومة فعمدوا إلى القتل بدون تمييز، حتى أنهم بقروا بطون النساء الحوامل لكي لا يبقوا على أي ذكر في البلدة، وقد قيل إن عدد الضحايا في ذلك اليوم بلغ الثلاثة آلاف»[3].

وقال إليكسي أيضًا: «... بعث عبد العزيز إلى عمان نسخة من مؤلف لمحمد بن عبد الوهاب، وطالب بتبني المذهب الوهابي والخضوع لسلطة الدرعية، وفهم العمانيون وأغلبهم من الأباضية مضمون الكتاب بشكل فريد، فقد كتب المؤرخ العماني ابن رزيق ما معناه أن هذا الكتاب يحلل قتل جميع المسلمين غير المتفقين مع محمد بن عبد الوهاب والاستيلاء على أملاكهم واستعباد أبنائهم واستحلال نسائهم دون موافقة أزواجهن»[4].

---

(١) تاريخ العربية السعودية (ص١٢٢).

(٢) المرجع نفسه (ص١٣٣).

(٣) الوهابيون (ص٧٧).

(٤) تاريخ العربية السعودية (ص١٤٣).

وقال جوهان بوركهاردت: «ولقد اتخذ الوهابيون قاعدة أساسية في سبيل نشر دعوتهم وهي أن يقتلوا كل أعدائهم المتسلحين سواء كانوا مبتدعة أجانب، أم من الحاضرة أو من العرب أنفسهم الذين يعارضون الزعيم الأكبر أو يتمردون عليه»(١).

قال المستشرق ميشو: «إن شعار الوهابية هو (العقيدة أو الموت) وإنهم كانوا يخيرون المغلوبين بين القتل، وبين متابعتهم»(٢) وقال لويس دوكرانيسي موضحًا موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من المخالفين لهم: «إن المسلمين الذين يبقون على التعاليم السائدة، ليسو سوى وثنيين يستحقون القتل لأنهم خاطئون بحق الجلالة، ومدنسون للعبادة التي هي من حق الله»(٣).

وقال برنارد لويس: «وقد فرض الوهابيون معتقداتهم أينما استطاعوا بكل شدة وضراوة فهدموا المقابر وانتهكوا حرمة ما أسموه بالوثنية الزائفة والأماكن المقدسة، وذبحوا أعدادًا كبيرة من الرجال والنساء والأطفال الذين لم يتمكنوا من الامتثال لمعاييرهم في نقاء العقيدة الإسلامية وأصالتها. ومن الممارسات الأخرى التي أخذ بها ابن عبد الوهاب إدانته للكتب وحرقها. وكانت تلك تشمل أساسًا كتبًا دينية إسلامية وكتبًا عن الشريعة تتعارض مع المذهب الوهابي. وكثيرًا ما اقترن حرق الكتب بقتل الذين ألفوها أو نسخوها أو علَّموها دون محاكمة»(٤).

موقف الإمام محمد بن عبد الوهاب من دعوى القتل وإراقة الدماء:

رد الإمام محمد بن عبد الوهاب على هذه الدعوى في مواقف كثيرة من خلال الكتب

---

(١) مواد لتاريخ الوهابيين (ص٧٤).

(٢) تاريخ البلاد العربية السعودية، للعجلاني (١/ ٣١٠).

(٣) الوهابيون (ص٥٩).

(٤) الإسلام وأزمة العصر (ص١٤٠).

والرسائل ومن ذلك قوله رحمه الله: «وأما القتال: فلم نقاتل أحدًا إلى اليوم، إلا دون النفس والحرمة، وهم: الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا ممكنًا، ولكن: قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، وجزاء سيئة سيئة مثلها، وكذلك من جاهر بسب دين الرسول، بعد ما عرف»[(١)].

وقال رحمه الله بعد أن عرف بثلاث مسائل وهي التوحيد والشرك والتكفير: «من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله ثم أبغضه ونفر الناس عنه، ...». ثم قال: الرابعة: «الأمر بقتال هؤلاء خاصة، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، فلما اشتهر عن هؤلاء الأربع صدقني من يدعي أنه من العلماء في جميع البلدان، في التوحيد، وفي نفي الشرك، وردوا علي التكفير والقتال»[(٢)].

وقال أيضًا رحمه الله تعالى في القتال في رسالة له بعد أن بيّن حقيقة ما يدعو إليه من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله: «فهذا الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم، وهو الذي ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع السلف الصالح من الأئمة، ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى: ﴿چ چ چ﴾[البقرة:١٩٣]. فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان، قاتلناه بالسيف والسنان، كما قال تعالى: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ﴾[الحديد:٢٥]»[(٣)].

فإذن الشيخ رحمه الله لم يستحل الدماء والأموال والأعراض، ولكن الذي قاله: إن العبد كما يدخل في الإسلام بقوله لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإذا قالها عصم دمه

---

(١) الدرر السنية (١/ ٧٣)، وكذلك (١/ ٨٣).

(٢) المرجع نفسه (١٠/ ١١٣) بتصرف يسير.

(٣) مؤلفات الإمام محمد (٦/ ١١٤).

وماله، وحسابه على الله، كذلك يرتد عن دين الإسلام بفعله ناقضًا من نواقض الإسلام، ومن ارتد عن الإسلام وجب استتابته فإن تاب وإلا قتل[1].

عن ابن مسعود رضي الله عنه في الحديث أنه ﷺ قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[2].

وفي صحيح البخاري وغيره عن عكرمة أن عليًا ـ رضي الله عنه ـ حرق قومًا، فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم، لأن النبي ﷺ قال: «**لا تعذبوا بعذاب الله**» ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ: «**من بدّل دينه فاقتلوه**»[3].

وكذلك أجمع الصحابة رضي الله عنهم على قتال المرتدين، وأهل العلم والفقه قد أجمعوا على قتل المرتد.

فالمرتد بالشرك أو غيره من المكفرات يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وهذا في الواحد المعين الذي ليست له شوكة ومنعة، أما الجماعة المتظاهرة على الردة فإنها تقاتل كما قاتل الصديق المرتدين، ومنهم من ردته منع الزكاة وهي أهون من الشرك بلا نزاع، بل يقاتل كل طائفة امتنعت عن إظهار شعيرة من شعائر الإسلام الظاهرة وإن لم يكفروا بها.

فالشيخ رحمه الله ومن تابعه كانوا يريدون إصلاح الخلل العظيم الذي وقع فيه كثير من الناس والعودة بهم إلى الدين الذي كان عليه السلف الصالح، ولما كان هذا الخلل هو الشركَ بالله وجعلَ الأنداد له، الذي هو كفر وردة عن دين الإسلام، سعوا بالتعليم والإرشاد والمكاتبات، ثم إلى الجهاد والقتال حتى يفيء الناس إلى دين الله، ولم يكونوا بقتالهم لمن ارتد

---

(١) ينظر: الدرر السنية (١٠/ ١٤٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، برقم (٤٣٧٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب «لا يعذب بعذاب الله»، برقم (٣٠١٧).

وأشرك مبتدعين ولا جافين، ولكن متبعين ممتثلين لأمر الله وأمر رسوله ﷺ[(١)].

من أقوال أهل العلم في القتال:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ما يؤكد وجوب القتال في وقته فقال: «كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة من هؤلاء القوم وغيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائعه، كما قاتل أبو بكر الصديق والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة. وعلى ذلك اتفق الفقهاء بعدهم بعد سابقة مناظرة عمر لأبي بكر رضي الله عنهما. فاتفق الصحابة رضي الله عنهم على القتال على حقوق الإسلام، عملاً بالكتاب والسنة.

وكذلك ثبت عن النبي ﷺ من عشرة أوجه الحديث عن الخوارج، وأخبر أنهم شر الخلق والخليقة، مع قوله: «**تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم**» فعلم أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمسقط للقتال. فالقتال واجب حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون فتنة، فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب.

فأيما طائفة امتنعت من بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام أو الحج، أو من التزام تحريم الدماء والأموال والخمر والزنا والميسر أو عن نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفار أو ضرب الجزية على أهل الكتاب، وغير ذلك من واجبات الدين ومحرماته ـ التي لا عذر لأحد في جحودها وتركها ـ التي يكفر الجاحد لوجوبها، فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها. وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء. وإنما اختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة إذا أصرت على ترك بعض السنن كركعتي الفجر، والأذان والإقامة ـ عند من لا يقول بوجوبها ـ ونحو ذلك من الشعائر. هل تقاتل

---

(١) ينظر: كشف الأكاذيب (ص ٥٨).

الطائفة الممتنعة على تركها أم لا؟ فأما الواجبات والمحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها»[١].

وقال الإمام الصنعاني ـ في كتاب تطهير الاعتقاد ـ: «فإن قلت: فإن كانوا مشركين، وجب جهادهم، والسلوك فيهم مسلك رسول الله ﷺ في المشركين.

قلت: إلى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم، فقالوا: يجب أولاً دعاؤهم إلى التوحيد، وإبانة أن ما يعتقدونه لا ينفع، ولا يضر، ولا يغني عنهم من الله شيئًا.. وأن هذا الاعتقاد منهم فيهم شرك، لا يتم الإيمان بما جاءت به الرسل إلا بتركه والتوبة عنه، وإفراد التوحيد اعتقادًا وعملاً لله وحده، وهذا واجب على العلماء، أي: بيان ذلك الاعتقاد الذي تفرعت منه النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم، وأنه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم، فإذا أبان العلماء ذلك للأئمة والملوك، وجب على الأئمة والملوك بعث الدعاة إلى الناس يدعونهم إلى إخلاص التوحيد لله، فمن رجع وأقر حقن عليه دمه وماله وذراريه، ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله ﷺ من المشركين»[٢].

وكتب الدكتور ناصر العقل خلاصة جميلة في مسألة القتال فقال: «إن الدعوة لما صار لها كيان وقامت لها دولة مهيبة وجيوش صارت تحارب، وتعاهد وتسالم بمقتضى شرع الله تعالى والعهود المرعية، ومكنهم الله عز وجل تحقيقًا لوعده من نصر دينه، ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ﴾ [الحج: ٤٠] وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وبهذا نقول: بأن هذه الدولة حين نصرت الدين وحملت لواء السنة والدعوة فهي أمكن دولة على الأرض، وأحق أن تسالم وتحارب وتدافع عن الحق بشرع الله ولا تزال ولن تزال كذلك بحول الله وقوته ما دامت على هذا العهد. هذا وليس بينهم وبين من

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/ ٥٠٢).

(٢) تطهير الاعتقاد للصنعاني، (ص ٣١)، نقلاً عن دحر افتراءات أهل الزيغ، للمدخلي، (ص ١٤١).

قاتلوهم معاهدات ولا مواثيق تمنع من القتال في سبيل الله.

كما أنه في تلك الفترة لم تظهر المنظمات الدولية والمواثيق الأمنية التي التزمتها الدول.

ولما ظهرت المعاهدات والمنظمات الدولية الحديثة كانت المملكة العربية السعودية من أكثر الدول التزامًا للعهود والمواثيق والاتفاقات المشروعة التي كانت هي طرفًا فيها، وحتى الآن وكل منصف يشهد لها بذلك.

ولما كثرت الإشكالات والتساؤلات من الخصوم، وبعض المؤيدين والمحايدين البعيدين عن ساحة الصراع والقتال بين الدعوة وخصومها، حول قتال الممتنعين عن أداء شعائر الدين وأركان الإسلام كالصلاة والزكاة، وقتال الممتنعين عن ترك الشركيات والبدع، وإزالة مظاهرها من القباب والمشاهد والمزارات ونحوها حين حصل هذا.

أجاب علماء الدعوة وقادتها وأمراؤها عن شبهات القوم بأدلة القرآن والسنة وعمل السلف الصالح من الصحابة والأئمة الأربعة وغيرهم الموجبة لقتال تارك الصلاة، بل وصرح الفقهاء بقتال تارك الوضوء وقتال أهل البلد إذا تركوا الأذان أو صلاة العيدين، أو منعوا الزكاة، وذكروا كلام الأئمة المعتبرين في ذلك من المالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم»[(١)].

أما مسألة قتل الشيوخ والنساء والأطفال فإنه لا يجوز ذلك، وقد أجاب الشيخ عبد الله بن الإمام بقوله: «أما قولكم: إنه يحكى لنا أنكم تقتلون ذا الشيبة والمرأة، والصغير، ورسول الله ﷺ أمر أن لا يقتل من المشركين لا شيبة عاجز ولا امرأة ولا قاصر لم ينبت، فنقول: هذا كذب وزور، وبهتان علينا فلا نأمر بقتل الشيخ الكبير من المشركين، ولا المرأة ولا الصغير الذي لم ينبت، فإن كان أحد من جهال المسلمين البعيد عنا فعل شيئًا

---

(١) إسلامية لا وهابية (ص٢٧٢).

من ذلك، فهو مخطئ مخالف لشرع الله ورسوله، ونحن نبرأ إلى الله من ذلك»[1].

أما من قال لا إله إلا الله حال الحرب، فقد أجاب أبناء الشيخ وحمد بن ناصر عن ذلك فقالوا: «هذا يحتاج إلى تفصيل، فإن كان المشرك لا يتلفظ بها في حال شركه وكفره كحال المشركين الذين في زمن النبي ﷺ، فهذا إذا قال لا إله إلا الله، وجب الكف عنه، لأنها دليل على إسلامه وإقراره، لأن المشركين في زمن النبي ﷺ لا يقولونها، وإذا قالها أحدهم كانت دالة على إسلامه، وهذا معنى الأحاديث التي جاءت في الكف عمن قال لا إله إلا الله.

كحديث أبي هريرة المتفق عليه: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل**»[2]، وكذلك حديث أسامة، لما قتل الرجل في الحرب بعدما قال لا إله إلا الله، فلما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ أنكر ذلك عليه، وقال: «**أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله**» فقال يا رسول الله: إنما قالها تعوذًا، وفي رواية إنما قالها خوفًا من السلاح، قال: «**أفلا شققت عن قلبه**»[3].

قال العلماء: وفي ذلك أنزل الله: ﴿ۀ ہ ۂ ۃ ۃ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ﴾ [النساء:٩٤]، فدلت الآية على أنه يجب الكف عن المشرك إذا أظهر الإسلام، ولو ظن أنه إنما قال ذلك خوفًا من السيف، فإن تبين بعد ذلك أنه إنما أظهر الإسلام تعوذًا،قتل، ولهذا قال تعالى: ﴿ھ﴾ هو التثبت والتأني، حتى يتبين حقيقة الأمر.

---

(١) الدرر السنية (٩/ ٢٤٣).

(٢) رواه البخاري كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، برقم (٢٥).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد قوله «لا إله إلا الله»، برقم (٢٧٧).

وأما إذا كان المشرك يتلفظ بلا إله إلا الله، في حال كفره وردته، ويفعل من الأفعال ما يوجب كفره وأخذ ماله، فهذا يقتل ويباح دمه وماله، كما قال الصديق رضي الله عنه، لعمر رضي الله عنه، لما ارتدت العرب بعد وفاة رسول الله ﷺ وكان فيهم طائفة يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون، ولكنهم منعوا الزكاة.

فقال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**»(١).

فقال أبو بكر رضي الله عنه: فإن الزكاة حق المال، و الله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق، فقاتلهم أبو بكر وسائر الصحابة، مع كونهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون.

وأجمع العلماء من أهل المذاهب: على كفر من جحد ما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالصلاة والصيام والحج وغير ذلك، وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وذلك لأن الدين لا يجوز التفريق فيه، بأن يؤمن الإنسان ببعض ويكفر ببعض، كما قال تعالى: ﴿چ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ﴾ [النساء:١٥٠، ١٥١].

وقال تعالى: ﴿ڳ ڳ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ﴾ [الأنفال:٣٩]، قال العلماء: كل طائفة امتنعت عن شريعة من شرائع الإسلام، تقاتل حتى يكون الدين كله لله، وهذا مجمع عليه بين العلماء من أهل المذاهب، والله أعلم»(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الدرر السنية (٩/ ٢٣٩).

كان الشيخ الإمام يعلم، وكان يدور في خلده آنذاك أن الدعوة إلى توحيد الله تعالى ونشر الدين والعلم والعمل بشرع الله، ومحاربة البدع والشركيات والجهل، ومحاربة الفساد والظلم والشتات، كل ذلك من الأمور الكبار التي ـ ولا شك ـ ستثير أعداء وأنها سيكون لها كيان وقوة ويظهر ذلك جليًا من قوله لابن معمر في العيينة: «إن هذا الذي أنا قمت به ودعوت إليه كلمة لا إله إلا الله، وأركان الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن أنت تمسكت به ونصرته، فإن الله سبحانه يظهرك على أعدائك، فلا يزعجك سليمان ولا يفزعك فإني أرجو أن ترى من الظهور والتمكين والغلبة ما ستملك بلاده «يعني والي الأحساء» وما وراءها وما دونها»[(١)]. وقوله لمحمد بن سعود عند قدومه إليه بالدرعية: «فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها»[(٢)].

وبناء على ما تقدم يتبين للمتأمل بشكل واضح جلي موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وموقف العلماء من قبله ومن بعده في مسألة القتال، وأنه على مذهب السلف في عدم استحلال دم المسلم وقتاله إلا بدليل شرعي، وأن غالب قتاله كان دفاعًا عن الدعوة وأتباعها.

من أقوال المستشرقين في رد دعوى القتال:

أنصف بعض المستشرقين دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عندما أفصحوا عن حقيقة القتال وطريقة القتال، يقول بوركهاردت مبينًا أن أتباع دعوة الشيخ لم يبدءوا غيرهم بقتال غالبًا: «ومع هذا فإن الوهابيين لم يعلنوا الحرب على الحكومتين القريبتين منهم حكومة

---

(١) عنوان المجد لابن بشر، (١/ ١٠).

(٢) المرجع نفسه، (١/ ١٢).

بغداد في الشمال، وحكومة الحجاز في الجنوب، ولم يعتدوا على حقوقهما»[(١)].

ويقول أيضًا: «إن الزعيم الوهابي كان يعطي الأمان بسهولة لأعدائه إذا استسلموا طواعية. وكثيرًا ما فعلوا ذلك لأنه لم يعهد أن سعودًا نقض عهده في أية مناسبة»[(٢)].

وقالت الباحثة الأمريكية «نت» وهي تبين موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الجهاد والقتال وطريقته في ذلك: «فرسالته في الجهاد لم يقصد منها إلا وضع القيود على العنف والتدمير، بالرغم من قلة الحالات التي استدعى فيها اللجوء إلى الجهاد، ولست بحاجة لأن أؤكد على أن الشيخ اعتبر الجهاد مشروعًا بناء على معايير محددة يتعين الوفاء بها في جهاد الدفع فقط، ومن ثم لم يبح جهاد الطلب[(٣)].

لقد أكد الشيخ على حرمة الحياة الإنسانية ودعا إلى المحافظة على حياة البشر كأوجب واجبات المسلم، وتحدث عن عصمة الدماء وحرمتها ووجوب المحافظة عليها وأكَّد ذلك مرارًا كما أنه فصّل كثيرًا في بحثه حول فئات الناس الذين لا يجوز قتلهم أثناء الجهاد، وقد آمن الشيخ بالحاجة إلى المحافظة على الأسرة حتى في حالة أسرى الحرب»[(٤)].

وأما في كيفية التعامل مع النساء في الحرب فيقول بوركهاردت: «وكلما نهبت فيالق الوهابيين الخاطفة مخيّم عرب ما اضطرت النساء إلى تعرية أنفسهن، وصد الوهابيون عنهن، ورموا عليهن بعض الخرق من أجل الحشمة. ولم تتعرض أية امرأة لإهانة غير

---

(١) مواد لتاريخ الوهابيين (ص٨٠).

(٢) المرجع نفسه (ص٧٥).

(٣) الجهاد في الإسلام جهادان: جهاد دفع وجهاد طلب ولكل منهما شروطه وضوابطه الذي لا يشرع إلا عند توفرها.

(٤) مجلة الدعوة العدد ١٨٩٩ (ص٣١).

تلك أبدًا»[١].

ويقول المستشرق إليكسي مبنيًا الرأفة بالنساء والأطفال والشيوخ نقلاً عن ـ منجين ـ: «إن الوهابيين أقدموا على مجزرة في المدينة، غير أنهم رأفوا بالنساء والأطفال والشيوخ والعجزة»[٢].

بل حتى في دخولهم مكة كان انضباطهم مضرب المثل، ولم ترتكب أية مخالفة[٣]، وفي هذا دلالة على استشعارهم حرمة القتال في البلد الحرام، كما وصف ذلك المستشرق شارل.

وإن عددًا من المستشرقين امتدحوا الدعوة بحسن التعامل والبعد عن العنف واحترام قداسة الحرمين.

يقول الراهب هيوجس: «لم يصب المواطنين أي أذى لأجل قداسة الحرم، وبعد أن تولى الإمارة أهل نجد عمرت المساجد حتى أن هذا المنظر من الزهد والطاعة لم ير له مثيل في هذا البلد الأمين بعد عهد النبوة»[٤].

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر أذاع الغرب أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تساند الإرهاب[٥] ولها علاقة كبيرة بذلك الحدث وغيره من أحداث التفجير ونحو ذلك

---

(١) مواد لتاريخ الوهابيين (ص٧٤).

(٢) تاريخ العربية السعودية (١٣٣).

(٣) ينظر: رحلة الحجاز (ص٢٤٧).

(٤) قاموس الإسلام، نقلاً عن إسلامية لا وهابية (ص٢٩٥).

(٥) هذه الكلمة وردت في قوله تعالى: ﴿ۋ ۋ ۋ ې﴾ فالإرهاب الذي يكون في محله كما صرحت الآية فهذا مشروع، أما الإرهاب المذموم فهو الذي يُقتل فيه الأبرياء سواء من المسلمين وغيرهم وسواء كان القاتل مسلمًا أو كافرًا، كما هو حاصل بأرض فلسطين من اليهود الغاصبين لعنهم الله، وغيرهم.

في داخل السعودية أو خارجها، وهذا الادعاء باطل ويشهد لذلك قول الباحثة الأمريكية (نت) عندما قالت: «من خلال قراءتي المتعمقة لفكر الشيخ وجدت أن فكره ضد الإرهاب بكل أشكاله ولو كان ـ رحمه الله ـ موجودًا بيننا الآن لم يكن ليسعه إلا أن يشجب هذه الأعمال، أقول هذا من خلال فكره الذي تعمقت فيه وقرأته بتبصُّر. لقد أدان الشيخ الأعمال العسكرية الهجومية والعدوانية، ولاسيما ضد المسلمين، كما حرَّم تحريمًا قاطعًا قتل المدنيين، ولا سيما النساء والأطفال والشيوخ. وقد حرم كذلك قتل المقعد والأعمى والأصم والرهبان والحاخامات، لأنه أقرَّ لهم بأنهم كرسوا حياتهم لعبادة الله، كما حرم قتل العبيد والخدم لأنه اعتبرهم أبرياء من الجرائم التي ارتكبها أسيادهم، لقد علَّم الشيخ محمد أتباعه أن الله هو إله الرحمة والعطف ويتوقع من المسلمين أن يكونوا رحماء عطوفين في تعاملهم مع غيرهم من البشر.

أجزم أنه كان سيدين بشدة الهجمات الإرهابية التي وقعت يوم ١١/ ٩ لأنها قتلت دون تمييز الكثير من الناس بمن فيهم الكثير ممن أوردناهم سابقًا على أنه يحرّم قتلهم من المدنيين، والنساء والأطفال والشيوخ والمعاقين والمسلمين... لا أعتقد أن الإمام محمد ابن عبد الوهاب كان سيؤيد هذا النوع من العقاب الجماعي، وتدمير الممتلكات الذي صاحب القتل الشنيع الذي وقع ذلك اليوم ومن لا يتفق معي عليه أن يقرأ فكر الشيخ وثروته العلمية وسيدرك صدق ما أقول»[1].

إذن فمما سبق يتبين أن الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه على مذهب السلف في عدم استحلال دم المسلم وقتاله إلا بدليل شرعي، فإذا اضطروا للبدء بالقتال فإنهم يقاتلون عند قيام الدليل الشرعي، وإن كان في الغالب أن الخصوم هم الذين يبدءون

---

(١) مجلة الدعوة العدد ١٨٩٩ (ص٣٢).

القتال كما سبق ذكره.



المبحث الثاني
دعوى التشدد وعدم التسامح

وصف بعض المستشرقين هذه الدعوة بالتطرف والتشدد والعدوانية وعدم التسامح، والذي دفعهم إلى ذلك نظرتهم الخاطئة إلى قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ذكر بعضهم أمثلة مما يرونه من التشدد وهي في حقيقتها من السنن والآداب الشرعية كما سيأتي بيانه بإذن الله.

يقول المستشرق باركلي رونكيير وهو يصف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنهما تقييد للحرية: «لقد قيد الوهابيون حرية الناس في هذا الاتجاه، فالتدخين مثلاً نادر جدًا ويمارس في الخفاء، وفي نجد لا يجرؤ أحد على التدخين إذا لم يكن بين أربعة جدران. ولا يكاد المدخن يسمع وقع أقدام في الجوار إلا ويسرع في إخفاء غليونه وسط طيات ملابسه وإبعاد الدخان عنه باستخدام مروحة يدوية»(١).

ومجموعة من المسشترقين أيضًا وصفوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتشدد والتطرف.

يقول بيتر برينت: «وفي جدة ظهرت قوة جديدة من الشرطة(٢) وهم مسؤولون عن تذكير الناس بالصلوات الخمس وإجبارهم على أدائها، وفي يد كل منهم عصا غليظة وقد أمروا أن يصرفوا ويوبخوا الناس ويسحبوهم قسرًا من أكتافهم حتى يشتركوا في الصلوات العامة خمس مرات في اليوم، وقد تولى رجال مسلحون حراسة أماكن قبور الأولياء والصالحين ومنع الناس من الدخول إليها»(٣).

---

(١) عبر الأراضي الوهابية (ص٢٢٢).

(٢) يقصد رجال الهيئة.

(٣) بلاد العرب القاصية (ص١٠٤).

وينقل لنا عن الرحالة ـ ليتشمان: «أنه لاحظ أن التشدد والتضييق في المعتقدات الدينية قد خفت حدته، فقد أصبح التدخين وهو أعظم الذنوب للوهابيين المتعصبين، يمارس خفية»(١).

وقال إليكسي: «احتفظ رجال الدين بإدارة قوية للتأثير في المجتمع، وهي هيئات الأمر بالمعروف، وقد شكلت هذه اللجان في العشرينات لنشر المذهب الوهابي، واستمرت تفرض على المجتمع أحكامًا في الأخلاق والحياة والسلوك، وتحرص على عزلة النساء وتمسك الناس بالحظر المفروض على التدخين وتعاطي المسكرات والرقص»(٢).

أما المستشرق ـ لوريمر ـ بعد أن وصف أتباع الدعوة بضيق الأفق والجمود قال: «من ذلك تدخلهم في التفاصيل الثانوية مثل تحريم لبس ثياب الحرير والتحلي بالذهب وحمل المسابح وتحريم التدخين»(٣).

أما ـ ديفيد كوبر ـ فقد اختلف مع لوريمر في أخذ المال فسماه زكاة بينما لوريمر سماه نهبًا وسلبًا متأثرًا بما كان يقع بين القبائل قديمًا من السلب والنهب، وهذا كوبر يقول: «وعلى الرغم من انتماء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه إلى المذهب الحنبلي، فقد كانوا على وجه العموم أكثر تشددًا من الحنابلة في أداء المناسك، فعدوا صلاة الجماعة واجبًا لا يمكن التخلي عنه، وكانوا يمقتون بشدة تدخين التبغ ورأوا أن حلق اللحية أو السب مخالفة شرعية تستوجب المثول أمام القاضي، وكذلك تشددوا في جمع الزكاة فاعتبروها واجبة لا على الظاهر من الدخل فحسب بل وعلى الخفي منه أيضًا كالربح في

---

(١) المرجع السابق (ص٢٢٨).

(٢) تاريخ العربية السعودية (ص٦٢١).

(٣) تاريخ البلاد السعودية (ص٢٩).

التجارة على سبيل المثال. ومنعوا استعمال السبحة في التسبيح عند الصلاة، واستعملوا الأصابع بدلاً منها، كما أنهم بنوا المساجد فجعلوها نماذج في البساطة فلا مآذن ولا زخارف في التصميم أو البناء»[١].

وذكرت ليدي بلنت وهي تصف رجلاً من أهل حائل أن لبس الذهب والحرير غير مسموح به[٢].

وقال كوبر: «وقدم بلجريف بتعمق أكثر من معاصريه أمثلة أخرى لمخالفات تتعلق بالدعوة الوهابية، فقال: «إن صبغ اللحية حرام لأنه تغيير غير مشروع في صنعة الخالق» وذكر أيضًا أن الوهابي الصحيح لا يأكل البصل إلا بشرط أن يغسل فمه ويديه جيدًا بعد ذلك ولا سيما إذا حان وقت الصلاة.

ثم ذكر ممنوعات أخرى مثل إضاءة المنزل بعد صلاة العشاء والغناء والطرب وعزف الموسيقى أو التجول في الطرقات ليلاً أو دخول منزل ليس فيه رجال ليلاً ولعب الأطفال في الشوارع. كل ذلك كان من المخالفات الدينية في الدعوة الوهابية، واعتبرت السبحة من البدع في الإسلام فحرم استعمالها على أتباع محمد بن عبد الوهاب»[٣].

بل بعضهم بالغ في بعض العقوبات مثل لويس دوكرانسي حيث قال: «وحتى أنهم منعوا استعمال الدخان وجعلوا الموت قصاص من يدخن»[٤].

ومما وصفت به هذه الدعوة أنها استبدادية مطلقة متحررة كما قال ذلك بيتر

---

(١) الحركة الوهابية (ص٥١).

(٢) ينظر: المرجع نفسه (ص٩٧).

(٣) ينظر: المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٤) الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ (ص٦٧).

برينت[١]، وذكر أنه كان على قمة جبل عرفات مكان مقدس[٢] عمل الوهابيون على هدمه[٣].

ونقل برينت عن علي بك: «أنه سجل أن الوهابيين قد دمروا وهدموا جميع المساجد التي خصصت لذكرى الرسول ﷺ وأهل بيته. وقد هدم سعود قبور الأولياء والصالحين من الصحابة وأبطال الإسلام الذين كان الناس يحترمونهم وهدم قصر الشريف أيضًا، ولم يبق من تلك الأبنية إلا الخرائب والأطلال.

أما في الشؤون الدينية فقد ألغيت وحرمت التقاليد القديمة التي كان الحجاج يتقيدون بها جيلاً بعد جيل بإخلاص وتفان، ومنعت زيارة القبور»[٤].

أما إدوارد نولدي فقد وصف أتباع الدعوة بالوحشية والضراوة[٥].

وإليك هذه العبارة التي توحي إلى قارئها مدى العنف حيث قال إليكسي: «وأعلنت الوهابية عن نيتها في تطبيق مبادئها دون رحمة»[٦].

وقال هذا بعد أن ذكر ما قام به أتباع الدعوة من تسوية القبور والأضرحة وقطع الأشجار التي كانت تقدس، وبدءوا في تطبيق الحدود والشريعة الإسلامية.

وقال: «وعلى إثر ذلك، طوق الوهابيون مكة وأعاقوا الحج وتأجج العداء من جديد

---

(١) ينظر: بلاد العرب (ص٩٨).

(٢) كأنه يقصد العلامة في أعلى الجبل وهذه ليس لها أي قداسة.

(٣) ينظر: المرجع نفسه (ص١٠١).

(٤) المرجع نفسه (ص١٠٣).

(٥) ينظر: المرجع نفسه (ص١٩٩).

(٦) تارخ العربية السعودية (ص١١٢).

بين الأتراك والشريف غالب آنذاك، فرفض الأتراك مساعدته»[١].

ويواصل في سرد الفتوحات ويقول: «وطوال السنوات التي أعقبت تدمير كربلاء، قام الوهابيون بغزوات عنيدة على العراق. ولكن حملاتهم كانت محصورة في نهب القرى غير المحمية وفي نهب البدو... وبعث سعود رسالة إلى مشايخ دمشق وحلب ومدن الشام الأخرى طالبًا تبني المذهب الوهابي والخضوع لسلطة سعود ودفع الجزية، وساد الذعر والاضطراب ودمرت فصائل الوهابيين القرى في أطراف حلب» [٢].

ومما قاله أيضًا في التشدد: «كان الانضباط متشددًا عند الوهابيين، فالقائد الذي لا يؤدي واجباته أو الذي يبدر منه ما يثير الشكوى ينحى من منصبه، وأحيانًا تفرض عليه غرامة. وتجري معاقبة الجنود المذنبين بالجلد بالعصي[٣]، وإذا اقترف الجندي جريمة كبيرة تقطع رقبته، ويفعلون به الشيء نفسه إذا فر من العدو»[٤].

ونقل كذلك عن أرشيف السياسة الخارجية الروسية بعد انتصار محمد علي باشا: «وأمر صاحب الجلالة بأداء صلاة عمومية شكرًا لله على انتصار سلاح السلطان وعلى إبادة الطائفة التي خربت مكة والمدينة ونشرت الذعر في قلوب الحجاج المسلمين وعرضتهم للخطر»[٥].

وقال إليكسي أيضًا عن الدعوة وأتباعها: «شرع الملك بتطبيق ما يدعو إليه المذهب

---

(١) المرجع نفسه (ص١٣٩).

(٢) المرجع السابق (ص١٤٩)، بتصرف يسير.

(٣) العجيب أنهم يعيبون هذا على الدعوة بينما كل الأنظمة العسكرية يفعل فيها ما هو أشد من هذا ولا يوجد من يعارض، مما يبين الحقد الدفين على الدعوة.

(٤) المرجع نفسه (ص١٧٩).

(٥) المرجع نفسه (ص٢٠٥).

الوهابي بصرامة فإن المنقطع عن الصلاة يعاقب بالحبس ويدفع غرامة ومن يتعاطى الخمر كذلك، وإذا ما عاودها فحبس لمدة تصل إلى سنتين. والعقاب الصارم يطال كل من يصنع الخمر أو يبيعها. وقد حظر التدخين واقترن هذا التقيد الصارم بالوهابية بممارسة العنف والتنكيل بالخصوم السياسيين لآل سعود»[١].

أما ديفيد كوبر فوصف الوهابيين بأنهم تشددوا في تطبيق الشرائع الإسلامية[٢].

ومما نقله بوركهاردت عن روسو، أن الوهابيين قد أبطلوا الحج إلى مكة[٣] وقال بوركهاردت: «وتقضي الديانة الوهابية بالحرب المستمرة ضد كل من لم يعتنق العقيدة الإصلاحية»[٤].

وقال لويس دوكرانسي: «وقد نبذ الشيخ محمد، بنفس الشدة، كل أنواع التكريم سواء للمسيح أم لموسى أم لغيرهما من الأنبياء ممن يعترف المسلمون بهم»[٥].

وقالت جاكلين وهي تتحدث عن كتاب لباجريف: «إنه يصف الدعوة بالاستبداد الوهابي وإرغام الناس على حضور الصلاة، والمحافظة بقصد التباهي على أوامر هذا المذهب المفرط المتشدد»[٦].

أما شارل ديدييه فقد قال عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وأبطل عبادة الأولياء التي اكتسبت أهمية كبرى في كل الأديان، وأعلن أن الزكاة والعدل واجبان ضروريان

---

(١) المرجع السابق (ص٣٥٥).

(٢) الحركة الوهابية (ص٩٤).

(٣) مواد لتاريخ الوهابيين (ص١٦)، وسيأتي توضيح مسألة الحج.

(٤) المرجع نفسه (ص٦٨).

(٥) الوهابيون (ص٥٩).

(٦) مسائل من تاريخ الجزيرة العربية (ص٢٠٣).

شأنهما شأن الصلاة، ونهى عن اتباع البدع التي رآها سائدة لدى العثمانيين، وأوصى بالورع والتقشف مستخدمًا في الدعوة القوة التي منحه إياها سخطه على الأوضاع، وقد بلغ به التشدد أنه حرَّم على أتباعه التدخين»[١].

وقال المستشرق جان: «بأن الدعوة تحرم الملذات مثل القهوة والغليون»[٢].

هذا وقد وصفت دائرة المعارف الإسلامية الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه بأنهم متطرفون[٣].

وجاء فيها أيضًا: «ولما كان جميع المسلمين اليوم ما عدا المتطرفين من أهل الحديث والمشبهة كالوهابية وأصحاب ابن تيمية...»[٤].

وأيضًا فإن المستشرق «كرن» قد وصف هذه الدعوة بالتشدد والتطرف[٥].

وقد قارن ستيفن شوارتز بين دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين الصوفية وامتدح الصوفية لأنها لم تمارس العنف ورأى أنها تمثل الإسلام الصحيح بينما يعتقد أن الوهابية مرادفة للعنف[٦].

وكذلك المستشرقان «برايدجس» و«باجريف» فقد اتفقا على وصفها بالعدوانية[٧].

ويصف فرد هاليداي في كتابه: «المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية» حركة الشيخ

---

(١) رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني (ص٢٣٥).

(٢) ينظر: التذكرة في أصل الوهابيين (ص٣٣).

(٣) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية العدد ٦١، (ص٣٢٩).

(٤) الدائرة ٤/ ٢٦٥، الله، ماكدونالر، نقلاً عن مجلة البحوث، العدد ٦١، (ص ٣٣٠).

(٥) الدائرة ٦/ ٤١١، بدري، كرن، نقلاً عن مجلة البحوث، العدد ٦١، (ص ٣٣٢).

(٦) مجلة الدعوة، العدد ١٨٩٩ (ص٣١).

(٧) ينظر: الشيخ محمد في الرؤية الاستشراقية (ص٩٤، ٩٥).

محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ «بأنها حركة إرهابية، تمخضت عنها ممارسات إرهابية كذلك، مثل ما يقوم به البوليس الديني (المطاوعة) من إرهاب الناس ودفعهم إلى الصلاة بالقوة، وعزل النساء وإجبار السجناء على قراءة القرآن الكريم»[(١)].

وقال لويس دوكرانسي بعد أن ذكر الخلاف العقدي بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره: «ومن هنا كان بغض الوهابيين لبقية المسلمين، وعدم التسامح معهم من أصل قوانينهم، وهم يطبقونها بشكل صارم»[(٢)].

بل إنه بالغ في الافتراء عليهم لدرجة أنهم يمنعون النقاش فقال: «والنقاش في نظر الوهابيين جريمة جزاؤها الموت»[(٣)].

وممن وصف الدعوة بالتشدد المستشرق «كورانسيز»[(٤)] وكذلك المستشرق «جان ريمون»[(٥)].

موقف الإمام محمد بن عبد الوهاب من دعوى التشدد وعدم التسامح:

إن التشدد الذي يدعي بعضهم أنه من سمات الدعوة وأهلها ليس تشددًا مذمومًا حسب المعايير الشرعية والعلمية. بل هو إن وقع أحيانًا فهو نوع من الحزم والصلابة في الحق وهو ما تقتضيه البيئة والظروف، والحاجة والمصلحة في عهدهم، فهو المناسب للبيئة البدوية والقروية التي يعيشها المجتمع النجدي وما عليه العرب في سجيتهم التي تتسم بالصراحة والصرامة والإباء، فالحزم هنا هو الحل المناسب والأمثل أمام تمرد الأعراب والجهال والسفهاء، وتجاه قوة الشر، والخصوم، وأمام قوة الباطل وأهله

---

(١) الاستشراق والدراسات الإسلامية (ص١٥٥).

(٢) الوهابيون (ص٦٦).

(٣) المرجع نفسه (ص٨٧).

(٤) تاريخ البلاد العربية السعودية للعجلاني (ص٣٠٦).

(٥) التذكرة في أصل الوهابيين (ص٥٧).

وتمكنهم، والإسلام كما أنه دين الحق والرحمة واليسر فهو كذلك لا يلغي مبدأ الحزم والصرامة في تثبيت الحق ورد الباطل، فالوضع المتردي من كل الجوانب اقتضى هذا المنهج الحازم أحيانًا لا سيما في جزيرة العرب التي هي درع الإسلام ولما تتميز به من خصائص دينية وبيئية وقبلية.

فهم قد عملوا ما هو مشروع من تحكيم شرع الله وإظهار شعائر الدين، وإقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحدود[١].

وقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حليمًا رفيقًا في تطبيقه شرائع الإسلام ودعوته.

بل كان رحمه الله حريصًا على بيان أهمية الرفق في الدعوة إلى الله، وأنكر على من لم يتصف بهذه الصفة، فقال: «ينبغي للداعي إلى الله أن يدعو بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، وقد أمر الله رسوليه موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولاً لينًا لعله يتذكر أو يخشى»[٢]، وقال في موضع آخر: «فلينصحه برفق وإخلاص»[٣]، وأكد ـ رحمه الله ـ ضرورة الرفق عند إنكار المنكر، وعدم الغلظة التي توجب الفرقة، وربما العناد والمكابرة، وعدم الاستجابة، وبيّن ـ رحمه الله ـ «أن بعض أهل الدين ينكر منكرًا ـ وهو مصيب ـ لكن يخطئ في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان، وقد قال تعالى: ﴿ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣]، وأهل العلم يقولون: الذي يأمر وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث: أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه، ويكون رفيقًا فيما يأمر به وينهى عنه، صابرًا على ما جاء من

---

(١) ينظر: إسلامية لا وهابية (ص ٢٤٣).

(٢) مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٥١).

(٣) المرجع نفسه (٥/ ٢٨٩).

الأذى»[١].

وكان الشيخ رحمه الله حريصًا على هداية أولئك الخصوم، فبذل الأسباب والوسائل لتحقيق ما يؤدي إلى استقامتهم والتزامهم بمتابعة الحق المؤيد بالدليل، ويظهر اللين والتلطف معهم، كما هو واضح في رسالته لشيخه عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف أحد علماء الإحساء، حيث يخاطبه فيقول: «سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فقد وصل إلينا من ناحيتكم مكاتيب، فيها إنكار وتغليط عليّ، ولما قيل: إنك كنت معهم، وقع في الخاطر بعض الشيء، لأن الله سبحانه نشر لك من الذكر الجميل، وأنزل في قلوب عباده من المحبة مالم يؤته كثيرًا من الناس، لما يذكر عنك من مخالفة من قلبك من حكام السوء. وأيضًا: لما أعلم منك من محبة الله ورسوله، وحسن الفهم، واتباع الحق، ولو خالفك فيه كبار أئمتك، لأني اجتمعت بك من نحو عشرين، وتذاكرت أنا وإياك في شيء من التفسير والحديث... وذاكرتني أيضًا في بعض المسائل، فكنت أحكي لمن يتعلم مني ما منَّ الله به عليك، من حسن الفهم، ومحبة الله والدار الآخرة...»[٢].

وهذا الشيخ المخاطب قد ألف رسالة في الرد على الشيخ الإمام، سمَّاها «سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد».

وقد خاطب الشيخُ محمد بن عبد الوهاب الشيخَ عبدَ الوهاب بن عبد الله بن عيسى فقال: «فإن كان إني أدعو لك في سجودي، وأنت وأبوك أجل الناس إليّ وأحبهم عندي...»[٣].

ومع ذلك فقد عانى الشيخ الإمام من الشيخ عبد الوهاب وأبيه معاناة شديدة

---

(١) المرجع نفسه (٥/ ٢٩٦).

(٢) الدرر السنية (١/ ٣٥).

(٣) مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٨٠).

وأصابه منهما هم وغم كما هو مذكور في بعض رسائله[1].

من أقوال أهل العلم والمستشرقين في رد هذه الدعوى:

سطر بعض أهل العلم صورًا للرفق واللين والتسامح ومن ذلك ما قاله الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهما الله ـ عندما منَّ الله على أتباع الدعوة بدخول مكة فقال: «لما مَنَّ الله علينا ـ وله الحمد ـ بدخول مكة المشرفة نصف النهار، بعد أن طلب أشراف مكة، وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزوة «سعود» الأمان، وقد كانوا تواطئوا مع أمراء الحجيج، وأمير مكة على قتاله، أو الإقامة في الحرم، ليصدوه عن البيت، فلما زحفت أجناد الموحدين، ألقى الله الرعب في قلوبهم، فتفرقوا شذر مذر، كل واحد يعد الإياب غنيمة، وبذل الأمير حينئذ الأمان لمن بالحرم الشريف، ودخلنا وشعارنا التلبية، آمنين محلقين رؤوسنا ومقصرين، غير خائفين من أحد من المخلوقين، بل من مالك يوم الدين، ومن حين دخل الجند الحرم، وهم على كثرتهم مضبوطون، متأدبون، لم يعضدوا به شجرًا، ولم ينفروا صيدًا، ولم يريقوا دمًا إلا دم الهدي، أو ما أحل الله من بهيمة الأنعام على الوجه المشروع.

ولما تمت عمرتنا: جمعنا الناس ضحوة الأحد، وعرض الأمير ـ رحمه الله ـ على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه، وهو إخلاص التوحيد لله تعالى وحده «أولاً»... والثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي لم يبق عندهم إلا اسمه، وانمحى أثره ورسمه.

فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلاً، وبايعوا الأمير على الكتاب والسنة، وقبل منهم، وعفى عنهم كافة، فلم يحصل على أحد منهم أدنى مشقة، ولم يزل يرفق بهم غاية الرفق، لا سيما العلماء ونقرر لهم حال اجتماعهم، وحال انفرادهم لدينا؛

---

(١) ينظر: مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٨٠، ٣١٤، ٣١٥).

أدلة ما نحن عليه، ونطلب منهم المناصحة، والمذاكرة، وبيان الحق»[١].

وكان الحوار بالإقناع الذي يشوبه الرفق والوقوف مع الحق والاتباع دون عنف أو إكراه.

ومن صور الرفق كذلك أنه رفعت: المكوس، والرسوم، وبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث كسرت آلات التمباك[٢]، ونودي بتحريمه وأحرقت أماكن الحشاشين، والمشهورين بالفجور، ونودي بالمواظبة على الصلوات في الجماعات، وعدم التفرق في ذلك، بأن يجتمعوا في كل صلاة على إمام واحد، ويكون ذلك الإمام من أحد المقلدين للأربعة، رضوان الله عليهم، واجتمعت الكلمة حينئذ وعُبد الله وحده، وحصلت الألفة، وسقطت الكلفة، وأمّر عليهم، واستتب الأمر من دون سفك دم، ولا هتك عرض، ولا مشقة على أحد، والحمد لله رب العالمين[٣].

ومن هنا عندما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وألزموا الناس الصلاة والزكاة ونحوها وعزروا من جاهر بالمنكرات وشرب الدخان؛ أشيع عن الدعوة وأتباعها بأنهم متطرفون ومتشددون ووصفوهم بالغلو في الدين.

إن هذه التهم مردودة مرفوضة، إذ هي مبنية على عدم تسامح الدعوة مع من أشرك بالله وجعل له أندادًا ومع المتهاونين بأوامر الله ونواهيه، فلا يأبهون لصلاة وصيام ولا ينتهون عن خمر وفساد، ودين الإسلام الذي فيه الخير والعدل، والتسامح الذي لا تضيع معه الحقوق، ولا يسبب الفتن والضلال، دين خير كله وصلاح كله ومنهج متكامل، يراعي تحقيق المصالح ودرء المفاسد، وتقديم الكلية على الجزئية والمجموع على الفرد، ألا

---

(١) الدرر السنية (١/ ٢٢٢).

(٢) الآلات هي النارجيلة، والتمباك: هو التبغ، فآلات التمباك هي: الشيشة.

(٣) ينظر: المرجع السابق (١/ ٢٢٥).

ترى الطبيب الحاذق يقطع الطرف الفاسد من الجسم حماية لبقيته من الفساد والهلاك، لا غلو فيه في تقييد المصالح الشخصية للأفراد، ولا إفراط في تضييع حقوق المجتمع والجماعات.

وهذا الرسول ﷺ وهو قدوة الشيخ محمد في دعوته وقدوة كل الدعاة المصلحين وكل المسلمين، أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ونصح وجادل، وجاهد وقاتل، وما كان قتاله للكفرة والظلمة غلوًا وتشددًا بل هو الرحمة والنور والخير لهذه القرى والأمم التي دخلت في دين الله أفواجًا، فنجت بذلك من ضيق الدنيا وعذاب الآخرة[1].

إن الغلو في تعريف الرسول ﷺ والصحابة شيء، والغلو عند هؤلاء شيء آخر، فالغلو الذي نهى عنه الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ﴾ [المائدة:٧٧]، ونهى عنه المصطفى ﷺ بقوله: «**إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[2]، ونهى الثلاثة من الصحابة الذين سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ فكأنهم تقالوها، فقال أحدهم: فأما أنا فأصلي الليل ولا أنام، وقال الآخر: وأنا أصوم النهار ولا أفطر، وقال الآخر: وأما أنا فأعتزل النساء، فلما سمع مقالتهم نهاهم، وقال: «**ولكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[3].

فالغلو هو: الزيادة في التعبد فوق ما شرعه الله وحدَّه الشارع ومنه تتولد البدع،

---

(١) ينظر: كشف الأكاذيب (ص١٠٦).

(٢) رواه النسائي كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، برقم (٣٠٥٩)، رواه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي برقم (٣٠٢٩)، صححه الألباني في الصحيحة برقم (١٢٨٣) (٣/ ٢٧٨).

(٣) رواه البخاري كتاب النكاح، باب في الترغيب في النكاح برقم (٥٠٦٣).

فأعلى السنة في الصيام صيام يوم وإفطار يوم وهو صيام داود عليه السلام، والزيادة على هذا الحد غلو وتجاوز، ومحبة الرسول ﷺ طاعته فيما أمر واجتناب ما عنه نهى وزجر، وتوقيره وتعزيره ومحبته فوق محبة النفس والمال والوالد والولد، والغلو في المحبة والتعظيم وعبادته مع الله عز وجل بدعائه وسؤاله والنذر له والحلف به ونحو ذلك، من الأمور التي نهى هو عنها وحذر منها، ففي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله**»[١].

وروى النسائي بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[٢].

وخصوم الدعوة اليوم وأعداؤها من العلمانيين والتغريبيين يريدون بالغلو في الدين التمسك والامتثال بأوامر الله ونواهيه، دون تحكيم للعقل والهوى فيها، فكل أمر من الله ورسوله يخالف هواهم امتثاله وفعله غلو وتنطع، وكل نهي من الله ورسوله يخالف شهواتهم اجتنابه غلو وتطرف، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غلو وتدخل في شؤون الآخرين، فالآمر والناهي امتثالاً لأمر الله تعالى بقوله: ﴿ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ں ں ڻڻ ۀ ۀ ہ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وبقوله ذامًا للقوم الذين تركوه وأهملوه: ﴿ڃ ڃ چ چ چ چڇ ڇ ڍ ڍ ڌ﴾ [المائدة:٧٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ٹ ٹ ٹٹ﴾ قال: «خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام»[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم برقم (٣٤٤٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ﴾ برقم (٤٥٥٧).

فالممتثل لهذه الأوامر من الشارع يريد مرضاة ربه، وصلاح أمته، عندهم متشدد غالٍ في الدين، والمتبع لسنة خير الناس في هيئته ولباسه ومأكله ومشربه ومركبه ومنزله وسلامه وكلامه متشدد متزمت، والمرأة المؤمنة العفيفة المطيعة لأمر ربها بالستر، والابتعاد عن التبرج والسفور ومخالطة الأجانب غالية متشددة أو مظلومة مقهورة، فالحقيقة التي يستخفون بها عن المسلمين، أنهم يرون في دين الله وسنة رسوله ﷺ غلوًا وتشددًا، ولهم بعقولهم أن يختاروا منها ما يناسب أهواءهم ويوافق شهواتهم[١].

وهم مع هذه الدعاوى التي يتظاهرون بها من أشد الناس تطبيقًا لآرائهم ومذاهبهم ولو صار لهم التمكين ـ لا مكن الله لهم ـ لأذاقوا مخالفيهم الهوان والعذاب، كما يفعلونه اليوم في كثير من البلاد من منع المصلين والتشديد عليهم، والتضييق على المؤمنات العفيفات المتحجبات في أعمالهن ودراساتهن.

ولا تصح نسبة التصرفات الفردية لبعض الأفراد الشواذ في إنكارهم لبعض المنكرات بشكل تجاوزوا فيه الحد الشرعي إلى الشيخ محمد ودعوته، وفي بعض رسائل الشيخ وتلاميذه تجد فيها النصيحة لأمثال هؤلاء بالتزام المنهج الشرعي في الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ مدافعًا عن دعوة الشيخ: «هذا الكلام من جملة الاتهامات التي لا حقيقة لها، وهذه كتب علمائنا ورسائلهم والحمد لله ليس فيها تغليظ إلا فيما يشرع فيه التغليظ، وليس فيها تنفير، وإنما فيها الدعوة إلى الله بالبصيرة والحكمة والموعظة الحسنة وكتبهم في ذلك مطبوعة ومتداولة ومنتشرة، وكل من اتصل بهم فإنه يثني عليهم، وقد كتب المنصفون عنهم الشيء الكثير في تاريخهم الماضي والحاضر من حسن السياسة وصدق المعاملة والوفاء بالعهود والرفق بالمسلمين»[٢].

---

(١) ينظر: كشف الأكاذيب (ص١١١).

(٢) من أعلام المجددين (ص٨٩).

قضية الحج :

من القضايا التي دندن حولها الأعداء قضية الحج وما يصحبه من منكرات مثل المحمل[١] والطبل والزمر وحمل الأسلحة.

ولا يشك مسلم عنده علم بمقاصد الحج أن هذا يتنافى مع ركن الحج ومع تلك المشاعر المقدسة التي عظمها الله عز وجل.

وقد رد على هذه الفرية المؤرخ المصري الشهير الجبرتي في حوادث الحج سنة ١٢٢٣هـ، حيث قال عن أهم الأحداث: «ومنها انقطاع الحج الشامي والمصري معتلين بمنع الوهابي الناس عن الحج، والحال ليس كذلك، فإنه لم يمنع أحدًا يأتي الحج على الطريقة المشروعة، وإنما يمنع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع، مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الأسلحة، وقد وصل طائفة من الحجاج المغاربة حجوا ورجعوا في هذا العام وما قبله، ولم يتعرض لهم أحد بشيء، ولما امتنعت قوافل الحج المصري والشامي، وانقطع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل إليهم من الصدقات والعلائف والصرر التي كانوا يتعايشون منها، خرجوا من أوطانهم بأولادهم ونسائهم، ولم يمكث إلا الذي ليس له إيراد من ذلك، وأتوا إلى مصر والشام، ومنهم من ذهب إلى إسلامبول يتشكون من الوهابي، ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين، لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها من إجراء الأرزاق، واتصال الصلات»[٢].

---

(١) المحمل: جمل ينصب عليه هودج ويزين بأنواع الزينة، يجعلونه في مقدمة قافلة الحجاج، ويحيطونه بكل مظاهر الحفاوة والتكريم، وربما جعلوا خلفه فرقة من الموسيقيين تنفخ الأبواق وتضرب الطبول. ينظر: تاريخ البلاد العربية السعودية (ص٢٩٤).

(٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، نقلاً عن مجلة البحوث، العدد ٦١ (ص٣٣٥).

ومن المعلوم أن الجبرتي شاهد منصف وليس له أي ميول في هذه القضية، وقد شهد الجميع بنزاهته وتثبته، بل حتى المستشرقين وصفوه بالنزاهة، ووصفوا تاريخه بأنه أعظم تواريخ مصر في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة[١].

ومن المستشرقين يقول بوركهاردت: «وكانت التصرفات المخزية لكثير من الحجاج الذين يملئون المدينتين المقدستين بشهواتهم المشينة، والرخص المفتوحة التي يمنحها رؤساء القوافل للفسق، وكل الرذائل التي تسير في ركب الغرور والأنانية، وأعمال الغدر والفساد الكثيرة التي يرتكبها الأتراك، من الأمور التي يعدّها الوهابيون نماذج للشخصية العامة للمسلمين الذين لم يتبعوا دعوة الإصلاح. وبالإضافة إلى ذلك فإنها تمثل معارضة محزنة لطهارة الأخلاق والعادات التي يتطلعون إليها، وللتواضع الذي يجب على الحاج أن يقترب به من الكعبة المشرفة»[٢].

ويبين لنا إليكسي أن الأصل في منع الحج كان من الأشراف فقال: «وعلى أثر انتقال محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية وصل إلى مكة ثلاثون فقيهًا وهابيًا للحصول على موافقة بالحج وإجراء حوار مع فقهاء مكة. واعتبر فقهاء مكة كما يفيد دحلان تعاليم الوهابيين زندقة فظيعة وكفرًا. وأمر شريف مكة بأن تنشر في كل مكان رسائل فيها أدلة تثبت كفر الوهابيين وبأن يقيد هؤلاء الكفرة بالسلاسل ويزج بهم في السجون. وتمكن قسم منهم من الفرار فحملوا إلى الدرعية أخبار ما حدث»[٣].

وبالمقابل ذكر إليكسي الأسباب التي جعلت أتباع الدعوة يمنعون بعض القوافل من الحج فقال: «أخذ الوهابيون يعيقون بمختلف الوسائل قوافل الحجاج من أرجاء

---

(١) ينظر: الدائرة ١١/ ٦٥، الجبرتي، ماكدونالد.

(٢) موارد لتاريخ الوهابيين (ص٢٢).

(٣) تاريخ العربية السعودية (ص١٢٦).

الإمبراطورية العثمانية، ومنها الشام ومصر، كانت قوافل الحجاج التي تتوارد على الحجاز سنويًا تحضر معها المحمل وهو عبارة عن هودج مزين بفخامة على ظهر جمل يحظى بالتقدير، وفي المحمل كسوة الكعبة أو نسخ من القرآن أو نفائس الأحجار الكريمة. ويسير مع الحجاج موسيقيون يعزفون على الطنبور والطبول وغيرها. وكان بعض الحجاج يحضرون معهم مشروبات وترافقهم محظيات. ولابد أن يثير ذلك تذمر الوهابيين لأنه يتعارض مع أصول الدين ومبادئهم الأخلاقية.

وطالب الوهابيون بأن تصل قوافل الحجاج إلى الحجاز بدون محمل وبدون آلات موسيقية»[(١)].

وقال بوركهاردت: «ولم يرفض الوهابيون السماح للحجاج من كل البقاع بدخول البلاد المقدسة بل إنهم كثيرًا ما عرضوا عليهم علنًا الإذن لهم بعبور سلمي بشرط أن يتصرفوا بلياقة»[(٢)].

وقال برائجس ردًا على أحد الفرنسيين وقد ألف كتابًا ادعى بأنه سمع من مقرب من سعود أن سعودًا ألغى الحج: «يجب على الفرنسي الأحمق الذي ذكر نسخ الحج أن يعرف أن سعودًا نهى عن التقاليد القبيحة في الحج، وأن أول عمل عمله بعد دخول مكة هو الطواف والعمرة»[(٣)].

ومن القضايا التي دندن حولها المغرضون شرب الدخان والقهوة، وحول هذه المسألة قال فضيلة الشيخ صالح الفوزان: «إن تحريم الدخان لم يختص به علماء الدعوة في نجد بل حرمه غيرهم من علماء الأمة لخبثه وضرره، والآن تقام أنشطة مكثفة للتحذير

---

(١) المرجع السابق (ص١٤١).

(٢) مواد لتاريخ الوهابيين (ص١٠٥).

(٣) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم، للندوي (ص ١٦٦).

من شرب الدخان وتوعية الناس بأضراره من قبل المنظمات الصحية العالمية. أما تحريم القهوة فهذا كذب ظاهر، وما زال علماء نجد وعامتهم يشربون القهوة في مختلف العصور، وهذه كتبهم وفتاواهم ليس فيها شيء يؤيد ما يقال، بل فيها ما يكذب ذلك»[١].

ويقول برائجس: «أما خبر تحريم القهوة فغلط محض»[٢]، ووافقه في هذا الرأي المستشرق روسو[٣].

ومما أثاره الخصوم قضية تسوية القبور وإزالة الأحجار والأشجار التي يتبرك بها، وفي الحقيقة إن هذا من فضائلهم، لأنهم ينفذون وصية الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**»[٤]. فأي عيب في ذلك إذا أزالوا مظاهر الوثنية، وعملوا بالسنة النبوية؟ يقول الشيخ عثمان التميمي في شرحه كتاب التوحيد: «وهكذا المشاهد التي على القبور، التي تتخذ أوثانًا تعبد من دون الله تعالى، والأحجار والأشجار التي تقصد للتعظيم والتبرك، والنذور والتقبيل، فلا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض بعد القدرة، فإن كثيرًا منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، لغلبة الجهل وظهوره، وخفاء العلم ودروسه، حتى صار المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا، والبدعة سنة، والسنة بدعة، ونشأ على ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقلّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، و﴿يـ يـ □ □ □ □ □ □ □﴾

---

(١) من أعلام المجددين (ص٨٥)، بتصرف يسير.

(٢) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم (ص ١٦٦).

(٣) ينظر: تاريخ البلاد العربية السعودية للعجلاني (١/ ٣٠٩).

(٤) رواه، مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر برقم (٢٢٤٣).

[الروم:٤١] ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمة ظاهرة، ولأهل الشرك والبدع مجاهدة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين»[1].

ومما يثار كذلك لبس الحرير والذهب، فإنهم ينقمون على الدعوة أنها تنهى عن لبس الحرير والذهب للرجال، والحقيقة أن هذا النهي ثابت في الشريعة الإسلامية، ولم يكن وليد قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع نهانا عن خاتم الذهب ولبس الحرير والديباج والاستبرق.. الحديث»[2].

وقال ﷺ: «**لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة**»[3].

ومما يعاب على الدعوة أنها تتشدد في حمل المسابح وفي هذه المسألة نص شرعي من السنة النبوية يحث على عقد الأصابع عند التسبيح حيث أمر النبي ﷺ النساء «**أن يعقدن بالأنامل، فإنهن مسئولات مستنطقات**»[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن المسابح: «وأما التسبيح مما يجعل في نظام من الخرز، ونحوه، فمن الناس من كرهه، ومنهم من لم يكرهه، وإذا أحسنت فيه النية فهو حسن غير مكروه، وأما اتخاذه من غير حاجة، أو إظهاره للناس مثل تعليقه في العنق، أو جعله كالسوار في اليد، أو نحو ذلك، فهذا إما رياء للناس أو مظنة المراءاة ومشابهة

---

(١) فتح الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ عثمان بن عبد العزيز التميمي، تحقيق د. سعود العريفي ود. حسين السعيدي (٢/ ٨٩١).

(٢) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب وجوب عيادة المريض، برقم (٥٦٥٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب الأكل في إناء مفضض، برقم (٥٤٢٦).

(٤) رواه أبو داود، كتاب الوتر بعد التسبيح بالحصى، برقم (١٥٠١)، وحسنه الألباني. ينظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود.

المرائين من غير حاجة، الأول محرم، والثاني أقل أحواله الكراهة...»(١).

ومما يثار كذلك تشددهم في تحريم الغناء والمعازف وفي هذا يقول تعالى: ﴿ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ﴾ [لقمان:٦]، وقد أقسم ابن مسعود رضي الله عنه أن المراد بلهو الحديث هو الغناء وقال ﷺ محذرًا أمته: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**»(٢).

فالأغاني والمعازف محرمة في شريعة الإسلام وهي منبت النفاق وبريد الزنا والعياذ بالله.

ومن الحديث السابق يتبين لنا تحريم الخمر وجاء كذلك النص القرآني بتحريمها حيث قال سبحانه ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ﴾ [المائدة: ٩٠].

ومما يثار كذلك قضية صلاة الجماعة وحث الناس عليها ولهم في ذلك أسوة في رسول الله ﷺ حيث قال: «**والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بحطب ليحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرِّق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده، لو يعلم أحدهم أنه يجد عَرْقا سمينًا، أو مِرْماتين حسنتين لشهد العشاء**»(٣)، بل إن النبي ﷺ لم يرخص للأعمى أن يصلي في بيته مع وجود عذر العمى وليس له قائد يقوده إلى المسجد(٤).

أما أكل الثوم والبصل فقد ورد الدليل بالنهي عن دخول المسجد لمن أكل ثومًا أو

---

(١) مجموع التفاوى (٢٢/ ٥٠٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر، برقم (٥٥٩٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة، برقم (٦٤٤).

(٤) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء، برقم (١٤٨٦).

بصلاً[١].

وليس صحيحًا أن الوهابيين كانوا يعتبرون النقاش جريمة كما يدعي لويس دوكرانسي وبرهانًا على عدم صحة ذلك، ما رواه ابن غنام وغيره من أن غالب بن مساعد شريف مكة أرسل إلى عبد العزيز يطلب علماء يناظرون علماء مكة في أصل الدين والتوحيد، وقد أجابه عبد العزيز إلى طلبه فأرسل إليه جماعة من العلماء كان كبيرهم حمد بن ناصر بن معمر وجرت المناظرة في شهر رجب من عام ١٢١١هـ[٢].

وعمومًا فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه كانوا من أبعد الناس عن الغلو والتشدد والتطرف وفي ذلك يقول حافظ وهبة: «إن النجديين أحرص الناس على محبة الرسول ﷺ، ولكنهم يكرهون الغلو ويقاومون البدع مهما كان نوعها، ومهما كان الدافع لها، ويقولون: إن المحبة للرسول هي الاهتداء بهدي الرسول واتِّباعُه أما الابتداع وتعطيل الشريعة وتقديم الأهواء فهو كراهة لا محبة. وفي القرآن ﴿ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ﴾ [آل عمران: ٣١]»[٣].

ومن آثار هذه الدعوة المباركة حلول الأمن في المجتمع ولا شك أن السبب في حلول هذا الأمن هو تطبيق الشريعة الإسلامية مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا سيما في بداية الدعوة وقد مر معنا قول المستشرق «ليتشمان» أن التشدد قد خفت حدته[٤]، وأظن أن كثرة الفوضى في البداية دعت إلى كثرة تطبيق الحدود والعقوبات ومع مرور الأيام صلح حال الناس فقلت جرائمهم وبالتالي قلَّت العقوبة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث، برقم (٨٥٥).

(٢) الوهابيون (ص٨٩)، هامش (٣).

(٣) جزيرة العرب (ص٣١٤).

(٤) ينظر: بلاد العرب القاصية (ص٢٢٨).

يقول بلجريف: «أنه لا يجوز أن نفترض أن الحركة الوهابية كانت شرًا محضًا ـ فقد أتاحت لنجد من الأمان ما لم يتح لها من قبل»[١].

ويقول بوركهاردت واصفًا كذلك الأمن: «ولقد سرَّ الأمنُ الذي نتج عن الإدارة الصارمة للعدل كل أولئك الذين كانوا معرّضين للنهب والفوضى من أي نوع. ولهذا فإن حاضرة نجد والحجاز واليمن أصبحوا مخلصين جدًا للنظام الجديد لأنهم عانوا كثيرًا من مساوئ الماضي وأصبحت القوافل المحملة بإنتاج البلاد تمرُّ عبر تلك المناطق دون التعرض لأذى. ولم يعد الناس أبدًا خائفين من تقطيع محصولاتهم أو تخريبها بأيدي القبائل الرحل»[٢].

ويقول أيضًا عن سعود رحمه الله: «فمن تلقى منه كلمة الأمان فهو محمي تمامًا من أي سوء وتصرّف يقوم به الجنود. ويذكر علامة على حسن عقيدة الوهابيين أن بعضًا منهم كانوا، أحيانًا، يُرون في الحرم يبحثون عن أصحاب الأشياء المفقودة وجدوها، ويرغبون في إيصالها إليهم»[٣].

ويقول أيضًا: «ولقد ضمن سعود دائمًا التجارة في مناطق حكمه بشرط ألا تكون قد تمت مع أولئك الذين يسمّيهم مسلمين مبتدعة»[٤].

ويقول أيضًا ذاكرًا آثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «ما زال أهل مكة يذكرون اسم سعود بالشكر والرضى حتى الآن وما زالت معاملة الجنود الطيبة تذكر

---

(١) الحركة الوهابية (١١٢).

(٢) مواد لتاريخ الوهابيين (ص٥٠).

(٣) المرجع السابق (ص٥٣).

(٤) المرجع نفسه (ص ٥٤).

بثناء ومدح بالخصوص ومعاملتهم في أيام الحج والزيارات. ولم يستطيعوا أن ينسوا تلك المعاملة العادلة التي شاهدوها من جيوشه.

وزيادة على هذا أجبر الناس كلهم على الصلاة مع الجماعة ودمرت آلات التمباك والملابس الحريرية وألغيت المكوس والرسوم التي لا يقرها الشرع الإسلامي.

وقضى على تعدد الجماعات في الصلوات وبدأ الناس يصلون وراء إمام واحد وبدأ علماء المذاهب المختلفة يصلون بالناس في أوقات مختلفة»[(١)].

وقال المستشرق شارل ديدييه عن الدعوة: «تقدم الوهابية للبدو مفاهيم أكثر صحة عن الألوهية، وعن مصير الإنسان على هذه الأرض، وعن واجبات الإنسان تجاه الإنسان. لقد فتحت أذهانهم على أفكار أكثر نبلاً، وقلوبهم على خلق أكثر سموًا، وعلمتهم احترام ملكية الآخر، واستأصلت عادة السرقة، فأصبحت الصحراء أكثر أمانًا من أكثر المدن حراسة لقد حاربت التعسف في الطلاق، وحدَّت من عادة الثأر، إن لم تستطع القضاء عليها تمامًا، وقد كان الثأر هو القانون العام لدى البدو، يتوارثون العداوة بسببه كابرًا عن كابر. وأبطلت بعض العادات الغريبة التي تشيع بين بعض القبائل، والتي تخالف الشريعة السماوية بقدر ما تخالف القوانين الإنسانية.. ولكن كل ذلك توارى تمامًا بفضل الدعوة الوهابية»[(٢)].

أما في التعامل والتسامح وعدم العنف فيقول «جان»: «ولما دخل الوهابيون مكة والمدينة عاملوا السكان معاملة حسنة»[(٣)]، ويقول أيضًا: «إن هذه الطبائع البسيطة تتفق كل الاتفاق مع الطبع العربي الذي لا يميل إلى المتعة، ولما كانت متفقة مع القرآن فإنها

---

(١) إسلامية لا وهابية (ص٢٩٦).

(٢) رحلة إلى الحجاز (ص٢٣٩).

(٣) ينظر: التذكرة في أصل الوهابيين (ص٣٦).

أعادت للجزيرة العربية ضربًا من الوحدة الأخلاقية، وساعدت في تحقيق الانتصارات التي حققها الوهابيون»[(١)].

وقال روسو: «وأصبح الوهابيون أكثر تسامحًا مع المسيحيين، بعد أن اكتشف سعود الكبير أن أهل الكتاب غير ملزمين بتغيير دينهم، وإنما يجب عليهم دفع الجزية»[(٢)].

ويقول المؤرخ الفرنسي «مانجان»: «كان الشيخ يحسن فن الإقناع، وكان يأسر القلوب بخلابة بيانه وحلاوة لسانه وكان صابرًا محتسبًا، يثق بالله تعالى فلا يهن ولا يجزع قط»[(٣)].

وتقول الباحثة الأمريكية (نت) بعد أن قرأت كتاب التوحيد وغيره من الرسائل: «لم أر أي شيء ينم عن العنف في هذه الرسالة على الإطلاق، بل كلام علمي معتدل عقلاني لا لبس فيه ولا غموض»[(٤)].

وقال بيتر برينت واصفًا أتباع الدعوة نقلاً عن علي بك: «ومع ذلك فقد وجد فيهم بعض صفات الفضيلة، فهم لا يسرقون ولا ينهبون بالقوة أو الحيلة إلا إذا كانوا على يقين من أن ما يستولون عليه يخص الأعداء أو الكفار، وكانوا يدفعون ثمن كل ما يشترونه أو أجرة أي خدمة تقدم لهم من أموالهم الخاصة، وهم يتبعون قوادهم ويطيعونهم طاعة عمياء[(5)]، ويتحملون جميع صنوف الشقاء والمشقة ويتبعون شيوخهم إلى أقصى المعمورة.

وقال: إنه اكتشف كثيرًا من العقل والاعتدال في أولئك الوهابيين الذين تحدث

---

(١) المرجع السابق (ص٣٥).

(٢) تاريخ البلاد العربية السعودية للعجلاني (ص٣٠٩).

(٣) المرجع نفسه (ص٣٢٤).

(٤) مجلة الدعوة العدد ١٨٩٩ (ص٣١).

(٥) هذا في غير معصية الله.

معهم»[1].

وقال إليكسي: «وقد انتشر على نطاق واسع في المطبوعات الأوروبية والعربية نعت الوهابيين بالصفاء والنقاوة»[2] ويقول لي ديفيد كوبر عن علي بك: «ولم يكن علي بك في بداية الأمر يحب الوهابيين مثله في ذلك مثل عدد من معاصريه، ولكنه ما لبث أن وجد فيهم خلالاً طيبة واعتدالاً عندما تعرف بهم وناقشهم في دينهم عند جبل عرفات. وأشار في عرقية ظاهرة إلى أنهم يمكن قبولهم كمتحضرين إذا توفرت لهم القيادة المناسبة، وكان يشعر بأن أغلب الأفكار والتصورات الخاطئة عن الوهابيين وسلوكهم مرده أن أغلبية الحجاج كانوا يخشونهم ويتحاشونهم، بل إننا لنجد علي بك لا يتوقف عن الإعجاب بنقاء الصحوة الوهابية حتى عندما سرقه بعض من أطلق عليهم حديثي العهد بالدعوة الوهابية. وقال: «إن هؤلاء الشباب الوهابي لم يبلغوا بعد درجة النقاء التي بلغها إخوان لهم بالمشرق»[3].

وقال لويس دوكورانسي واصفًا حسن الخلق والزهد في الدنيا: «لما كانت تعاليم عبد الوهاب تستند إلى حسن الخلق، فقد أعادت إلى عالم الوهابيين التقشف الذي كان عبد الوهاب يتمثل به، وكان أتباعه يجدون فيه مثالاً لبساطتهم إذ كان يشاركهم الحرمان العام، وكان البذخ منفيًا عنهم، والفاقة غريبة، لأنهم ما كانوا يطلبون من حاجة سوى الحاجات الضرورية، وقد تمكنوا بتقشفهم من الاستغناء حتى عن هذه الأخيرة»[4].

وفي كيفية أخذ الزكاة يقول بوركهاردت: «ولم تكن الضرائب التعسفية معروفة على

---

(١) بلاد العرب القاصية (ص١٠٣)، وينظر كذلك إسلامية لا وهابية (ص٣٤٩).

(٢) تاريخ العربية السعودية (ص١٠٤).

(٣) الحركة الوهابية (ص١٠٠).

(٤) الوهابيون (ص١١٩).

الإطلاق في المناطق الوهابية، إذ لم يطلب من أحد أن يدفع أكثر مما كان عليه أن يدفعه إلى جباة الزكاة أو ضريبة جزاء عن جرم ارتكبه[(١)] وكان الأغنياء محميين تمامًا من جشع الحكومة. وربما كانت تلك البلاد هي الوحيدة في الشرق التي يحدث فيها ذلك الأمر. فتجار مكة الأغنياء الذين تحوي مستودعاتهم أحسن الملابس البدوية لم يجبروا أبدًا على دفع أي مبلغ من المال، بل لم يجبروا على إهداء أية هدايا ثمينة إلى سعود»[(٢)].

ويقول إليكسي في الجانب الأخلاقي: «بديهي أن المذهب الوهابي ينطوي على طائفة من الأصول الأخلاقية الصالحة لمختلف فئات السكان. فقد أوصت الوهابية الناس بالطيبة والحرص وتنفيذ الوعود التي يقطعونها على أنفسهم وبالصبر والصدق ومساعدة الضرير وعدم ممارسة الافتراء والنميمة والثرثرة. وأدانت الوهابية البخل والحسد وشهادة الزور والجبن. وحددت الوهابية أدق تفاصيل السلوك البشري. وقدمت النصائح فيما يخص كيفية الضحك والعطاس والتثاؤب والمعانقة والمصافحة والتنكيت وهلم جرا»[(٣)].

وفي الحقيقة أن هذه آداب شرعية سنها الرسول ﷺ واتبعه فيها كثير من المسلمين وليست خاصة بالوهابيين كما يزعم.

وبعد هذا البيان يتضح لكل منصف حقيقة ما عليه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وموقفها من استحلال الدماء والقتل والعنف والغلو والتطرف. وما تتميز به كذلك من حسن الأخلاق والمعاملة مع المسلمين وغير المسلمين.

---

(١) الديات والعقوبات التعزيرية المالية.

(٢) مواد لتاريخ الوهابيين (ص٤٩).

(٣) تاريخ العربية السعودية (ص١٠٦).

الفصل الخامس

دعوى رفض الحضارة الغربية

دعوى رفض الحضارة الغربية

الله سبحانه وتعالى خلق الأمم والشعوب، وجعل هذه الأمم يخلف بعضها بعضًا، وجعل لكل أمة نمطًا ومنهجًا للحياة يلائم بيئتها ويصلح شأنها ويتناسب مع فطرتها وقدرتها.

وكل أمة من هذه الأمم لها حضارتها وثقافتها الخاصة بها، ثم جاء الإسلام في أمة محمد ﷺ الذي أقر بعض ما يتناسب من تلك الأمم مع الأمة المحمدية وألغى ما سوى ذلك وأتى بشريعة ناسخة لما قبلها صالحة لكل زمان ومكان.

وكل شريعة كان لها أعداؤها المناوؤن لها، وكذلك الشريعة التي أتى بها محمد ﷺ، وهذه سنة التدافع الكونية ﴿ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې﴾[البقرة:٢٥١].

فالرسول ﷺ قد دافع المشركين والمنافقين وأهل الكتاب في عصره، وكذلك الخلفاء من بعده واستمر هذا التدافع إلى يومنا هذا حتى انقسم العالم إلى الشرق والغرب، والشرق في عمومه إذا أطلق فإنه يراد به العالم الإسلامي على وجه الخصوص باستثناء روسيا والصين وأفريقيا وما جاورها وإن كانت تقع في الشرق، والحديث عن العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب، يعتبر من أكثر الموضوعات التي احتلت حيزًا واسعًا في أدبيات الفكر الإسلامي الحديث، ونشأ ما يسمى بصدام الحضارات ومن أبرزها «الإسلام والغرب».

وأخذ هذا العالم صورًا متقلبة بين الصراع العسكري والفكري والثقافي والاقتصادي.

وحرص الغرب على السيطرة على مقدرات الشعوب الإسلامية، واهتم كذلك بزعزعة عقائد المسلمين، وتبديل أخلاقهم وربط مصيرهم بالفكر الغربي وذلك من

خلال أبواق لهم من بني جلدتنا فبدءوا ينادون بمسايرة الحضارة الغربية، فيا ترى ما الحضارة الغربية وما موقف الإسلام منها وما موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه منها على وجه الخصوص؟، هذا ما سنتناوله في هذا الفصل إن شاء الله:

✍ أولاً: تعريف الحضارة الغربية:

هذه العبارة تحمل كلمتين هما الحضارة والغرب وسنعرف كلاً على حده ثم نجمل التعريف.

(أ) تعريف الحضارة:

الحضارة في اللغة: جاء في لسان العرب مجموعة المعاني التالية:

الحضور نقيض المغيب والغيبة. وبمعنى «عنده»، نقول: كنا بحضرة ماء، ورجل حاضر. قرب الشيء: الحضرة، وتقول: كنت بحضرة الدار. الحضر خلاف البدو، والحضارة الإقامة في الحضر. الحاضرة: الحي العظيم[(١)].

الحضارة في الاصطلاح:

ظهرت تعريفات كثيرة ومتنوعة للحضارة، واختلف مفكرو الغرب في التعريف واختلف العلماء المسلمون كذلك.

ومن أبرز تعريفات الغرب[(٢)] ما قاله (ول ديورانت) بأنها: «نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، والحضارة تتألف من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ من حيث ينتهي الاضطراب والقلق».

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (حضر)، (٤/ ١٤٨).

(٢) ينظر: الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر، د. طه جابر العلواني (ص١١٤)، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

ويعرِّفها ألبرت شفيتزر بأنها «التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء».

أما بالنسبة لعلماء المسلمين[1] فهذا مالك بن نبي يعرفها بأنها: «مجموع الشروط الأخلاقية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له».

أما سيد قطب فإنه يعرف الحضارة بالإسلام، ويوافقه في ذلك أبو الأعلى المودودي[2].

ولعلهما ذهبا في ذلك إلى الصورة المثالية والتكاملية لمعنى الحضارة، وهذه بلا شك لا تكون إلا بالإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا ومنهاج حياة، لكن ليس معنى هذا أن نلغي ما عند الشعوب الأخرى من عمران تدخل تحت مسمى الحضارة.. وإن كانت متفاوتة بين أمة وأخرى.

(ب) تعريف الغرب:

الغرب خلاف الشرق، وهوا لمغرب، وقوله تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ﴾ [الرحمن:١٧] أحد المغربين أقصى ما تنتهي إليه الشمس في الصيف، والآخر أقصى ما تنتهي إليه في الشتاء، والغرب حد كل شيء[3].

الغرب في الاصطلاح:

يطلق الغرب على البلاد الواقعة تجاه الغرب، وهي ما تقابل بلاد الشرق أي بلاد

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص١١٦).

(٢) ينظر: المرجع نفسه (ص١١٦).

(٣) ينظر: لسان العرب مادة (غرب)، (١١/ ٢٣).

الترك والعرب[١].

والغرب اصطلاح حديث، اصطلح عليه الأوروبيون في عصور الاستعمار، من تقسيم العالم إلى شرق وغرب، كما مر معنا في تعريف الاستشراق.

✍ ثانيًا: أهداف الحضارة الغربية في علاقتها بالإسلام والمسلمين:

قال تعالى مبينًا حال اليهود والنصارى وسائر الكفار مع المسلمين: ﴿ک ک ک ک گ گ گ گ گ﴾ [البقرة:٢١٧]، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ: «وهذا الوصف عام لكل الكفار، لا يزالون يقاتلون غيرهم، حتى يردوهم عن دينهم، وخصوصًا، أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، لجذب الأمم إلى دينهم، وإدخالهم عليهم، كل ما يمكنهم من الشبه، التي تشككهم في دينهم»[٢].

وهذه الآية تنطبق في عصرنا فهؤلاء الغرب يوجهون سهامهم ضدنا لتحقيق مآربهم ومخططاتهم، وبناء على ذلك جعلوا مجموعة من الأهداف نوجزها فيما يلي[٣]:

أولاً: الأهداف الدينية:

١ـ محاولة فصل الدين عن الحياة، ليكون الدين علاقة بين العبد وربه لا صلة له بالحياة.

يقول الدكتور سفر الحوالي عندما تحدث عن الجهود العملية للمستشرقين بأنهم قالوا: «إن الإسلام طقوس وشعائر روحية أو على أحسن الأحوال دين بالمفهوم الغربي

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط مادة (غرب) (٢/ ٦٤٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (١/ ١٧٣).

(٣) ينظر: تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر: عبد اللطيف الحسين، (ص١٤٥)، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٩هـ.

الضيق، فلا دخل له بأمور الحكم والحياة الاجتماعية والنشاط الاقتصادي»[(١)].

ويقول كرومر: «إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين: ولكنه فاشل كنظام اجتماعي، فقد وضعت قوانينه لتناسب الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، ولكنه مع ذلك أبدي لا يسمح بالمرونة الكافية لمواجهة تطور المجتمع الإنساني»[(٢)].

٢ـ إضعاف عقيدة الولاء والبراء عند المسلمين، وزعزعتها في النفوس.

ويتضح ذلك جليًا من خلال الدعوة إلى الدين العالمي فهذا كالفرلي يقول: «وحينما يصبح في مقدور الجميع الوقوف على كل المعلومات المجردة عن الهوى، وحينما يصبح الجميع أحرارًا في تفكيرهم، لهم من الشجاعة ما يجعلهم يتقبلون ما هو خير وعدل وجميل، عندئذ يكون من المحتمل أن يسود العالم دين واحد. وإني سأكون سعيدًا باتباع دين عالمي موحد، تنبع مصادره من حقائق التاريخ، وتشمل مبادئه العدالة الاجتماعية، وتقوم بفضله مظاهر الحب والإخاء على أنقاض الكراهية والخصومة»[(٣)].

٣ـ إشاعة الفرقة والعداء بين المسلمين بناء على قاعدة «فرق تسد».

حرص الغرب على هذا الهدف أيما حرص والسبب في ذلك أن إشاعة الفرقة بين المسلمين تساعد الغربيين وتسهل لهم الطريق إلى الاستعمار ومن هنا يقول: «لورانس براون»: «إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم

---

(١) العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها، لسفر الحوالي (ص٥٤٦)، مكتب الطيب، القاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. د. محمد محمد حسين (١/ ٢٤٠)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢.

(٣) الإسلام والحضارة الغربية، د/ محمد محمد حسين (ص١٣٨)، دار الرسالة، السعودية، ط٩، ١٤١٣هـ.

وخطرًا، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضًا، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذٍ بلا قوة ولا تأثير»[١].

٤ـ دعوة الناس إلى النصرانية.

ولهم في تحقيق هذا الهدف جهود حثيثة، بل ودعا أفرادهم إلى تبني هذا المشروع ـ مشروع التنصير ـ فهذا القسيس لبسيوس يقول في منشور له: «إن الشرق يدعو الغرب لشد أزره فجعل ما نتوخاه أن نحرر الشرق بواسطة السيد المسيح ونخلص الكنائس المسيحية من ظلم الإسلام، ونفتح طريقًا للسيد المسيح بإرجاع هذه الكنائس سيرتها الأولى. هلموا إلى قلب العالم الإسلامي، لنحرز فوز الصليب على الهلال»[٢].

٥ـ قيام دولة اليهود في فلسطين.

سعى اليهود تحت ظل الحماية الغربية إلى قيام دولتهم بأرض فلسطين ففي عام ١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م، عقد اليهود مؤتمرًا في بال بسويسرا برئاسة زعيمهم هرتسل نص فيه على أهم هدف لهم وهو: «إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين تحت حماية القانون العام»، وجاء ضمن اتفاقية سايكس ـ بيكو في ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م: «توضع فلسطين تحت إشراف بريطانيا»، وفي عام (١٣٦٧ ـ ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩م) بمؤازرة الغرب عمومًا، أعلن اليهود عن إقامة الكيان الإسرائيلي في فلسطين، ثم في منتصف القرن العشرين، في الخمسينات على وجه التحديد قررت الولايات المتحدة الأمريكية أن ترث النفوذين البريطاني والفرنسي في المنطقة لتحقق الأهداف نفسها التي كان يحققها هذان النفوذان، وبهذا فقد استولى اليهود في حرب (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، لعبد الرحمن حسن حبنكة (ص٣٠٩).

(٢) الغارة على العالم الإسلامي، أ. ل شاتليه، ترجمة محب الدين الخطيب (ص٨٨)، بيروت.

على القدس الإسلامية[(١)].

٦ـ إسقاط مفهوم الجهاد.

اتخذ الغرب أساليب متنوعة في إسقاط مفهوم الجهاد فمن ذلك: إطلاق الشبهات بأن الإسلام انتشر بالسيف، وأن الناس أكرهوا على الدخول فيه، وتفريغ الجهاد من مضامينه، باصطناع البدائل كالقتال في سبيل الوطنية والحرية والأرض، واصطناع الفرق العميلة واستغلال المنظمات الدولية المندسة في شعوب العالم الإسلامي لإلغاء الجهاد وغير ذلك[(٢)].

وممن دعى إلى إسقاط الجهاد المستشرق «أندرسون» حيث إنه يرى: «أن الجهاد لا يتفق مع الأوضاع الدولية الحديثة لارتباط المسلمين بالمنظمات العالمية والمعاهدات الدولية. ولأن الجهاد هو الوسيلة لحمل الناس على الإسلام، وأوضاع الحرية ورقي العقول لا يقبل فكرة تفرض بالقوة»[(٣)].

ثانيًا: الأهداف الثقافية:

١ـ نقل الفكر الغربي ومذاهبه إلى المسلمين، ومن ذلك الحرية والقومية، ووحدة الأديان.

يسعى الغرب لتفوقه العسكري والمادي أن يهيمن على المجالات الفكرية والثقافية، وأن ينشر أفكاره ومبادئه، وفي هذا يقول نيكسون مؤكدًا أهمية الريادة الفكرية في نشر الثقافة والمبادئ في العالم: «إن على أمريكا أن تقوم بدور الريادة في العالم لتنشر أفكارها ومبادئها وتكون مثلاً يحتذى بين دول العالم، وتثبت أنها لا تملك تطلعات إمبريالية أو

---

(١) ينظر: تسامح الغرب مع المسلمين (ص١٥٧).

(٢) أجنحة المكر الثلاثة (ص٢٦٧) بتصرف.

(٣) تسامح الغرب مع المسلمين (ص١٦٠).

استعمارية تجاه الدول الأخرى»[1].

٢ـ توجيه التربية والتعليم:

التعليم من أقوى وسائل التوجيه، ويزداد تأثيره إذا كان يوجه جميع شرائح المجتمع من مهندسين وأطباء ومعلمين ومهنيين وغيرهم، ومن هنا فقد حرص الغرب على توجيه التعليم ليحقق لهم جزءًا من أهدافهم وآمالهم وذلك من خلال التغيير دون أن يتيقظ الناس لهذا التغيير فهذا ـ اللورد كرومر ـ حينما بدأ حكمه في مصر، شكاه المبشرون إلى الحكومة البريطانية بدعوى أنه يضيق عليهم، فلما أرسلت الحكومة البريطانية الشكوى إليه ليرد عليها، جمع المبشرين وقال لهم: هل تتصورون أنني يمكن أن أضيق عليكم؟! ولكنكم تخطفون الأطفال من الشوارع، وتخطفون الرجال لتنصيرهم، فتستفزون المسلمين فيزدادون تمسكًا بدينهم، ولكني اتفقت مع شاب تخرج قريبًا في كلية اللاهوت بلندن، ليضع سياسة تعليمية ستحقق جميع أهدافكم»[2]. فهذا الاعتراف من كرومر يؤكد مدى حساسية التعليم ودوره في توجيه الأفراد والمجتمعات.

وقد فطن الغرب لهذه الحقيقة فبذلوا جهودهم لتوجيه التربية والتعليم في بلاد المسلمين.

٣ـ تحويل السلوك عن طريق التقليد والتبعية.

سعى الغربيون إلى تحويل سلوكيات المسلمين عن طريق التبعية والتقليد، وقد صرح بذلك كرومر بقوله: «إن الإسلام بطبيعة تعاليمه، عدو للحضارة الأوروبية، وإن المسلم غير المتخلق بأخلاق الأوروبيين، لا يقوى على حكم مصر في هذه الأيام، لذلك سيكون المستقبل الوزاري للمصريين المتربين تربية أوربية»[3].

---

(١) المرجع السابق (ص١٧٧).

(٢) واقعنا المعاصر، محمد قطب (ص٢١٦)، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة، ط٣، ١٤١١هـ.

(٣) تسامح الغرب مع المسلمين (ص١٨٢).

ثالثًا: الأهداف الاجتماعية:

١ـ صبغ المجتمع المسلم بالصبغة المادية.

أحس الغرب بتقدمه المادي والاجتماعي على العالم الإسلامي فبدأ يردد أن سبب تخلف المسلمين هو الإسلام وأنه لا يصلح لتنظيم المجتمع الجديد المعاصر ومن هنا فقد شرع في صبغ المجتمعات الإسلامية بالصبغة المادية ولأجل ذلك فقد عقد العديد من المؤتمرات والندوات كمؤتمر السكان العالمي الأول سنة (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م) ومؤتمر السكان العالمي الثاني سنة (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٤م)، ومن أواخر المؤتمرات المعقودة تحت إشراف الأمم المتحدة، المؤتمر الدولي الثالث للسكان والتنمية بالقاهرة سنة (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، وكان جُلُّ هذه المؤتمرات يركز على الإباحية وترك الفضيلة[١].

ومن المعلوم أن المجتمع إذا أصبحت نظرته مادية فإنه سيتخلى عن المبادئ والقيم والأخلاق الإسلامية وهذا هو ما يسعى الغرب إلى تحقيقه.

٢ـ إفساد المرأة المسلمة.

أدرك الغرب دور المرأة في الحياة الاجتماعية ورأوا أن من الوسائل التي تعينهم على تغيير المجتمعات الإسلامية الاهتمام بتحرير المراة ومن ثم إفسادها لتكون كالمرأة الغربية، فهذا المستشرق ـ جلاد ستون ـ يبين لنا حقيقة هذا الهدف ومدى أثره على المجتمع الإسلامي فيقول: «لابد لاختلال قوى الإسلام من رفع الحجاب عن وجه المرأة المسلمة، ونغطي به القرآن، ولا بد من إتيان المسكرات والمخدرات والفواحش والمنكرات»[٢].

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص١٩٠).

(٢) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د. سعد الدين السيد صالح (ص٢٠٧)، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط١، ١٤١٩هـ.

فإذن هم يسعون إلى إفساد المجتمع من خلال إفساد المرأة ومن خلال المناداة بحقوقها والمساواة مع الرجل.

رابعًا: الأهداف السياسية:

١ـ تقلد غير المسلمين المناصب المهمة في بلاد المسلمين.

إن للمنصب دورًا في التأثير، ومن أجل ذلك حرص الغرب على نبش العقائد الميتة أو تنظيم الطوائف غير الإسلامية وذلك من أجل التمهيد لتولي المناصب مستثيرين حقدهم على المسلمين بالزعم بأن الفتح الإسلامي كان استعمال لهم وأن المسلمين متعصبون ضدهم[(١)].

٢ـ تشجيع الأحزاب المناهضة للدين.

استهدف الغرب تحويل الجهاد الإسلامي إلى حركات سياسية ووطنية كما أشرنا إلى ذلك سابقًا ومن ذلك إثارة النعرات والأحزاب وإثارة مشاعر الاستقلال والتحرر في الشعوب الإسلامية، وهذه من العوامل التي تساعد على مد النفوذ الغربي ولهذا فقد قال زويمر: «تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها»[(٢)].

٣ـ التبعية السياسية، من خلال إخضاع سائر الدول المستعمرة له سياسيًا حتى بعد رحيله منها.

وفي هذا يقول ولسون: «إن القيم القومية الأمريكية تتطابق مع القيم الشاملة للتقدم الليبرالي، وإنه ينبغي على أمريكا بحكم رسالتها الاستثنائية قيادة الإنسانية نحو نظام الغد العالمي»[(٣)].

---

(١) ينظر: العلمانية (ص٥٤٠).

(٢) الغارة على العالم الإسلامي (ص٣٠).

(٣) تسامح الغرب مع المسلمين (ص٢١٢).

خامسًا: الأهداف الاقتصادية:

١ـ إشاعة الربا:

استهدف الغرب إشاعة الربا في العالم الإسلامي بدعوى أنه النظام الوحيد الذي يمكن عن طريقه تجميع المدخرات لتمويل التنمية الاقتصادية وعلى أساس التسامح في تبادل رؤوس الأموال وسرعة دورانها، وأن هذا هو السبيل لانتقال العالم الإسلامي من العصور المظلمة إلى عصر التنوير، ومن عصور التخلف والانحطاط إلى عصر النمو والتقدم والعلم كما يزعم أدعياء التقدم والتنوير[1].

وللأسف بدأ بعض المسلمين يلهثون وراء هذه المصارف الربوية، حتى أصبح الذي لا يأكل الربا يصيبه غباره.

٢ـ تطبيق النظام الرأسمالي:

وهذا النظام يقوم بالدرجة الأولى على المصالح الشخصية دون نظر للآخرين والنظام الرأسمالي يحرص الإنسان فيه على جمع الثروة ولو على حساب الآخرين الضعفاء. وبناء على هذا إذا أريد توفير الرفاهية للأمة فلابد من ترك كل فرد يستغل أقصى إمكانياته لتحسين مركزه بشكل ثابت منظم دون تقيد بأي قيود. [2].

٣ـ التبعية الاقتصادية:

تمكن الاستعمار الغربي أن يبسط سلطانه على بلاد الإسلام ففرض نظامه الاقتصادي مع فلسفته ونظرياته الاقتصادية، ومن أهم الآثار الاقتصادية التي خلفها الاستعمار في العالم الإسلامي[3]:

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص٢٢٤).

(٢) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب (ص٤٧٣).

(٣) ينظر: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة (ص٢٤٤).

١ـ وجه الاستعمار موارد البلاد الإسلامية إلى مصالحه الخاصة، حتى أصبحت معظم الشركات أجنبية تدار لمصالح استعمارية.

٢ـ احتكار التجارة الخارجية للبلاد الإسلامية ومعظم التجارة الداخلية.

٣ـ محاربة الصناعات الوطنية في العالم الإسلامي.

٤ـ إيقاع الدول الإسلامية الفقيرة في فخ الديون للبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي.

✍ ثالثًا: موقف أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الحضارة الغربية في نظر المستشرقين:

في السنوات الأخيرة، وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م بصفة خاصة كثرت كتابات الغربيين عن العلاقة بين الإسلام والغرب تحت عناوين مختلفة مثل «صراع الحضارات»، «الإسلام والغرب»، و«الأصولية الإسلامية»، وغيرها.

وفي الحقيقة أن الهدف من كل ذلك هو محاربة المسلمين وتشويه صورة الإسلام.

ومن أبرز الذين تعرضوا لتلك الاتهامات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، فقد وجهت لهم التهم قديمًا وحديثًا بأنهم من الناقمين على الحضارة الغربية وأهلها.

قال جان جاك في معرض حديثه عن «الإخوان»: «إن نهضة الإخوان الأخيرة هذه بالغة الخطورة لأن هؤلاء المحاربين الوهابيين المتعصبين قد عارضوا دائمًا بشدة إدخال التكنيك الغربي إلى المملكة، وكل تقدم يبدو في نظرهم مفسدًا»[(١)].

أما بيتر برينت فقد وصف أتباع الدعوة ببعدهم عن الحضارة والمدنية[(٢)] ويؤكد توماس أرنولد على اثنين من العوامل الرئيسة التي مارست دورها «في تنشيط الدعوة في

---

(١) جزيرة العرب، جان جاك (ص٧٤).

(٢) ينظر: بلاد العرب القاصية (ص١٠٣).

العالم الإسلامي» وبالتالي في تعزيز المجابهة الإسلامية للصدمة الغربية، وأول هذين العاملين هو «انتعاش الحياة الدينية التي يبدأ تاريخها من حركة الإصلاح الوهابية في القرن الثامن عشر»[١].

ويؤكد المستشرق البريطاني (كب) الدور الفعال للحركة الوهابية في اتجاهي تطهير الذات الإسلامية من العناصر الخرافية الدخيلة الطارئة من جهة، ومجابهة عالم الإسلام للصدمة الغربية من جهة أخرى[٢].

أما برنارد لويس فقال: «والأصوليون معارضون للغرب من حيث إنهم ينظرون للغرب على أنه مصدر الشر الذي يعمل على تآكل المجتمع الإسلامي»[٣].

ثم إنه أظهر تخوفه من انتشار التعليم المدعوم من أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانتشاره في أوساط الأقليات الإسلامية وبالذات في أوروبا وأمريكا الشمالية[٤].

ومن هنا تتبين نظرة المستشرقين إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وموقفها من الحضارة الغربية.

والمتأمل في كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسائله يجد أن الشيخ رحمه الله لم ينص على نبذ الحضارة الغربية، بل لم يتطرق إليها ألبتة ولعل من الأسباب في ذلك ما يلي:

١ـ انشغال الشيخ بدعوة الناس إلى التوحيد داخل الجزيرة وانشغاله كذلك بالإصلاحات الداخلية.

---

(١) نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله، د. عماد الدين خليل (ص٣٤)، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢) المرجع نفسه (ص٣٥).

(٣) الإسلام وأزمة العصر، برنارد لويس، ترجمة أحمد هيكل (ص٦٩).

(٤) ينظر: المرجع نفسه (ص١٤٥).

٢ـ انشغال الشيخ بخصوم الدعوة الداخليين، الذين كانوا يفترون على الشيخ ودعوته، وهذه الجبهة كانت قوية ولها مؤيدون ولا سيما من الدولة العثمانية والأشراف، فانشغاله بهذه الجبهة ربما قد شغله عن الغرب.

٣ـ إن بلاد نجد لم يدخلها الاستعمار في يوم من الأيام، فكانت نجد بعيدة نوعًا ما وفي عزلة عن العالم الخارجي وفي هذا يقول الأستاذ محمد جلال كشك: «إن قراءة كتب محمد بن عبد الوهاب ومنشوراته تعطي انطباعًا وكأنه يعيش خارج التاريخ، فليس له من تعليق على حدث معاصر خارج محيطه...»[1].

وقال أيضًا: «صحيح أنه لم يواجه قوة أوروبية بشكل مباشر وشامل، لا هو ولا خلفاؤه، فقد شغلتهم حروبهم مع الرافضين المسلمين والعرب»[2].

فإذن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لم يعرِّج على قضية أو مسالة تتعلق بالحضارة الغربية بشكل مباشر.

ولكن للشيخ رحمه الله بعض المسائل التي تتحدث عن قضايا لها علاقة بالحضارة الغربية لكن بطريق غير مباشر، مثل قضية الولاء والبراء، وكيفية التعامل مع المشركين والجهاد لأعداء الله، والموقف من أهل الكتاب ونحو ذلك.

وعليه فإن شغل الشيخ الشاغل هو تصحيح العقيدة وربط الإنسان بربه فإذا صلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، وإذا عرف الحق عرف الباطل وميزه وإن لم يقل إن هذا باطل.. فتقرير العقيدة وتصحيحها كان للحذر واطراح كل ما يخالفها بأي لون أو لغة أو مكان.

---

(١) السعوديون والحل الإسلامي، محمد جلال كشك (ص٨٧)، المطبعة الفنية، القاهرة، ط٤، ١٤٠٤هـ.

(٢) المرجع نفسه (ص١٠٩).

رابعًا: موقف علماء الإسلام من الحضارة الغربية:

من خصائص الشريعة الإسلامية أنها صالحة لكل زمان ومكان، فهي تواكب المستجدات، وما يطرأ على الكون من متغيرات ومخترعات، ولكن من رحمة الله بخلقه أن جعل العلماء الذين هم ورثة الأنبياء يوضحون للناس ما التبس عليهم من الأحكام المستجدة دون الخروج عن مصادر الشريعة.

ومن جملة المستجدات ما يسمى بالحضارة الغربية، وإن كانت في الأصل موجودة لكن بغير هذا الاسم، فكانت فارس والروم حضارتين لها وزنها في عهد النبي ﷺ، فاستفاد النبي ﷺ من حضارة الفرس بحفر الخندق، وكان ﷺ كثيرًا ما يبشر أصحابه بالاستيلاء على تلك الحضارتين العظيمتين، قال عليه الصلاة والسلام: «**تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله**»[(١)]، وفي هذا التبشير بيان للمسلمين أنهم سيستفيدون من تلك الممتلكات والمخترعات، بل وينقلونها إلى ديارهم بصورة الغنائم وليس في ذلك بأس.

ومن هنا بعد هذه الفتوحات العظيمة كان لأهل العلم موقف من تلك الحضارات.

فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: «الانتفاع بآثار الكفار والمنافقين في أمور الدنيا، فهذا جائز، كما يجوز السكنى في ديارهم، ولبس ثيابهم وسلاحهم، وكما تجوز معاملتهم على الأرض، كما عامل النبي ﷺ يهود خيبر، وكما استأجر النبي ﷺ هو وأبو بكر لما خرجا من مكة مهاجرين «ابن أريقط» - رجلاً من بني الدِّيل - هاديًا خريتًا، والخريت الماهر بالهداية، وائتمناه على أنفسهما ودوابهما، وواعداه غار ثور صبح ثالثة، .. وكان أبو طالب ينصر النبي ﷺ ويذب عنه مع شركه، وهذا كثير.

فإن المشركين وأهل الكتاب فيهم المؤتمن، كما قال تعالى: ﴿گ گ ں ں ڻ ڻ ۀ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال، برقم (٧٢٨٤).

ڈ ۀ ۀ ہ ۂ ۂ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ﴾ [آل عمران: ٧٥] ولهذا جاز ائتمان أحدهم على المال، وجاز أن يستطب المسلم الكافر إذا كان ثقة، نص على ذلك الأئمة كأحمد وغيره، إذ ذلك من قبول خبرهم فيما يعلمونه من أمر الدنيا وائتمان لهم على ذلك، وهو جائز إذا لم يكن فيه مفسدة راجحة، مثل ولايته على المسلمين وعلوه عليهم ونحو ذلك.

فأخذ علم الطب من كتبهم مثل الاستدلال بالكافر على الطريق واستطبابه، بل هذا أحسن. لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة وليس هناك حاجة إلى أحد منهم بالخيانة، بل هي مرد انتفاع بآثارهم كالملابس والمساكن والمزارع والسلاح ونحو ذلك»(١).

فيتضح من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لا بأس أن يستفيد المسلمون من غيرهم ومن ذلك الاستفادة من النظريات العلمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تناسب المسلمين ونقلها إلى بلادهم بعد التأكد من مدى نفعها لهم وعدم وجود الضرر منها.

ومن مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تخرج العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي وقد وافق شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمة الله على الجميع ـ فقال: «وإذا رأوا ـ أي المسلمين ـ مصالحهم تتوقف على الاستعداد بالفنون الحديثة، والاختراعات الباهرة، سعوا لذلك بحسب اقتدارهم، ولم يملكهم اليأس والاتكال على غيرهم الملقي إلى التهلكة، وإذ عرفوا ـ وقد عرفوا ـ أن السعي لاتفاق الكلمة، وتوحيد الأمة، هو الطريق الأقوم للقوة المعنوية، جدُّوا في هذا واجتهدوا، وإذا رأوا المصلحة في المقاومة والمهاجمة، أو في المسالمة والمدافعة بحسب الإمكان، سلكوا ما تعينت مصلحته... ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ۇ ۆ

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١١٤).

ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ﴾ [الأنفال:٦٠] فهذه الآية نص صريح بوجوب الاستعداد مما لا يمكن حصر أفراده، وفي كل وقت يتعين ما يلائم ذلك الوقت ويناسبه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ﴾ [النساء:٧١] ونحوها من الآيات التي أرشد الله فيها إلى التحرز من الأعداء، فكل طريق وسبب يتحرَّز به من الأعداء فإنه داخل في هذا، ولكل وقت لَبُوسُه»(١).

وثمة مجموعة من أهل العلم يسيرون على نفس خطى المنهج السلفي الذي سار عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ وقد بينوا موقفهم من الحضارة الغربية، فهذا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ بعد أن بين أن الحضارة الغربية غنية بأنواع المنافع المادية، مفلسة إفلاسًا كليًا من الناحية الروحية، قال: «ومعلوم أن طغيان المادة على الروح يهدد العالم أجمع بخطر داهم، وهلاك مستأصل، كما هو مشاهد الآن، وحلّ مشكلته لا يمكن البتّة إلا بالاستضاءة بنور الوحي السماوي الذي هو تشريع خالق السماوات والأرض، لأن من أطغته المادة حتى تمرد على خالقه ورازقه لا يفلح أبدًا.

والتقسيم الصحيح يحصر أوصاف المحلّ الذي هو الموقف من الحضارة الغربية في أربعة أقسام لا خامس لها، حصرًا عقليًا لا شك فيه:

الأول: ترك الحضارة المذكورة نافعها وضارّها.

الثاني: أخذها كلها ضارّها ونافعها.

الثالث: أخذ ضارّها وترك نافعها.

الرابع: أخذ نافعها وترك ضارّها.

فنرجع بالسبر الصحيح إلى هذه الأقسام الأربعة، فنجد ثلاثة منها باطلة بلا شك،

---

(١) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به د/ خالد السبت، (ص٩٣)، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢١هـ.

وواحدًا صحيحًا بلا شك.

أما الثلاثة الباطلة: فالأول منها تركها كلها، ووجه بطلانه واضح، لأن عدم الاشتغال بالتقدم المادي يؤدي إلى الضعف الدائم، والتواكل والتكاسل، ويخالف الأمر السماوي في قوله جل وعلا: ﴿ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ﴾ [الأنفال:٦٠].

القسم الثاني من الأقسام الباطلة: أخذها، لأن ما فيها من الانحطاط الخلقي وضياع الروحية والمثل العليا للإنسانية ـ أوضح من أن أبيّنه. ويكفي في ذلك ما فيها من التمرد على نظام السماء، وعدم طاعة خالق هذا الكون جل وعلا ﴿ﮨ ﮩ ﮪﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ﴾ [يونس:٥٩]، ﴿ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ﴾ [الشورى:٢١].

والقسم الثالث من الأقسام الباطلة ـ هو أخذ الضار وترك النافع، ولا شك أن هذا لا يفعله من له أقل تمييز.

فتعينت صحة القسم الرابع بالتقسيم والسبر الصحيح، وهو أخذ النافع وترك الضار.

وهكذا كان ﷺ يفعل، فقد انتفع بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، مع أن ذلك خطة عسكرية كانت للفرس، أخبره بها سلمان فأخذ بها، ولم يمنعه من ذلك أن أصلها للكفار. وقد همّ ﷺ بأن يمنع وطء النساء المراضع خوفًا على أولادهنّ، لأن العرب كانوا يظنون أن الغيلة (وهي وطء المرضع) تضعف ولدها وتضره، فأخبرته ﷺ فارس والروم بأنهم يفعلون ذلك ولا يضر أولادهم، فأخذ ﷺ منهم تلك الخطة الطبية، ولم يمنعه من ذلك أن أصلها من الكفار[1].

وقد انتفع ﷺ بدلالة ابن الأريقط الدؤلي له في سفر الهجرة على الطريق، مع أنه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب جواز الغيلة وكراهة العزل حديث (١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣).

كافر[١].

فاتضح من هذا الدليل أن الموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من الحضارة الغربية ـ هو أن يجتهدوا في تحصيل ما أنتجته ـ النواحي المادية، ويحذروا مما جنته من التمرد على خالق الكون جل وعلا فتصلح لهم الدنيا والآخرة»[٢].

والجميل في هذا ما ختم به الشيخ رحمه الله هذه المسألة مبينًا خطورة الحضارة الغربية إذا تساهل الناس في أخذها بلا ضابط ومدى أثرها السلبي على الدين فقال رحمه الله: «والمؤسف، أن أغلبهم يعكسون القضية، فيأخذون منها الانحطاط الخلقي، والانسلاخ من الدين، والتباعد من طاعة خالق الكون، ولا يحصلون على نتيجة مما فيها من النفع المادي، فخسروا الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين»[٣].

وكان للإخوان موقف في عهد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ من هذه الحضارة الغربية، وسبب هذا الموقف هو تخوفهم من التغريب مستقبلاً، وذلك أن هذه المخترعات الحديثة ستجعل من السهل دخول هؤلاء الغربيين إلى البلاد بحجة تشغيلها وصيانتها والقيام بشؤونها وإدارتها، وهذا من شأنه أن يفتح بابًا للتدخل الأجنبي الغربي مما قد يؤدي إلى التبعية للغرب[٤].

وقد نقل محمد جلال عن ديكسون أن الإخوان وأسلافهم: «لا يثقون البتة بالإفرنج المسيحيين[٥]، وهذا يفسر انغلاق نجد أمام الإفرنج، إلا فيما ندر، والسلفيون والإخوان

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب استئجار المشركين عند الضرورة حديث (٢٢٦٣، ٢٢٦٤).

(٢) أضواء البيان (٤/ ٢٨٨).

(٣) المرجع نفسه (٤/ ٢٩٠).

(٤) ينظر: السعوديون والحل الإسلامي (ص٥٨٩).

(٥) يفضل أن يقال النصارى بدلاً عن المسيحيين.

يكنون كرهًا شديدًا[١] للإفرنج»[٢].

والمتأمل في كلام أهل العلم من أتباع مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يجد أنهم ما نبذوا الحضارة الغربية عمومًا، ولكن لهم بعض الفتاوى الاحترازية التي تنتهج منهج أخذ الحيطة والحذر من الولوج والافتتان بهذه الحضارة الغربية.

فمن الأمور التي عرَّج عليها بعض أهل العلم وحذروا منها، السفر إلى بلاد الكفار، فلسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ فتوى حذر فيها من السفر إلى تلك البلاد لما في ذلك من الانخراط والانحلال في تلك المجتمعات الغربية من خلال الإقامة مع العوائل الكافرة، والمشاركة في الحفلات الموسيقية والعروض المسرحية، والاختلاط في أندية الديسكو والرقص، وكل ذلك يؤدي إلى فساد الأخلاق، بل وإلى تشكيك المسلم في دينه وعقيدته، بالإضافة إلى الإعجاب والانبهار بحضارة الغرب والدعوة إلى التغريب في بلاد المسلمين[٣].

وأيضًا من الفتاوى الاحترازية، ما بينه الشيخ محمد بن عثيمين ـ رحمه الله ـ من خطورة استقدام هؤلاء الغربيين إلى جزيرة العرب، ولو لم يكن من الخطر والمضرة إلا أن المستقدم لهم يألفهم ويركن إليهم وربما يقع في قلبه محبة لهم وتودد إليهم، وربما يشتبه عليه الحق بالباطل فيظن أنهم إخوة لنا في الإنسانية وأن ذلك ربما يميت الغيرة في قلوب المسلمين[٤].

---

(١) في الحقيقة الكره ليس للإفرنج أنفسهم ولكن لديانتهم وكفرهم،وقد مر معنا كيف تعامل المسلمون مع الكفرة غير المحاربين وكيف كانوا متسامحين معهم متلطفين بهم.

(٢) المرجع السابق (ص٦٠٧).

(٣) ينظر: فتاوى إسلامية جمع محمد المسند (١/ ١١٨).

(٤) المرجع السابق (١/ ١٢٢).

فيتبين أن الاستقدام لهؤلاء الغربيين ربما يميت عقيدة الولاء والبراء، مما يجعل المسلمين يضعفون في دينهم متأثرين بهؤلاء الكفرة.

وكذلك فإن أهل العلم نهوا عن التشبه بهؤلاء الغربيين في أعيادهم واحتفالاتهم وبكل ما هو من خصائصهم، كل ذلك من أجل الاحتياط والحذر والسلامة للدين.

✍ خامسًا: خاتمة لمستشرق:

فيما مضى عرفنا موقف أهل العلم وأتباع الدعوة من الحضارة الغربية وأنها ربما تكون سببًا لفساد الدين والأخلاق إذا لم تحصن بسياج الدين والشرع وإذا لم تراعَ فيها الضوابط التي تمنع من تمييع قضايا الدين، لأن عرى الإسلام تنقض عروة عروة، وقد فطن لهذا أحد المستشرقين وهو ـ جان جاك بيربي ـ عندما تحدث عن موقف الإخوان ومعارضتهم إدخال التكنيك الغربي إلى المملكة فقال: «إن الثورة والتقدم المادي الذي سببته يهددان في الصميم نظام الحق الإلهي الوهابي»[1]، وأيضًا قال المستشرق سنوك: «ولكن بالنسبة إلى الوهابي فإن مكة تحولت إلى مدينة فساد قام الشيطان باستيراد كل أنواع المفاسد باسم الحضارة»[2]

وبعد هذا لعله لا يبقى في ذهن منصف متبع للحق أن الحضارة الغربية ينبغي أن يتعامل معها بحذر شديد فلا تؤخذ بكل ما فيها من خير وشر ولا تترك كلها كذلك، بل يؤخذ منها ما هو مفيد ونافع للإسلام والمسلمين شريطة أن لا يؤثر ذلك على عقائد المسلمين وسلوكهم، وأما شر الحضارة الغربية فينبغي للمسلمين أن يجتنبوه ويبتعدوا عنه حتى لا يقعوا في الحمى فيرتعوا فيه عياذًا بالله.

---

(١) ينظر: جزيرة العرب، جان بيربي (ص٧٤، ٧٥).

(٢) الحركة الوهابية (ص٩٣).



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده جل وعلا حمدًا يليق بجلاله وبعظيم سلطانه، أحمده سبحانه الذي يسر لي إتمام هذا البحث وأعانني على الفراغ منه بعد رحلة طويلة وممتعة. **وقد توصلت إلى النتائج التالية:**

١- تدهور أحوال المسلمين في القرن الثاني عشر الهجري وبخاصة الحالة الدينية منها، ومن رحمة الله عز وجل أن هيأ للأمة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمؤازرة من الإمام محمد بن سعود مما ساعد على نهضتها وارتقائها.

٢- نالت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب اهتمامًا بالغًا من قبل المستشرقين ودراساتهم.

٣- تفتقر الدراسات الاستشراقية عن الدعوة الإصلاحية ـ في مجملها ـ إلى بدهيات البحث العلمي ومنهجيته وتوثيقه.

٤- غالب الدعاوى على الدعوة الإصلاحية سببها الاعتماد على مصادر غير أصلية يشوبها الحقد والعداء ككتابات الخصوم والمناوئين لهذه الدعوة.

٥- مع التسليم بنزاهة وحيادية بعض المستشرقين ـ وهم قلة ـ فإنه لا يمكن الاعتماد عليهم والأخذ عنهم في تفاصيل القضايا الشرعية؛ لغلبة الجهل بالعلوم الشرعية واللغة العربية.

٦- مما يؤسف له أن عند هؤلاء المستشرقين ـ مع أن أكثرهم من الكفار ـ من الإنصاف والعدل أكثر مما عند خصوم الدعوة من أهل الأهواء والبدع.

٧- إن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هي دعوة سنية سلفية قائمة على العودة بالأمة إلى كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ وما كان عليه السلف الصالح في الاعتقاد والعمل والسلوك تهدف إلى تطهير الاعتقاد والسلوك من أدران الشرك والإلحاد والبدع والمحدثات والخرافات.

٨. براءة الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من تلك الدعاوى الكاذبة من ادعاء النبوة أو التنقص من قدر النبي ﷺ أو إنكار السنة والأحاديث.

٩. براءة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وبعدها عن الغلو والتشدد والتطرف والتعصب الممقوت وتكفير المسلمين.

١٠. أن أتباع دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب قد استفادوا من الحضارة الغربية بما يوافق الشريعة الإسلامية فأخذوا منها النافع المفيد بضوابطه الشرعية وتركوا ما سوى ذلك.

١١. حرص الغرب على طمس معالم المنهج السلفي الصحيح، ونشر المناهج المنحرفة كالصوفية ونحوها والتي تضيع معها معالم الإسلام الناصعة من خلال تبني المستشرقين لأكثر كتابات خصوم الدعوة المناوئين لها من الصوفية والرافضة وغيرهم.

وأرى التوصية بالأمور التالية:

١. ترجمة كتب الإمام محمد بن عبد الوهاب ورسائله ونشرها في الأوساط الغربية بكميات كبيرة والحرص على وصولها إلى المثقفين في تلك المجتمعات والمهتمين بدراسة الشرق.

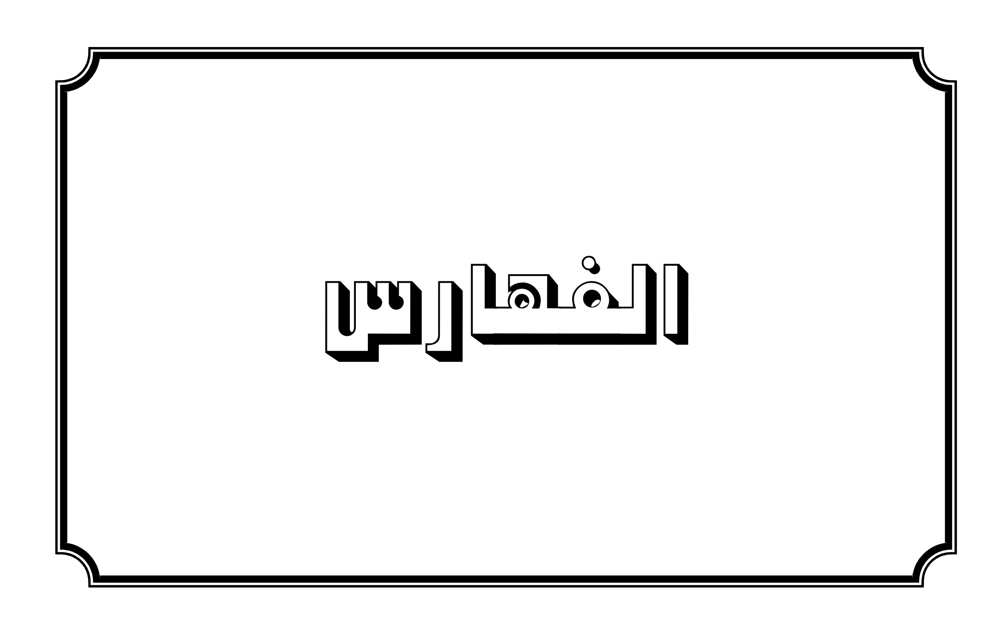
٢. إعداد لجنة علمية لمتابعة ما يقال عن الإسلام عمومًا وعن هذه الدعوة خصوصًا، والقيام بإعداد الردود المناسبة وترجمة تلك الردود بلغات مختلفة.

٣. دراسة المواقف الإيجابية والإهتمام بها وتوظيفها لتوضيح حقائق الإسلام.

وختامًا أسأل الله عز وجل أن يمن علي بتمام الإخلاص والمتابعة، وأن يجعل هذه الرسالة عملاً صالحًا وعلمًا نافعًا ينتفع به في حياتي وبعد مماتي.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين


الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــة ورقمها | الصفحـــة

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة الروم

سورة الأحزاب

سورة الزمر

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة محمد

سورة الحجرات

سورة الرحمن

سورة الحديد

سورة الحشر

سورة الصف

سورة المنافقون

سورة الجن

سورة البينة

سورة الكافرون

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم**.

٢- **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، للدكتور محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية.

٣- **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير ـ الاستشراق ـ الاستعمار (دراسة وتحليل وتوجيه)**، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة السادسة ١٤١٠هـ.

٤- **احتساب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله**: لمرفت بنت كامل بن عبد الله أسرة، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٥- **احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام**، تأليف أ.د/ سعد الدين السيد صالح، مكتبة الصحابة، الشارقة، مكتبة التابعين، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٦- **الإخوان السعوديون في عقدين (١٣٢٨ـ ١٣٤٩هـ/ ١٩١٠ ـ ١٩٣٠م)**، تأليف: جون س. حبيب، ترجمة الدكتور صبري محمد حسن، راجع النص العربي عبد الله الماجد، دار المريخ، الرياض.

٧- **أربعون عامًا في البرية لهاري سانت جون فيلبي «عبد الله فيلبي»**، ترجمة د. عاطف فالح يوسف، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٢٢٥هـ.

٨- **الاستشراق (الذرائع ـ النشأة ـ المحتوى)**، للدكتور السيد أحمد فرج، دار طويق، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٩- **الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام**، للدكتور مازن بن صلاح مطبقاني، دار أشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٠- **الاستشراق أهدافه ووسائله (دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون)**، للدكتور محمد فتح الله الزيادي، دار قتيبة، بيروت، دمشق، الطبعة الثانية ٢٠٠٢هـ.

١١- **الاستشراق في السيرة النبوية، دراسة تاريخية لآراء (وات ـ بروكلمان ـ فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية**، لعبد الله محمد الأمين النيم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، ١٤١٧هـ.

١٢- **الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي**، للدكتور أحمد عبد الرحيم السايح، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١٣- **الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)**: أ.د فاروق عمر فوزي، الأهلية للنشر، الأردن، الطبعة الأولى.

١٤- **الاستشراق والتربية**: للدكتور هاني محمد يونس بركات، دار الفكر، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٥- **الاستشراق والدراسات الإسلامية (مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم)**، تأليف: أ.د/ علي بن إبراهيم النملة، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٦- **الاستشراق والدراسات الإسلامية**، أ. د/ عبد القهار داود عبد الله العاني، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٧- **الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم**، الدكتور مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

١٨- **الاستشراق والمستشرقون، وجهة نظر (سلسلة دعوة الحق/ ٢٤)**، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ.

١٩- **الاستشراق والمستشرقون، وجهة نظر (سلسلة دعوة الحق/ ٢٤)**، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ.

٢٠- **الاستشراق، المعرفة ـ السلطة ـ الإنساء**، إدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

٢١- **الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلة وإنصاف العلماء**، للدكتور محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٢٢- **الإسلام كبديل**، للدكتور مراد هوفمان، ترجمة: عادل المعلم، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ.

٢٣- **الإسلام وأزمة العصر ـ حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس**، تأليف: برنارد لويس، ترجمة: أحمد هيكل، تقديم ودراسة: رءوف عباس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤.

٢٤- **الإسلام والحضارة الغربية**، للدكتور محمد محمد حسين، دار الرسالة، السعودية، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ.

٢٥- **الإسلام والغرب في كتابات الغربيين**، للدكتور: زغلول النجار، نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠٥م.

٢٦- **إسلامية لا وهابية**: أ.د/ ناصر عبد الكريم العقل، كنوز أشبيليا للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٢٧- **إسهام في تاريخ المذهب الحنبلي**، لأحمد بكير محمود، دار قتيبة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٢٨- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، خرّج آياته وأحاديثه الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٩- **اعتماد فقه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة**، للشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم (ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بإشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، طبع ونشر إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، ط٢، ١٤١١هـ.

٣٠- **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة عشرة ٢٠٠٥م.

٣١- **آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب**، لأنور الجندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٣٢- **افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها**، للدكتور يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٣٣- **اكتشاف جزيرة العرب**، جاكلين بيرين، ترجمة قدري قلعجي، دار الكاتب العربي، بيروت.

٣٤- **الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين (نشأته وتطوره ومذاهبه المعاصرة)**، للدكتور صابر عبد الرحمن طعيمه، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٣٥- **إمام التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (التاريخ ـ الدعوة ـ الجهاد ـ المراحل ـ الوفاة ـ الشبهات والرد عليها)**، تأليف: أحمد القطان ومحمد طاهر الزين، راجعه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الإيمان، الإسكندرية.

٣٦- **الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب (دعوته الإصلاحية وعقيدته السلفية وثناء العلماء عليه)**: للعلامة أحمد بن حجر بن محمد أبو طامي آل بن علي، راجعه وعلق عليه وقدم له الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله، دار الشريعة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٣٧- **انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية**، لمحمد كمال جمعة، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٣٨- **أوهام ١١ أيلول (المناظرة الاستراتيجية في مواجهة الإرهاب)**، تأليف: أوليفييه روا، ترجمة: حسن شامي، دار الفارابي، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٣٩- **بعثة إلى نجد ١٣٣٦ ـ ١٣٣٧هـ**، تأليف/ سانت جون فيلبي، ترجمة وتعليق/ د. عبد الله الصالح العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٤٠- **بلاد العرب القاصية (رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب)**، تأليف بيتر برينت، ترجمة: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة، بيروت، ١٤١١هـ.

٤١- **تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج**: تأليف ج. ج. لوريمر، جمع وتعليق: د. محمد بن سليمان الخضيري، دار غارنت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٤٢- **تاريخ البلاد العربية السعودية**: للدكتور منير العجلاني، الجزء الأول، دار الكاتب العربي.

٤٣- **تاريخ العرب الحديث**، للدكتور/ رأفت الشيخ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٤٢٥هـ.

٤٤- **تاريخ العربية السعودية من القرن الثامن عشر حتى نهاية القرن العشرين**؛ تأليف: إليكسي فاسيلييف، شركة المطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٠.

٤٥- **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، للإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

٤٦- **تاريخ المملكة العربية السعودية**، للدكتور عبد الله الصالح العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية عشر ١٤٢٤هـ.

٤٧- **تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين**، تأليف المستشرق: يوهان فوك، ترجمة: عمر لطفي العالم، دار قتيبة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٤٨- **تاريخ نجد للشيخ الإمام حسين بن غنام**، حرره وحققه الدكتور/ ناصر الدين الأسد، دارا لشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ.

٤٩- **التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم**، تأليف: جان ريمون، ترجمة وتعليق: د/ محمد خير البقاعي، راجعه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٤هـ.

٥٠- **تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر (دراسة نقدية في ضوء الإسلام)**، لعبد اللطيف بن إبراهيم الحسين، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٥١- **تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية**: للدكتور/ محمد بن سعد الشويعر، دار الحبيب، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ.

٥٢- **التعريفات**، الشريف علي الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٥٣- **تفسير القرآن العظيم**: للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، دار الخير، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٥٤- **التمهيد لشرح كتاب التوحيد**؛ للشيخ صالح بن عبد العزيز بن محسن آل الشيخ، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٥٥- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تقديم محمد زهري النجار، دار المدني بجدة، طبعة عام ١٤٠٨هـ.

٥٦- **جزيرة العرب في القرن العشرين**، تأليف حافظ وهبة، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٥٧- **جزيرة العرب**، تأليف: جان جاك بيربي، ترجمة: نجدة هاجر وسعيد الغز، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٥٨- **الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)**، اختيار وترجمة وتعليق: نجدة فتحي صفوة، دار الساقي، الطبعة الأولى ٢٠٠١.

٥٩- **حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة**، د/ جميل عبد الله المصري، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة السابعة ١٤٢٣هـ.

٦٠- **حاضر العالم الإسلامي**: تأليف لوثروب ستودارد الأمريكي، ترجمة الأستاذ عجاج نويهض، تعليق الأمير شكيب أرسلان، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ.

٦١- **حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث**، للدكتور عبد الله بن محمد العجلاني، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٦٢- **الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب**: بقلم لي ديفيد كوبر، وجورج رينتز، ترجمة أ.د/ عبد الله بن ناصر الوليعي، مؤسسة الممتاز للطباعة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٦٣- **حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية**، للشيخ أحمد بن عبد العزيز آل مبارك، ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض، ١٤٠٠هـ.

٦٤- **خصائص التفكير الفقهي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب**، للدكتور/ عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بإشراف جامعة الإمام محمد بن سعود، طبع ونشر إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، ط٢، ١٤١١هـ.

٦٥- **الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر**، للدكتور طه جابر العلواني، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٦٦- **دحر افتراءات أهل الزيغ والارتياب عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (نقد لحسن المالكي)**: تأليف الشيخ ربيع بن هادي المدخلي، تقديم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان والشيخ أحمد بن يحيى النجمي والشيخ زيد بن محمد المدخلي، دار المنهاج، القاهرة، ١٤٢٤هـ.

٦٧- **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية منذ تيودور نولدكه**، تأليف: رودي بارت، ترجمة: مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

٦٨- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)**، جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي (ت١٣٩٢هـ)، الطبعة السابعة ١٤٢٥هـ.

٦٩- **دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (عرض ونقض)**، للشيخ عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٧٠- **الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية**: للدكتور/ محمد بن ناصر الشثري، دار الحبيب، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٧١- **الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأعلامها من بعده**، تأليف/ عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوّع، قدم له أ.د/ صالح بن فوزان الفوزان، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

٧٢- **دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية**، لأحمد بن عبد العزيز الحصين، تقديم الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٧٣- **دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيديها ومعانديها**، تأليف: أبو المكرم بن عبد الجليل السلفي، راجعه وقدم له الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٧٤- **الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى**، للشيخ عيد عباسي، تعليق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ومعها رسالة بعنوان **(الانتصار لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب)**، بقلم الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، دار الإيمان، الإسكندرية.

٧٥- **دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بين المعارضين والمنصفين والمؤيدين**؛ لمحمد جميل زينو، الطبعة الثالثة.

٧٦- **رؤية إسلامية للاستشراق**، للدكتور أحمد عبد الحميد غراب، المنتدى الإسلامي.

٧٧- **الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية (بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض في المدة من ٢٤ ـ ٢٧ رجب ١٤٢١هـ)**، دارة الملك عبد العزيز.

٧٨- **رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي**، تأليف شارل ديدييه، ترجمة وتعليق د/ محمد خير البقاعي، دار الفيصل الثقافية، ١٤٢٢هـ.

٧٩- **رحلة في الجزيرة العربية الوسطى (١٨٧٨ ـ ١٨٨٢م)**، تأليف:شارل هوبير، ترجمة: إليسار سعادة، دار كتب، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٨٠- **رحلة من الكويت إلى الرياض عام ١٨٦٥م / ١٢٨١هـ**، تأليف: الكولونيل لويس بيلي، ترجمة وتعليق: أحمد ايبش، دار قتيبة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٨١- **رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب الشخصية (دراسة دعوية)**، لعبد المحسن ابن عثمان بن باز، دار أشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٨٢- **الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة**، للعلامة السيد الشريف محمد بن جعفر الكتاني، دار البشائر، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٢١هـ.

٨٣- **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين**، لمحمد بن عثمان بن صالح، مطبعة الحلبي، الرياض، ط١، ١٤٠٠هـ.

٨٤- **السعودية تحديات وآفاق**: د. عمر عبد الله كامل، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٨٥- **السعودية وتحديات القرن ٢١**، للدكتور/ صالح بن بكر الطيار، مركز الدراسات العربي ـ الأوروبي / باريس، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٨٦- **السعوديون والحل الإسلامي (مصدر الشريعة للنظام السعودي)**؛ لمحمد جلال كشك، المطبعة الفنية القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.

٨٧- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، مكتبة المعارف، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٨٨- **الشرق والغرب محددات العلاقات ومؤثراتها**، للدكتور علي بن إبراهيم النملة، مطابع الحميضي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٨٩- **الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية (دراسة نقدية)**؛ للدكتور/ ناصر بن إبراهيم التويم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٩٠- **الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره**، للدكتور عبد الله الصالح العثيمين، دار العلوم، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٩١- **الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبعض الجوانب التربوية والتعليمية في دعوته**، عبد الرحمن العريني، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

٩٢- **صحيح الترغيب والترهيب**: للحافظ المنذري، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٩٣- **صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي**، تأليف: صامويل هنتنجتون، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: د. صلاح قنصوه، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.

٩٤- **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري، دار المغني، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٩٥- **صورة الشرق في عيون الغرب (دراسة للأطماع الأجنبية في العالم العربي)**: لإبراهيم الحيدري، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦.

٩٦- **عبر الأراضي الوهابية على ظهر جمل**، تأليف: باركلي رونكير، ترجمة: منصور محمد الخريجي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

٩٧- **العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب**، تأليف: محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.

٩٨- **عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي**، للدكتور صالح بن عبد الله العبود، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٩٩- **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، للشيخ عبد الله البسام، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

١٠٠- **علماء نجد خلال ستة قرون**، للشيخ عبد الله البسام، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٣٩٨هـ.

١٠١- **العلمانية (نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة)**، للشيخ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي، مكتب الطيب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

١٠٢- **عنوان المجد في تاريخ نجد**، لعثمان بن بشر النجدي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

١٠٣- الغارة على العالم الإسلامي، تأليف: أ. ل. شاتليه، لخصها وترجمها: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، مكتبة أسامة بن زيد، بيروت.

١٠٤- **فتاوى إسلامية لأصحاب الفضيلة العلماء (سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، فضيلة الشيخ محمد العثيمين، فضيلة الشيخ عبد الله الجبرين)**، جمع وترتيب محمد بن عبد العزيز المسند، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٠٥- **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

١٠٦- **فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ**، جمع وترتيب وتحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية.

١٠٧- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، للحافظ أحمد بن حجر، تحقيق وتصحيح: محب الدين الخطيب، دار الريان، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

١٠٨- **فتح الحميد في شرح التوحيد**: للشيخ عثمان بن عبد العزيز بن منصور التميمي (ت١٢٨٢هـ)، تحقيق/ د. سعود بن عبد العزيز العريفي ود. حسين بن جليعب السعيدي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٠٩- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، اعتنى به وراجعه: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ.

١١٠- **الفرق بين الفرق**، للإمام عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١١- **فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**: د/ غالب بن علي عواجي، دار البينة، الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ.

١١٢- **الفكر الاستشراقي**: **(تاريخه وتقويمه)**، للدكتور محمد الدسوقي، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١١٣- **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، أحمد سمايلوفيتش، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

١١٤- **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعتناء الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.

١١٥- **فيليب حتي (عصر النبوة والخلافة الراشدة) دراسة نقدية**، تأليف: فاضل محمد عواد الكبيسي، دار الفرقان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١١٦- **قافلة الحبر الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢ ـ ١٩٥٠م)**، لسمير عطا الله، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.

١١٧- **القاموس المحيط**، للإمام اللغوي أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، اعتنى به ورتبه حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤.

١١٨- **قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين**، حاشية عبد الرحمن بن حسن على كتاب التوحيد، دار الكتب العلمية.

١١٩- **القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن**، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به الدكتور خالد عثمان السبت، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

١٢٠- **القول المفيد على كتاب التوحيد**، للشيخ محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٢١- **كشف الأكاذيب والشبهات عن دعوة المصلح الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله**، لأبي عبد الله صلاح الدين بن محمد آل الشيخ، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٢٢- **لسان العرب**، لابن منظور، طبع دار صادر، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥م.

١٢٣- **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب**: لحسن بن جمال بن أحمد الريكي، درسه وحققه وعلق عليه أ.د عبد الله الصالح العثيمين، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٦هـ.

١٢٤- **مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب،** تصنيف وإعداد: عبد العزيز الرومي والدكتور محمد بلتاجي والدكتور سيد حجاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

١٢٥- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية،** جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ.

١٢٦- **محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ مصلح مظلوم ومفترى عليه،** للأستاذ مسعود الندوي، ترجمة وتعليق د. عبد العليم عبد العظيم البستوي، مراجعة وتقديم د. محمد تقي الدين الهلالي، دار الداعي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٢٧- **محمد بن عبد الوهاب داعية وليس نبيًا (قراءة نقدية لمذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التكفير)**: لحسن بن فرحان المالكي، دار الرازي، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٢٨- **محمد بن عبد الوهاب،** المؤلف: عزيز العظمة، دار رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٠م

١٢٩- **مذاهب فكرية في الميزان (محاضرات في الغزو الفكري)،** للدكتور/ علاء بكر، دار العقيدة.

١٣٠- **مذاهب فكرية معاصرة،** للأستاذ/ محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

١٣١- **مسائل من تاريخ الجزيرة العربية؛** تأليف: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، مؤسسة دار الأصالة، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ.

١٣٢- **المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها (دراسة وتطبيقًا)**: للدكتور عابد بن محمد السفياني، دار الفرقان، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٣٣- **مستشرقون: سياسيون ـ جامعيون ـ مجمعيون**، لنذير حمدان، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٣٤- **المستشرقون**؛ نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

١٣٥- **معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة**، لمحمد بن حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

١٣٦- **معالم الانطلاقة الكبرى عند أهل السنة والجماعة**، لمحمد عبد الهادي المصري، دار الوطن، الرياض، الطبعة السابعة ١٤١٣هـ.

١٣٧- **المعجم الوسيط**.للفيروز آبادي، اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية.

١٣٨- **معجم متن اللغة**، أحمد رضا، طبع مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨م.

١٣٩- **المغني لابن قدامة**، تحقيق: د/ عبد الله التركي ود/ محمد الحلو، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٤٠- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشقري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ.

١٤١- **الملل والنحل**، للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، صححه وعلق عليه أحمد فهمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٤٢- **من أعلام المجددين**، لفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٤٣- **مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب**، لمحمد البشير مغلي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٤٤- **منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسألة التكفير**، لأحمد بن جزاع الرضيمان، تقديم أ.د/ ناصر عبد الكريم العقل، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

١٤٥- **منهج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التأليف**، لعبد المحسن العباد البدر، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٤٦- **مواد لتاريخ الوهابيين**: للرحالة جوهان لودفيج بوركهاردت، ترجمة الدكتور عبد الله الصالح العثيمين، جامعة الملك سعود، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

١٤٧- **مواقف المستشرقين من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**، للشيخ الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي، بحث غير مطبوع.

١٤٨- **موجز لتاريخ الوهابي**: تأليف السير هارفرد جونز بريدجز، ترجمة وتعليق د/ عويضة بن متيريك الجهني، دارة الملك عبد العزيز، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٤٩- **موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة(صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، جامع الترمذي، سنن النسائي الصغرى، سنن ابن ماجه)**، بإشراف فضيلة الشيخ/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ.

١٥٠- **موسوعة المستشرقين**، للدكتور عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.

١٥١- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، إشراف وتخطيط ومراجعة الدكتور مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الثالثة.

١٥٢- **موقف المستشرقين من الصحوة الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين**، لمجدي محمد فتح الباب، دار الروضة، القاهرة.

١٥٣- **نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله**، للدكتور عماد الدين خليل، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٥٤- **النهضة العربية الحديثة (مصر ـ الجزيرة العربية ـ الشام ـ السودان)**، للدكتور عبد العزيز سليمان نوار، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر.

١٥٥- **واقعنا المعاصر**، للأستاذ/ محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة والنشر، جدة، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ.

١٥٦- **الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ**؛ تأليف: ليوس دوكورانسي، ترجمة مجموعة من الباحثين، رياض الريس للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٣.

مجلات إسلامية:

١٥٧- **مجلة البحوث الإسلامية**، الرياض، العدد٦١.

١٥٨- **مجلة البيان**، المنتدى الإسلامي بلندن، العدد٨٧.

١٥٩- **مجلة الدعوة، تصدر عن مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية، الرياض، العدد ١٨٩٩.**

فهرس الموضوعات

